

حديث الانطلاق

نظرة الى

الحياة العلمية والسياسية

لإمام الخميني الراحل (قدس سره)

تأليف

حميد الانصاري

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني ^{قدس سره}

الشؤون الدولية



الكتاب: حديث الانطلاق

الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني - الشؤون الدولية

الطبعة الثالثة عشرة: ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٤ م

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

السعر: ١٤٥٠٠٠ ريال

العنوان: ايران. طهران. شارع باهنر. شارع ياسر. زقاق سوده. رقم ٥

الرمز البريدي: ١٩٧٧٧٦ ص. بـ ٦١٤ - ١٩٥٧٥

الهاتف: ٥ - ٩٨٢١٢٢٩٠١٩١ ++

الفاكس: ٤٧٨ - ٩٨٢١٢٢٩٠ ++

البريد الالكتروني: international-dept@imam-khomeini.ir

الموقع الالكتروني: <http://ar.imam-khomeini.ir>

□ تقديم

يستعرض الكتاب، بنظرة تحليلية إلاّ أنّها موجزة وسريعة، الفصول والوقائع المهمة من حياة الإمام الخميني الراحل منذ الولادة وحتى الوفاة. ومع ان تحديد معالم ابعاد شخصية الإمام الخميني، وبيان الفصول المهمة في حياة شخصية عظيمة كشخصيته، في مقال أو كتاب هو كالذي يحاول أن يصب البحر في جرّة؛ بيد أنه لا مفر من ذلك، خاصة وأن محي الإمام ومريديه في انحاء العالم لا يكفون عن مطالبتنا بعرض موجز لسيرة حياة الإمام الراحل والتعرف على اهم محطات حياته العلمية والسياسية المباركة.

ولهذا حرصنا — قدر الامكان — على تجنب الخوض في تفاصيل الحوادث وعرض الوثائق الخاصة بها إلاّ في بعض المواضيع الضرورية. ولكن ذلك لا يمنع من تناول معظم الحوادث التي تتصل بحياة الإمام، والتي لعبت دوراً في تحركه ومواقفه تجاه القضايا المهمة، وكذلك التأكيد — لدى استعراض حياة الإمام — على اصالته الفكرية، واصرار سماحته على اولوية التربية والتهذيب، وتأثير الابعاد العلمية والمعنوية على مسار حياته وجهاده.

ان شمولية شخصية الإمام الخميني ووحدها، وانسجام مذهبه الفكري، يدلان على ان نهضته والثورة الاسلامية هما

ابعد من أن يقتصران على بلد أو مجتمع معين. لذا فإن دراسة مقطع من مقاطع حياته، أو بعد من ابعاد شخصيته، غير كافٍ للتعرف على افكاره ونهجه، ولا بد من تناول جميع جوانب حياته العقيدية والايمانية والعملية في مختلف مراحل حياته. ويتعهد هذا الكتاب إلقاء نظرة سريعة على ذلك الأفق الرحب السامق. وقد حرصنا على عرض مجمل الحوادث والوقائع، وتحليل مواقف الاشخاص والتيارات السياسية والفكرية المنسجمة مع مواقف الإمام المستلهمة من توجيهاته وارشاداته.

واخيراً لا بد من الاعتراف مقدماً بأن هذا البحث غير مثّر من الخطأ، لذا ندعو المؤرخين الملتزمين وممن هم على بصيرة بالاسس الفكرية للإمام الخميني ويحيطون بحياته؛ تذكيرنا بنواقص هذا البحث وإرشادنا الى اخطائه، والله ولي التوفيق.

حميد الانصاري

تشرين الثاني ١٩٩٤ م



حديث الانتطابق

مدينة خمين / مسقط رأس الإمام الخميني (قدس سره)

□ يوم الكوثر

في النصف الثاني من عام ١٣٢٠ هـ، ولد في ايران
مولودٌ غيّر — فيما بعد، بثورته الالهية — مصير ايران
والعالم الاسلامي. وفجّر ثورة اصطفت في وجهها منذ
البداية القوى المهيمنة على العالم واعداء حرية الشعوب

واستقلالها كافة، سعياً للقضاء عليها. غير أنهم عجزوا — بفضل الله ومَنه — عن مواجهة انجازهِ العظيم، وخابوا في الاساءة الى العقيدة والفكر الذي كان ينادي به وينافح عنه.

وقتئذ لم يكن أحد يعلم ان العالم سيتعرف على هذا المولود ذات يوم باسم «الإمام الخميني». مثلما لم يتصور أحد عندما بدأ ثورته أنه سيقف في مواجهة اعنى القوى العالمية، وسيدافع عن استقلال البلاد ومجد الأمة الاسلامية، وسيمسي محيي دين الله في عصر تُمسخ فيه القيم.

□ الخلفية التاريخية

العشرون من جمادى الآخرة «يوم الكوثر».. لما قضى ابناء الرسول الاكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَحْبَهُمْ، فرح مشركو قريش وراحوا يشنعون برسول الله بأنه أبتري لا ذرية له. فأنزل الله تعالى: «انا اعطيناك الكوثر ... إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْاَبْتَرُ»^١.. فكان يوم العشرين من جمادى الآخرة يوم تدفق كوثر الولاية والامامة على هذه الارض، حيث ولدت سيدة نساء العالمين الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عَلِيهَا السَّلَام، ولتصبح فيما بعد زوج وأنيس امام العدالة

الانسانية الخالد، وأماً لذرية تقف في طليعتها كواكب الامامة الأحد عشر، الذين اضاءوا طريق هداية الانسانية، وكان كل بعد من ابعاد حياتهم حكمة الهية. فصلحهم وحرهم، ومناجاتهم وسكوتهم، وعلمهم وحلمهم، وحياتهم الحافلة بالمقاومة والعذاب والمختومة بالشهادة، وآخرها غيبة المهدي الموعود؛ كلها حكم الهية تدل على أن عباد الله مسددون في زمن التحدي والتردي وتكالب الزمان، وأن دعاة الحق ومناير الهداية حاضرون دوماً يمارسون دورهم في هداية البشرية، وأن الارض لا تخلو من حجة الله على خلقه ابداً.

ومع بداية عصر الغيبة، تواصل الصراع الدائم بين الخير والشر. وجيلاً بعد جيل وقف الطغاة وعبدة المال والمفسدون في جبهة الظلام، وفي الجهة الاخرى وقف المؤمنون والصالحون والاخيار في وادي النور، لتتواصل المواجهة فيما بينهم.

كانت انوار الوحي قد اضاءت آفاق العالم. وزاد الاسلام من دائرة انتشاره بعد أن وجد طريقه الى قلوب عباد الله الاخيار، فضم ما حوله من الشرق ووصل الى قلب اوروبا في الغرب، وشكل حضارة عظمى لم يسبق لها مثيل، وشهدت البشرية تحولاً عظيماً في العلوم والآداب والثقافة والفنون وفي مختلف مظاهر الحضارة الحقيقية؛ كل ذلك على اساس محكم من الايمان والعقيدة. إذ كان تقبل

الفترة السلمية لرسالة الرسول الامين التحررية، بدرجة من العمق والسعة اعجز حكام السوء، مع كل ما أوتوا من ظلم وجور، من الوقوف في وجه تقدم هذه الرسالة الالهية. كانت اوروبا تحترق في بربرية القرون الوسطى. وتخدق الماديون المهيمون على عباد الله المظلومين في ذلك الجزء من العالم، خلف الصليب للحيلولة دون سطوع رسالة النبي الاكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ — الذي بشر به السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَام — على دنياهم المظلمة، لكي لا تبور بضاعة الكنيسة التي اخذت تعرض في القرون الوسطى عقيدة خالية من الروح، وتقيم حكومة تفتيش العقائد الاوروبية، التي عدت بحق وصمة عار في تاريخ البشرية. ومما يدعوا الى الخيرة والاسى معاً هو أنهم في ذات الوقت الذي انتهوا لأنفسهم وعزموا على القضاء على دين الرسول الخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كانت قد اندلعت في هذا الجزء من العالم نيران النفاق ونزعة التسلط وسادت الفرقة والاختلاف.

وفي غضون ذلك توفرت جملة من العوامل ساعدت في ظهور ارضية التحولات العلمية والصناعية في اوروبا، واستحواذ القوى والحكومات المعادية على التكنولوجيا ووسائل التقدم. وأضفى انتشار العلوم والفنون الحديثه — الذي كان للحضارة الاسلامية دور مهم ومصيري فيها — على المجتمع الاوروبي البدائي المتخلف رونقاً خاصاً.

وبدلاً من أن يفكر قادة البلدان الاسلامية بما يصلح حالهم واحوال شعوبهم، رجّحوا الاستسلام للغفلة والتخلف بدلاً من المبادرة للعمل والاجتهاد؛ فنتج عن ذلك تنامي سطوة الاعداء يوماً بعد آخر، فانطلقوا يوسعون من مناطق نفوذهم حتى باتت - مع الاسف - مناطق مترامية الاطراف من العالم الاسلامي تحت هيمنة الدول الاستعمارية. وهكذا تواصلت القصة المؤلمة لسلطة القوة والمال والكفر وتدخّل المستعمرين السافر والخفي في مصير البلدان الاسلامية عدّة قرون.

وتوالى في ايران سلالات الملوك والسلاطين على الحكم. ورغم الظلم والجور المتواصل الذي مارسه هذه السلالات الحاكمة، إلا أن الشعب الايراني المناضل، الذي لبي طواعية نداء التوحيد ورسالة الرسول الاكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كان حتى وقت متأخر يرفع لواء الحضارة الاسلامية وثقافتها. غير أن ظلم الملوك، ودسائس الاستعمار الحديث الذي هدف من ورائها الى بث الفرقة والتنازع؛ كانا في تزايد مطرد، خاصة وان الاعداء دخلوا الميدان هذه المرة بوسائل جديدة، وبذريعة الاعمار والتقدم. وقد قادت خيانات السلاطين القاجار^١، وما اقترن بها من

١- حكمت السلالة القاجارية ايران ما يقارب القرن ونصف القرن، بدءاً من سنة ١١٩٣ هـ. وحتى سنة ١٣٤٤ هـ. (١٧٧٩ - ١٩٢٥ م). وخلال فترة حكمها تخلف الشعب الايراني عن ركب الحضارة

اجتياح للاراضي الايرانية من قبل الانجليز والروس القياصرة؛ الى ايجاد ظروف صعبة وقاسية. إذ كانت سفارات الدول الاستعمارية تتدخل بشكل سافر في جميع شؤون البلاد بما في ذلك عزل وتنصيب امراء البلاط والوزراء ومسؤولي المناصب العسكرية الهامة. كما تم في هذه الفترة العvisية التخلي عن مناطق شاسعة من ارضنا الاسلامية الى الاجانب عبر اتفاقيات مشينة، في وقت كانت البلاد تشكو من انعدام الامن والعدالة وتفشي الفساد الاداري.

وخلال هذه الاحداث كشفت كل من فتوى العالم المجاهد الكبير آية الله العظمى الشيرازي بشأن نهضة تحريم التبغ والتي عرفت بـ «حركة التباكو»؛ ودعوات

على مختلف الاصعدة الاجتماعية والثقافية والسياسية. كما ان الاتفاقيات المذلة التي ابرمت خلال هذه الفترة مع الدول القوية وقتئذ، اساءت الى ايران وسوّدت صفحات تاريخها. وبشكل عام يعد العصر القاجاري بداية اتساع النفوذ الغربي في ايران.

١- انتفاضة شهدتها ايران عامي (١٣٠٨ - ١٣٠٩ هـ) (١٨٩١ م)، جسّدت معارضة الشعب الايراني منح امتياز حصر تصنيع التبغ الايراني باحدى الشركات البريطانية - شركة رجي - . وكانت الانتفاضة الشعبية الاولى في تاريخ ايران الحديث التي كللت بالنجاح، حيث انتهت بجزمة الحكومة وانتصار المعارضين في تحقيق مطالبهم بالغاء الامتياز وانهاء الاتفاقية. وكان لفتوى المرجع الديني الاعلى وقتئذ سماحة آية الله الميرزا محمد حسن الشيرازي بتحريم استعمال التبغ، دور مصيري في تعزيز وحدة رجال الدين وانباء الشعب وترسيخ قوتهم وصلاتهم في مواصلة

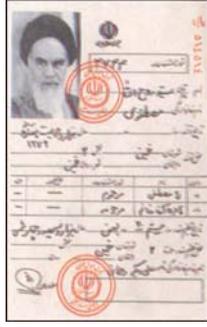
الإصلاح التي أطلقها السيد جمال الدين الأسد آبادي^١، وقيام علماء الدين في إيران والنجف الأشرف بوجه الاستعمار البريطاني؛ كشفت عن مكانة علماء الإسلام واقتدار المؤسسة العلمانية الإسلامية في التأثير على مجرى الأحداث، الأمر الذي جعل الانجليز يدركون مكانم الخطر، مما دفعهم إلى ممارسة مختلف أنواع الحيل والدسائس للتصدي لعلماء الدين، وإشاعة سياسة الفصل بين الدين

الانتفاضة. ونتيجة للاعتراضات الشعبية المتزايدة، اضطر ناصر الدين شاه - الملك - إلى إلغاء الاتفاقية وتعويض الشركة البريطانية.

١- السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالافغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ)، أحد أبرز علماء الدين المصلحين الذين لمع نجمهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. عُرف بفكره المتقدم ووعيه المتقدم وتطلعاته الحقة في افكاره ومعتقداته السياسية والاجتماعية والفلسفية. ودافع عن سيادة الديمقراطية في بلدان الشرق وتوحيد صفوف المسلمين، وقام بتأسيس «الاتحاد الإسلامي». حاض صراعاً مريراً ضد السياسة الاستعمارية البريطانية، واستبداد السلاطين العثمانيين. وكان في تنقل دائم بين بلدان الشرق والغرب تحقيقاً لأهدافه وتطلعاته.

اصدر في باريس جريدة «العروة الوثقى» واتخذها منبراً لمهاجمة سياسة الانجليز في الشرق. كما كانت له نشاطات سياسية وثقافية في كل من القاهرة واسطنبول والهند وافغانستان تركت تأثيرها بشدة في نفوس الناس. توجه إلى لندن بعد ان نفاه الملك ناصر الدين للمرة الثانية عام ١٣٠٦ هـ، وقام هناك باصدار جريدة «ضياء الخائفين» باللغتين العربية والانجليزية، إلا أنه طورد ثانية فاضطر إلى ترك أوروبا والتوجه إلى اسطنبول. وفي اسطنبول ألقى القبض عليه بتحريض من الحكومة الإيرانية، وادع السجن حتى مات عام ١٣١٤ هـ.

والسياسة؛ فظهرت حينها الماسونية، والمتغريون الجدد المتلبسون بلباس الثقافة، الذي أضرم وجودهم السيران في المعركة المشتعلة داخل البلاد. هذا من جهة. ومن اخرى كان الملك مظفر الدين القاجاري^١ يفتقد الى آية قاعدة شعبيه بين ابناء شعبه، لذا كان يتطلع الى البلاطين الروسي والانجليزي. وبطبيعة الحال، كانت سائر البلاد الاسلامية تعيش حالاً مشاهمة مؤسفة ايضاً.

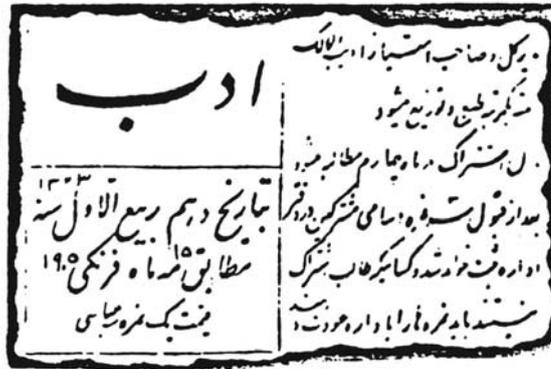


□ الإمام الخميني من الولادة حتى الهجرة الى مدينه قم

١- مظفر الدين القاجاري: خامس ملوك السلالة القاجارية. حكم ايران احد عشر عاماً. وقد ادى عدم صلاحيته كحاكم وعدم لياقته للحكم الى إلحاق اضرار كبيرة بالبلاد. سافر الى اوروسا عدة مرات فاضطر الى الاقتراض مرتين من روسيا القيصرية لتأمين نفقات سفراته الباهضة التكاليف، الأمر الذي اضطره الى تفويض امر جمارك الشمال وصيد الاسماك في بحر الخزر الى الروس. كذلك اضطر الى تفويض امر جمارك البلاد الجنوبية الى الانجليز بعد ان اقترض منهم، مما عرض البلاد الى الافلاس واستتبع قيام الحركة الدستورية التي دفعته - نزولاً عند ضغط التحرريين عام ١٩٠٦ (١٣٢٤ هـ) - الى اصدار اوامره بتحول الملكية المستبدة الى ملكية مشروطة بالدستور. وبعد امضائه الدستور الذي تم اعداده من قبل مجلس الشورى الوطني، توفي في العام نفسه.

في مثل هذه الظروف ولد روح الله الموسوي الخميني في العشرين من جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ هـ، الموافق ٢٤ ايلول ١٩٠٢ م؛ في مدينة خمين إحدى مدن المحافظة المركزية، في بيت عُرف بالعلم والتقوى والجهادى والمهجرة، ومن اسرة تنتسب الى الصديقة فاطمة الزهراء؛ ورث منها سجايا آباء واحداد سعوا جاهدين جيلاً بعد جيل لهداية الناس، والنهل من المعارف الالهية.

عاصر المرحوم آية الله السيد مصطفى الموسوي — والد الإمام الخميني — المرحوم آية الله العظمى الميرزا الشيرازي رضي الله عنه. ودرس العلوم والمعارف الاسلامية في النجف الاشرف لعدة سنوات، وبعد ان بلغ مرتبة الاجتهاد عاد الى ايران ليقوم في خمين ويصبح ملجأً وملاذاً وموجهاً للناس في امور دينهم.



لم يُتم «روح الله» الخمسة اشهر، حتى استشهد والده في طريقه من خمين الى اراك على يد قطاع الطرق والخوارج المدعومين من قبل عملاء السلطة، انتقاماً من مساعيه في احقاق الحق والوقوف في وجه الطغاة والظلمة. ويومها توجهت اسرة الشهيد الى طهران — دار الحكومة آنذاك — واصرت على تنفيذ العدالة وانزال القصاص بحق قاتليه.

وبذا يكون الإمام الخميني قد واجه منذ طفولته قسوة اليتيم وادرك مفهوم الشهادة.

بعد استشهاد والده امضى الإمام الخميني طفولته في احضان والدته (السيدة هاجر)، سليلة العلم والتقوى، فهي من احفاد المرحوم آية الله الخونساري - صاحب زبدة التصانيف — ورعاية عمته المكرمة (صاحبة خاتم)، المرأة الشجاعة التقيّة. حتى اذا ما بلغ الخامسة عشرة من عمره حرم من نعمة هاتين العزيزتين.

درس الإمام منذ نعومة اظفاره — مستفيداً مما حباه الله من ذكاء متّقد — جانباً من المعارف الشائعة في عصره ومقدمات العلوم والسطوح المعروفة في الحوزات الدينية مثل آداب اللغة العربية والمنطق والفقه والاصول؛ على ايدي اساتذة وعلماء منطقته (كالميرزا محمود افتخار العلماء، والمرحوم الميرزا رضا النجفي الخميني والمرحوم الشيخ علي محمد البروجردي والمرحوم الشيخ محمد

الكلبايكاني والمرحوم عباس الاراكي؛ وقبل هؤلاء اخيه
الاكبر آية الله السيد مرتضى بسنديه — الذي امضى عنده
اكثر وقته الدراسي — سافر بعد ذلك — عام ١٩١٩ م —
الى اراك ليواصل دارسته الدينية في حوزتها.



□ الهجرة الى قم: تحصيل الدروس التكميلية

وتدريس العلوم الاسلامية

بُعِيدَ انتقال آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي^١ رَحْمَةُ اللهِ اِلَى مَدِينَةِ قَم، التَحَقُّقُ الْإِمَامِ الْخَمِينِيِّ بِالْحَوْزَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِقَم فِي رَجَبِ الْمَرْجَبِ عَامَ ١٣٤٠ هـ. فَطَوَى سَرِيْعاً مَرَا حِلَ دِرَاسَتِهِ التَّكْمِيْلِيَّةِ فِي الْحَوْزَةِ الْعِلْمِيَّةِ عَلَى اَيْدِي اَسَاتِذَتِهَا. فَقَدْ اَكْمَلَ كِتَابَ «الْمَطْوَل» (فِي عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ) عَلَى يَدِ الْمَرْحُومِ الْمِرْزَا مُحَمَّدِ عَلِيِّ الْاَدِيْبِ الطَّهْرَانِيِّ، كَمَا اَكْمَلَ دُرُوسَ مَرْحَلَةِ السُّطُوْحِ عَلَى يَدِ الْمَرْحُومِ آيَةِ اللهِ السَّيِّدِ عَلِيِّ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ تَقِيِّ الْخُونَسَارِيِّ، وَالْمَرْحُومِ آيَةِ اللهِ السَّيِّدِ عَلِيِّ الْيَثْرِيِّ الْكَاشَانِيِّ. كَذَلِكَ اَتَمَّ دُرُوسَ خَارِجِ الْفِقْهِ وَالْاَصُوْلِ عَلَى زَعِيْمِ الْحَوْزَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي قَمِ آيَةِ اللهِ الْحَاجِّ الشَّيْخِ عَبْدِ الْكَرِيْمِ الْحَائِرِيِّ الْيَزْدِيِّ رِضْوَانَ اللهِ عَلَيْهِمْ اَجْمَعِيْنَ.

١- آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (١٢٧٦ - ١٣٥٥ هـ)، احد الفقهاء الكبار ومراجع الشيعة العظام في القرن الرابع عشر الهجري. سافر الى مدينتي النجف الاشرف وسامراء في العراق، بعد أن اكمل دراسته لمقدمات العلوم. وهناك تتلمذ على اساتذة عظام وفُهِلَ مِنْ عِلْمِهِمُ الْجَمَّةَ، حَتَّى بَلَغَ مَرْتَبَةَ الْاِحْتِهَادِ. عَادَ اِلَى مَدِينَةِ اِرَاكْ عَامَ ١٣٣٢ هـ، لِيَدْرُسَ فِي حَوْزَتِهَا. وَفِي عَامِ ١٣٤٠ هـ. سَافَرَ اِلَى مَدِينَةِ قَمِ وَقَرَّرَ الْاِقَامَةَ فِيهَا نَزْوِلاً عِنْدَ رَغْبَةِ عِلْمَائِهَا، وَاسَّسَ الْحَوْزَةَ الْعِلْمِيَّةَ فِيهَا. وَقَدْ تَرَبَّى فِي حَوْزَةِ دَرَسِهِ عِلْمَاءُ كِبَارٌ يَقِفُ فِي طَلِيْعَتِهِمْ سَمَاحَةُ الْإِمَامِ الْخَمِينِيِّ (قَلْبِ سُرَّة).



إنَّ الروحَ المرهفةَ الوثابةَ التي كانَ الإمامُ الخميني يتحلَّى بها دفعته إلى عدم الاكتفاء باتقان آداب اللغة العربية والدروس الفقهية والاصولية، بل ان يتعداها إلى الفروع العلمية الأخرى. ومن هنا وتزامناً مع دراسته للفقهِ والاصول على أيدي الفقهاء والمجتهدين، درس الرياضيات والهيئة والفلسفة على المرحوم الحاج السيد أبي الحسن الرفيعي القزويني، ثم واصل دراستها مع العلوم المعنوية والعرفانية لدى المرحوم الميرزا علي أكبر الحكيمي اليزدي، كما درس العروض والقوافي والفلسفة الإسلامية والفلسفة الغربية لدى المرحوم الشيخ محمد رضا مسجد شاهي الاصفهاني، كما درس الاخلاق والعرفان لدى المرحوم آية الله الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي، ثم درس اعلى مستويات العرفان النظري والعملي، ولمدة ستة اعوام عند المرحوم آية الله الميرزا محمد علي الشاه آبادي اعلى الله مقاماتهم اجمعين.

بعد وفاة آية الله العظمى الحائري اليزدي، اثمرت الجهود التي بذلها الإمام الخميني برفقه عدة من المجتهدين في الحوزة العلمية بقم في اقناع آية الله العظمى البروجردى^١ للمجيء الى قم وتسلم زعامة الحوزة العلمية فيها. وخلال هذه الفترة عُرف الإمام الخميني بصفة احد المدرسين والمجتهدين واولي الرأي في الفقه والاصول والفلسفة والعرفان والاخلاق. وان زهده وورعه وتعبدته وتقواه كان يتردد على لسان الخاصة والعامة.

ان هذه الخصال والسجايا الرفيعة التي كانت حصيلة سنوات طويلة من المجاهدة والترييض الشرعي وامتحان المفاهيم والاسس العرفانية في حياته العملية الشخصية والاجتماعية، ونهجه السياسي الذي جسده من خلاله اعتقاده الراسخ بحفظ كيان الحوزات العلمية وقوة الزعامة الدينية والعلماء باعتبارهم الملاذ الوحيد للناس في تلك

١- ولد آية الله السيد حسين على الطباطبائي البروجردى رَحْمَهُ اللهُ فِي مدينة بروجرد عام ١٢٩٢ هـ وبعد ان اتمى دراسة مقدمات العلوم في حوزتها انتقل الى مدينة اصفهان لتابعة دراسته في حوزتها، حيث درس الفقه والاصول. ثم سافر الى النجف الاشرف بالعراق عام ١٣١٩ هـ وبقي فيها ثلثي سنوات يدرس ويُدْرَس. عاد عام ١٣٢٨ هـ، ثم انتقل الى مدينة مشهد. بعدها عاد الى مدينة قم للاقامة فيها. تسنم بعد وفاة (السيد ابوالحسن الاصفهاني) مقام المرجعية الدينية. توفي عام ١٣٨٠ هـ عن عمر نيف على التسعين، وترك وراءه العديد من المصنفات في الفلسفة والمنطق والفقه والاصول وعلم الرجال.

الايام المضطربة الخطيرة، جعلته يوظف دائماً علمه وفضله وجهوده في ترسيخ اسس الحوزة العلمية الفتية في قم. فوقف رغم كل ما لديه من جدارة واختلاف في وجهات النظر، يدعم مرجعية آية الله العظمى الخائري ثم آية الله البروجردي اعلى الله مقامهما، وحتى بعد وفاة آية الله البروجردي. ورغم الاقبال الواسع عليه من قبل الطلاب والفضلاء والمجتمع الاسلامي كأحد مراجع التقليد إلا انه لم يخطُ آية خطوة يُشْمُ منها رائحة السعي لكسب المقام والزعامة، فكان دائماً يبحث بحبه ومريديه على ' عدم الاهتمام. يمثل هذه الامور. بل أنه أصرَّ على نهجه هذا حتى في الوقت الذي التف حوله وعاة المجتمع باعتباره المنادي بالاسلام الحق وانه يمثل ضالتهم المنشودة لتحقيق آمالهم لما كان عليه من التقوى والعلم والوعى، فلم يغير من سيرته ومنهجه قيد ائمة متمثلاً قوله الذي كان يكرره دائماً «إني اعتبر نفسي خادماً وحارساً للاسلام والشعب»^١.

انه الرجل العظيم ذاته الذي عاد في (١ شباط ١٩٧٩م) الى ايران ليجد الملايين من ابناء الشعب وقد اجتمعوا في اكبر مراسم استقبال في التاريخ احتفاءً بقدم قائدهم. وحينما سأله احد الصحفيين بلامقدمة: ما هو شعوركم وانتم تعودون الى بلادكم بعد خمسة عشر عاماً

١- صحيفة الإمام (الفارسية)، ج ٥، ص ٣٥٤

في ضل هذه الابهة؟ سمع منه جواباً غير متوقع، إذ اجابه
سماحته: لا شيء!.

لقد توهم ذلك الصحفي بأن الإمام الخميني كسائر
القادة السياسيين الساعين الى السلطة ينسون انفسهم في
مثل هذه المواطن المثيرة، ويطيرون فرحاً؛ غير ان الجواب
الذي سمعه اوضح له بأن الإمام الخميني من سنخ آخر.

كان الإمام الخميني يعتقد بحق — كما أكد ذلك مرات
ومرات — بأن المعيار في سلوكه وتحركاته هو نيل رضا
الخالق تعالى والعمل بالتكليف واداء المسؤولية الشرعية.
فهو يرى بأن الأمر سيان بالنسبة له سواء كان في السجن
والنفي، أو في ذروة القوة والافتتار، مادام تحركه في سبيل
الله. اساساً ان سماحته كان قد اعرض — وقبل عقود من
ذلك التاريخ — عن الدنيا وما فيها وسلك طريق الوصول
والفناء في الله. ولعلّ اجمل تفسير لرده على سؤال الصحفي
يكمن في بيت الشعر الذي نظمته سماحته:

اذهب الى الخرابات واعتزل الخلق جميعاً

وعلق قلبك بالمطلق واترك الباقي^١



مارس الإمام التدريس - خلال سنوات طوال في الحوزة العلمية بقم، فدرّس عدّة دورات في الفقه والاصول والفلسفة والعرفان والاخلاق الاسلامية في كل من المدرسة الفيضية والمسجد الاعظم ومسجد محمدية ومدرسة الحاج ملاصادق ومسجد السلماسي وغيرها، كما مارس تدريس الفقه ومعارف اهل البيت عليهم السّلام - وعلى ارفع المستويات - في الحوزة العلمية بالنجف الاشرف، في مسجد الشيخ الانصاري رَحِمَهُ اللهُ لما يقارب الاربعة عشر عاماً. وفي النجف الاشرف طرح - ولأول مرة - اسس الحكومة الاسلامية عبر سلسلة دروس ألقاها في موضوع ولاية الفقيه.

وعلى ما نقله طلابه، فإن حوزة الإمام الخميني كانت تعدُّ من اسمى المراكز الدراسية، وقد تجاوز عدد من يحضرون درسه في بعض الدورات - خلال السنوات التي قضاها في التدريس بقم - الالف طالب، كان بينهم العشرات من المجتهدين المعروفين والمعترف باجتهداهم، فكانوا جميعاً ينهلون من مدرسته في الفقه والاصول. فكان من بركات ممارسته التدريس ان تمكّن سماحته من تربية المئات بل الآلاف - اذ اخذنا بنظر الاعتبار طول سنوات الدراسة - من العلماء والحكماء ممن اصبحوا بعد ذلك مشاعل واعلاماً في الحوزات الدينية، ومجتهدين وفقهاء وعرفاء بارزين ممن يشار اليهم بالبنان اليوم في حوزة قم

العلمية وفي سائر المراكز الدينية. وان مفكرين كبار امثال العلامة الاستاذ الشهيد مرتضى المطهري^١ والشهيد المظلوم الدكتور بهشتي^٢، كانوا يفخرون دوماً بأنهم نهلوا من محضر هذا العارف الكامل لسنوات.

١- الاستاذ الشهيد مرتضى المطهري، احد ابرز وجوه علماء الدين المناضلين الذين أسدوا خدمات جليلة على طريق تنوير وتوعية جيل الثورة الاسلامية في كل من الحوزة والجامعة. ورغم مرور اكثر من عقد ونصف على استشهاد هذا العالم المناضل، ما زالت مؤلفاته تحتفظ بحيويتها وجدتها، وتمثل حافزاً قوياً في دفع الجيل الشاب للالتزام والهداية. وفي ذروة نضال الشعب الايراني ضد النظام الشاهنشاهي، عينه قائد الثورة الاسلامية الكبير سماحة الإمام الخميني رئيساً لمجلس قيادة الثورة. استشهد الفيلسوف الاسلامي والعالم المحقق الاستاذ مطهري ليلة الثاني من أيار عام ١٩٧٩ م على يد افراد منظمة الفرقان المنحرفة، مخلفاً وراءه تراثاً فكرياً ضخماً.

٢- الشهيد الدكتور محمد حسين بهشتي من علماء الدين المناضلين، ومن الوجوه العلمية والسياسية للثورة الاسلامية. لعب دوراً كبيراً في ترشيد الطاقات الثورية وضمها الى تنظيم اطلق عليه اسم «الحزب الجمهوري الاسلامي»، الذي ادى دوراً مؤثراً في احباط دسائس الاعداء التي استهدفت الثورة الاسلامية خاصة في الاشهر الاولى من انتصارها. وكان الدكتور بهشتي اول شخص عينه الإمام الخميني رئيساً لمجلس القضاء الاعلى لترتيب شؤون القضاء في البلاد على مختلف المستويات. استشهد الدكتور بهشتي في شهر ايلول/ سبتمبر عام ١٩٨١ م مع جمع من مسؤولي نظام الجمهورية الاسلامية في حادثة الانفجار الذي استهدف مقر الحزب الجمهوري الاسلامي، والذي دبرته ونفذته عناصر حركة المفاقيين (منظمة مجاهدي الشعب)، مخلفاً وراءه مؤلفات عديدة في مختلف المجالات.

واليوم فإن الوجوه اللامعة من العلماء الذين يقودون مسيرة الثورة الاسلامية ويوجهون نظام الجمهورية الاسلامية هم من طلابه وخريجي مدرسته الفقهية والسياسية.

هذا وستكون لنا وقفة عند خصائص ومميزات مدرسة الإمام الخميني في العلوم المختلفة، كما سنعرض في آخر الكتاب وبشكل مختصر الى تعريف كتب الامام ومؤلفاته.

□ الإمام الخميني في خندق الجهاد والثورة

لقد كان لروحية النضال والجهاد في سبيل الله جذور تمتد الى الرؤية الاعتقادية والتربية والمحيط العائلي والظروف السياسية والاجتماعية التي احاطت بحياة الإمام، إذ بدأ جهاده منذ صباه، واخذ هذا الجهاد يتواصل ويتكامل بصور مختلفة جنباً الى جنب تكامل الجوانب الروحية والعلمية في شخصيته من جهة، وتطور الاوضاع السياسية والاجتماعية في ايران والمجتمعات الاسلامية من جهة اخرى. وفي عامي ١٩٦١ - ١٩٦٢ وقّرت احداث مجالس الاقاليم والمدن^١ الفرصة ليلعب دوراً في قيادة حركة

١- قدمت الحكومة الايرانية في ١٠/٨/١٩٦٣ على المصادقة على لائحة الانتخابات المحلية الخاصة بمجالس الاقاليم والمدن، تنص على حذف شرط الاسلام من الناخبين والمرشحين،

علماء الدين. وبهذا النحوانطلقت انتفاضة الخامس من خرداد - الخامس من حزيران ١٩٦٣ - التي شارك فيها العلماء وانباء الشعب معتمدة على دعامتين اساسيتين، اولاهما: قيادة الإمام المطلقة للحركة، وثانيتها: اسلامية دوافع الانتفاضة واهدافها وشعاراتها، لتمثل فصلاً جديداً في جهاد الشعب الايراني؛ ذلك الفصل الذي عرف في العالم اجمع باسم «الثورة الاسلامية».

لقد ولد الإمام الخميني في وقت كانت ايران تمر فيه بأقسى ادوار تاريخها. فالحركة الدستورية^١ تعرضت للضياع

واستبدال السيمين الدستورية في مراسيم التحليلف بالكتاب السماوي بدلاً من القرآن الكريم. وقد عارض الإمام الخميني ذلك بشدة وجعل منه محفزاً لتأجيج انتفاضة الشعب ضد الحكومة.

١- ساعد كل من تفاقم اوضاع ايران اوآخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، واشتداد تدمير الناس من ظلم واضطهاد الحكام المستبدين واعواهم الخونة، وضعف مظفر الدين شاه - الملك وقتئذ - وعدم كفاءته في ادارة شؤون البلاد؛ وصحوة الشعب وتنامي وعيه؛ وتحرك علماء الدين وطلبة العلوم الدينية، ساعد كل ذلك على إعداد الارضية لا نطلاقة نهضة عُرفت بالحركة الدستورية، توّجت بعد نضال طويل بالنصر عام ١٩٠٦ م.

وعلى الرغم من ان هذه النهضة لم توّجه الوجهة الصحيحة، إلا أنها أوجدت تحولاً كبيراً في تركيبة المجتمع الايراني، وأزالت الفوارق الطبقيّة، وصادرت نفوذ رجال الحكم والاقطاعيين، وعملت على سيادة القانون والعدالة. بيد أن الحركة الدستورية لم تحقق اهدافها المرجوة نتيجة لنفوذ العناصر المتغربة، وابعاد رجال الدين عن المعترك السياسي والسلطة. ولم يمر وقت طويل حتى

نتيجة دسائس ومعارضات عملاء الانجليز في البلاط القاجاري والصراعات الداخلية وخيانة بعض المتغربين وتعرض العلماء — الذين كانوا يمثلون طبيعتها — الى الاقصاء من ساحة الاحداث. بمختلف انواع المكائد ليعود النظام ملكياً مستبداً مرة اخرى. كذلك فإن الطبيعة العشائرية التي كانت تنسم بها العائلة القاجارية المالكة، وضعف الحكام وعدم صلاحيتهم أدى الى تدهور اقتصادي واجتماعي شديدين في ايران وأطلق ايدي الاقطاعيين والاشرار لسلب الامن والامان.

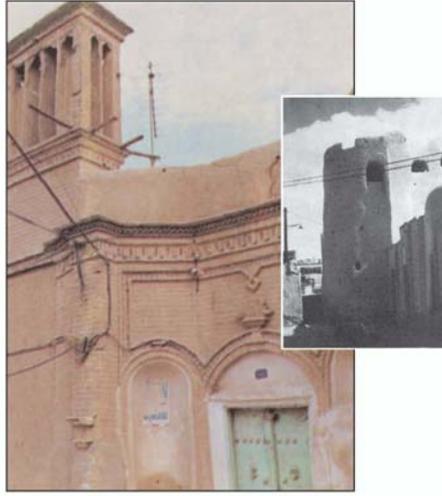
وفي ظروف كهذه كان العلماء يمثلون الملاذ الوحيد للناس في مختلف المدن والمناطق. وكما اشرنا سابقاً فقد شهد الإمام الخميني في طفولته استشهاد والده نتيجة لدفاعه عن حقوقه وحقوق اهل منطقته ووقوفه في وجه الاقطاعيين وعملاء الحكومة آنذاك. إن أسرة الإمام ألفت — في الحقيقة — الهجرة والجهاد في سبيل الله منذ القدم.

يستعرض الإمام الخميني بعض ذكرياته عن الحرب العالمية الاولى — وكان حينها يبلغ من العمر اثني عشر عاماً — فيقول:

«إنني اتذكر كلتا الحربين العالميتين.. كنت صغيراً الا اني كنت اذهب الى المدرسة وقد رأيت الجنود الروس في

اعداد رضاحان — والد شاه ايران المخلوع — من خلال انقلابه، الحكم الوراثي الى البلاد.

المركز الذي كان في (خمين) رأيتهم هناك واذكر كيف تعرضت بلادنا للاجتياح في الحرب العالمية الاولى^١.



وفي موضع آخر يذكر سماحته أسماء بعض الاقطاعيين الظالمين الاشرار الذين كانوا يمارسون النهب والاعتداء على اعراض الناس واموالهم مدعومين من قبل الحكومة المركزية:

«كنت في حرب منذ طفولتي ... فقد كنا نتعرض لهجمات اشرار من امثال زلقي ورجب علي^٢، وكانت

١- صحيفة الإمام، ج١٢، ص٣٧٤.

٢- هما فتان من الأشرار والاقطاعيين الظالمين، كانتا تمارسان الظلم والنهب في المحافظة المركزية - ٧٧٢ كم جنوب طهران - أثناء العهد القاجاري الذي تميز بالفوضى.

عندنا بندقية، أذكر أني كنت اقارب البلوغ آنذاك فكنت اذهب مع البقية لاتخاذ مواقعنا في الخنادق المعدة للدفاع ضد هجوم اولئك الذين كانوا يقصدون الاغارة علينا. نعم كنا نذهب هناك ونتفقد الخنادق»^١.

ويقول سماحته في موضع آخر:

«لقد كنا مضطرين الى اعداد الخنادق في خمين — المنطقة التي كنا نعيش فيها — وكانت عندي بندقية، غير اني كنت لا ازال حينها يافعاً لم اناهز الثامنة عشرة بعد، وكنت اتدرب على البندقية واحملها وبما يتناسب مع سني. نعم كنا نذهب للتحصن في الخنادق ونواجه هؤلاء الاشرار الذين كانوا يغيرون علينا. لقد كان الوضع متسماً بالفوضى والهرج والمرج، ولم يكن لدى الحكومة المركزية القدرة على السيطرة على الاوضاع، ... وفجأة سيطروا على خمين فهبّ الناس لمواجهتهم وحملوا السلاح وكنت من بين من حملوا السلاح»^٢.

كان انقلاب رضاخان^٣ في ٢٢ شباط ١٩٢١ م. مخططاً ومدعوماً من قبل الانجليز، كما تشير الى ذلك

١- صحيفة الإمام، ج ١١، ص ١٢-١٣.

٢- صحيفة الإمام، ج ١١، ص ٢٥٩.

٣- رضا خان، والد محمد رضا شاه ايران المخلوع. نفذ في ايران عام ١٩٢١ م طبقاً لمخطط الحكومة البريطانية، انقلاباً عسكرياً، وفي

الوثائق التاريخية الثابتة والمؤكدة. ومع انه قضى على الحكم القاجاري ووضع حداً للقبليّة والخوانين والاشرار، الا انه اقام حكماً مستبدّاً حكمت تحت مظلتها بضغُ مئات العوائل مصيرَ الشعب المظلوم. وتصدت العائلة البهلوية للعب دور الخوانين والاشرار السابق.



سيطر رضا خان طوال عقدين من حكمه على نصف الاراضي الزراعية في ايران وثبت ملكيتها له رسمياً وشكّل هيكلًا ادارياً لادارتها والمحافظة عليها يفوق في تشكيلاته هيكلية الوزارات الكبرى، وسعى في هذا السبيل — ما وسعه — حل المشاكل القانونية المترتبة على نقل ملكية الاراضي — حتى الموقوفة منها — باسمه، فاصدر لذلك

عام ١٩٢٥ تربع على عرش السلطنة. واستمر في الحكم ستة عشر عاماً. من اول الخطوات التي اقدم عليها خلال فترة حكمه، منع تدريس القرآن والتعاليم الدينية واقامة صلاة الجماعة في المدارس، اضافة الى منعه إقامة الشعائر الدينية في مختلف مدن البلاد.

عشرات اللوائح والمصوبات القانونية من المجالس البرلمانية السورية التي كان يأمر بتشكيلها. وقد شاع ذلك الى درجة جعلت ما كُتِبَ عن حياته — من قبل مؤيديه أو معارضيه — يدور في اغلبه حول املاكه وما اقتناه من الحلي والمجوهرات والشركات والمراكز التجارية والصناعية. كانت سياسة رضاخان الداخلية تركز الى اسس ثلاثة هي: الحكم العسكري والبوليسي العنيف، والمواجهة الشاملة للدين ورجاله، والعمالة للغرب، وراح يصرّ عليها الى اواخر عهده.

في مثل هذه الظروف هبّ علماء الدين الايرانيون — الذين تعرضوا للهجوم المتواصل من قبل الحكومات التي توالى على الحكم بعد الحركة الدستورية، فضلاً عما تعرضوا له من قبل عملاء الانجليز والمثقفين من عملاء الغرب الفكريين — للدفاع عن الاسلام وحفظ كيانهم وكرامتهم، إذ هاجر آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري — نزولاً عند رغبة علماء قم الاعلام — الى مدينة قم تاركاً أراك، وتُعيد ذلك بفترة وجيزة هاجر اليها الإمام الخميني — الذي كان قد انهى وبسرعة دراسة المقدمات والسطوح في الحوزة العلمية في خمين وارك — وهناك ساهم عملياً بدور فعال في تحكيم وجود الحوزة الفتية، ولم يمض وقت طويل حتى عُدَّ الإمام

الخميني من الفضلاء الاعلام في هذه الحوزة واشتهر في مجالات العرفان والفلسفة والفقه والاصول.

وكما اسلفنا إن حفظ كيان العلماء والمرجعية كان من الضرورات الملحة آنذاك، وذلك لافشال المخططات التي كان يُعدّها رضاخان ومَن بعده، والتي كانت تستهدف علماء الدين، والحيلولة دون تحقيقهم اهدافهم المتوخاة. وعلى هذا الاساس نرى الإمام — ورغم ما كان بينه وبين آية الله العظمى الخائري ومن بعده آية الله العظمى البروجردي من اختلاف في وجهات النظر بشأن بعض المسائل حول كيفية مواجهة الحوزات العلمية ومراجع التقليد للظروف المستجدة، وحول دور العلماء بهذا الشأن — يقف على الدوام بقوة وحزم الى جانبيهما للدفاع عن المرجعية ودورها طوال فترة زعامتهما.

كان الإمام الخميني مولعاً بمتابعة القضايا السياسية والاجتماعية. وكان رضاخان قد اقدم في تلك السنوات — وبعد ان فرغ من تثبيت دعائم حكمه — على تنفيذ مخطط واسع للقضاء على مظاهر الثقافة الاسلامية في المجتمع الايراني. ففضلاً عن ممارسة انواع الضغوط ضد العلماء، اصدر اوامره بإلغاء مراسم العزاء والخطابة الدينية ومنع تدريس المسائل الدينية والقرآن وإقامة صلاة الجماعة في المدارس، وورّج للهمس حول نزع الحجاب وفرض السفور على النساء الايرانيات المسلمات. وقبل أن يترجم

رضاخان اهدافه عملياً على مستوى واسع، بادر علماء الدين الايرانيون الملتزمون للاعتراض على ممارساته بسوحي من معرفتهم بالاهداف غير المعلنة التي كان رضاخان ينوي تحقيقها. وللاعتراض على بعض هذه الممارسات، أقدم بعض علماء اصفهان المتلزمين بقيادة آية الله الحاج آقا نور الله اصفهاني عام (١٩٢٧ م) على الهجرة الجماعية الى قم للاعتصام فيها، وترافقت هذه الحركة مع هجرة العديد من العلماء من مدنٍ اخرى الى قم ايضاً، وبالفعل فقد استمر هذا الاعتصام لمدة مائة وخمسة ايام (من ١٢ أيلول الى ٢٥ كانون الاول عام ١٩٢٧ م) انتهى بعدها بتراجع رضاخان - ولوفي الظاهر - وتعهد رئيس الوزراء آنذاك (مخبر السلطنة) بتلبية مطالب المعتصمين. وباستشهاد قائد الانتفاضة في كانون الاول عام ١٩٢٧ على يد عملاء رضاخان انتهى الاعتصام عملياً.

اتاحت هذه الحركة الفرصة لطالب العلوم الدينية الشباب روح الله الخميني الذي كان يتحلى باللياقات والاستعدادات اللازمة للمواجهة والتصدي، لان يطلع عن كتب - ومن خلال حضوره المباشر في صُلب تلك الحركة - على اساليب المواجهة، وما يتعرض له العلماء من ظلم، علاوة على التعرف على ملامح شخصية رضاخان اكثر فأكثر.

من جهة اخرى كانت قد حصلت قبل اشهر من هذه الحادثة، في آذار عام ١٩٢٧، مشادة كلامية بين آية الله الباقفي ورضاخان، حوصرت على اثرها مدينة قم من قبل قوات الشرطة وتعرض العالم المجاهد الباقفي الى الضرب والنفي الى مدينة الريّ بأمر من رضاخان. هذه الحادثة والحوادث المشابهة وما كان يحصل في المجالس التشريعية في تلك الايام — خصوصاً الحركة الجهادية الدؤوبة التي كان يمارسها المجاهد المعروف آية الله السيد حسن المدرس^١ — تركت تأثيرها على روح الإمام المرهفة الوثابة.

١- السيد حسن المدرس (١٢٨٧-١٣٥٧ هـ)، احد الوجوه السياسية — الدينية البارزة في تاريخ ايران المعاصر. اكمل دراسة مقدمات العلوم في اصفهان وواصل دراسته للعلوم الدينية في العتبات المقدسة على يد اساتذة كبار امثال الآخوند الخراساني. وبعد حصوله على مرتبة الاجتهاد، عاد الى اصفهان واشتغل بتدريس الفقه والاصول. عُيّن عام ١٣٢٨ في الدورة الثانية لمجلس الشورى الوطني، عضواً في لجنة الإشراف على سنّ القوانين ومراقبتها، وذلك بطلب من علماء النجف وايران. كما تم انتخابه من قبل ابناء طهران للدورة الثالثة من مجلس الشورى الوطني. اعتُقل ونفى خلال حوادث انقلاب رضاخان. وبعد اطلاق سراحه تم انتخابه من قبل ابناء الشعب للدورة الرابعة من مجلس الشورى الوطني. وكان يتولى قيادة المعارضة لرضاخان في المجلس. عارض بشدة محاولات رضاخان في تبديل الملكية المشروطة بالدستور الى الجمهورية، مما دفع المجلس لرفضها وعدم المصادقة عليها. كذلك واجه بقوة استبداد رضاخان واهواءه مما دفع رضاخان الى دس افراد لاغتياله، إلا ان محاولة الاغتيال فشلت في القضاء على السيد المدرس فاضطر الى نفيه الى خوف

وحينما أصدر رضاخان امره بفرض الامتحانات على طلاب العلوم الدينية في الحوزة العلمية بقم هادفاً القضاء على الحوزة، انبرى الإمام الخميني لفضح الاهداف الخفية لهذا الامر وتصدى لمعارضته وحذر بعض العلماء المشهورين — الذين عدوا ذلك الأمر ونتيجة لسذاجتهم امراً اصلاحياً — من مغبة القبول به.

وللاسف فإن المؤسسة العلمائية الايرانية كانت تعيش آنذاك حالة الانزواء نتيجة الاعلام المكثف الذي كانت تمارسه اجهزة النظام الدعائية، وبفعل الظروف والاختلافات والاجباطات التي نجمت عن الحركة

وكاشتر. وبعد احد عشر عاماً على نفيه، امر رضاخان أعوانه بدس السم اليه، فاستشهد احد ابرز رجال ايران في السابع والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٥٧ هـ.

كان الشهيد المدرس ذا خُلُق وعطف شديد. ورغم نفوذه السياسي والديني، كانت حياته بسيطة متواضعة وفي غاية الزهد. وكان الإمام الخميني يكنّ له احتراماً كبيراً. وبمناسبة اعادة بناء مقبرة الشهيد مدرس، كتب قائد الثورة الاسلامية يقول: لم يكن السيد المدرس يتردد في اظهار الحق وابطال الباطل في وقت كانت الاقلام محطّمة والألسن معقودة والخناجر مكتومة. لقد صمد هذا العالم ذوالبنية والروح العظيمة المعفمة بالامان والصدق وقول الحق، ولسان كسيف حيدر الكرار، صمد وصرخ بكلمة الحق وفضح جرائم رضاخان وبدد احلامه. وفي النهاية قدّم روحه الطاهرة على طريق الاسلام العزيز والشعب النبيل، حيث استشهد على يداعوان السلطة الشاهنشاهية الظالمة، ليلتحق بأجداده الطاهرين.

الدستورية. وقد وصل الامر الى درجة ان بعض المنحرفين فكراً وطلاب الراحة والقشريين راح يعارض بشده تدريس ودراسة بعض المواد الدراسية الحوزوية كالعرفان والفلسفه التي تؤدي بالنتيجة الى إثارة الوجدان والبحث في المسائل والمصائب الواقعة.

وقد بلغ الضغط بهذا الاتجاه حدّاً عرض الإمام الخميني الى تحمل ما لا يطاق من اجل تعطيل درسه في الفلسفة والعرفان والاخلاق، الامر الذي اضطره الى اعطاء دروسه في الخفاء فكان حصيلة تلك المساعي تربية شخصيات من امثال العلامة الشهيد آية الله المطهري.

ونتيجة لمقاومة العلماء وابناء الشعب الايراني، فشل رضاخان الى حد كبير، رغم كل ما اوتي من قوة، في تحقيق تطلعاته بالقضاء على الاسلام وفرض السفور ومنع الشعائر الدينية، وفي الكثير من الاحيان اضطر الى التراجع والانسحاب.

بعد وفاة آية الله العظمى الحائري (٣٠ / ١ / ١٩٣٧ م) واجهت الحوزة العلمية في قم خطر التشتت والانحلال. فبادر العلماء الملتزمون وعلى مدى ثمانية اعوام لادارة شؤونها وفي مقدمتهم أصحاب السماحة: السيد محمد الحجة، السيد صدر الدين الصدر، والسيد محمد تقوي الخونساري رضوان الله عليهم. وفي هذه الفترة وخصوصاً بعد سقوط رضاخان تهيأت الظروف للمرجعية العليا،

فاقتراح ان يرفع آية الله البروجردي الذي كان من ابرز الشخصيات العلمية، لتسئم مقام المرجعية والحفاظ على كيانها خلفاً لآية الله الحائري. وبسرعة تم متابعة هذا الاقتراح من قبل تلامذة آية الله الحائري ومن ضمنهم الإمام الخميني، فسعى سماحته شخصياً في إقناع آية الله البروجردي للهجرة الى قم وقبول المسؤولية الخطيرة المتمثلة في تزعم الحوزة العلمية.

لقد ادرك الإمام الخميني — ومن خلال اطلاعه على حساسية الظروف السياسية التي يمرُّ بها المجتمع، والوضع الذي تعيشه الحوزات العلمية، وطبيعة حركة التاريخ التي كان يستلهمها ومن مطالعته المستمرة لكتب التاريخ المعاصر والمجلات والصحف الدورية الصادرة وقتئذ، وما كان يقوم به من زيارات متوالية الى طهران^١ والمشاركة في مجالس العلماء الاعلام من امثال آية الله المدرس — أدرك بأن الامل الوحيد بالتححرر والنجاة من النكسة التي اعقبت فشل الحركة الدستورية، وبالخصوص بعد تولي رضاخان للسلطة، يمكن في تسليح الحوزات العلمية بالوعي، وقبل ذلك ضمان استمرار وديمومة وجود الحوزات العلمية وتمتين عرى الارتباط بين الجماهير والمؤسسة العلمائية.

١ - يشير الإمام إلى هذا الكلام في أحاديثه.

لدى هجرة آية الله السيد البروجردي الى مدينة قم، عكف الإمام الخميني، باعتباره احد المجتهدين والمدرسين المعروفين في الحوزة العلمية بقم، على تحكيم اسس زعامة ومرجعية آية الله البروجردي، وقد بذل في هذا السبيل مساعٍ حثيثة. واستناداً لما ينقله طلابه واطب الإمام حينها على حضور درس المرحوم آية الله البروجردي في الفقه والاصول.

ورغبة منه في متابعة مسيرته في تحقيق أهدافه السامية، اعدَّ الإمام الخميني بر فقه آية الله مرتضى الحائري في عام (١٩٤٩ م) مقترحاً لإصلاح البنية العامة للحوزة العلمية، وقام بتقديمه الى آية الله البروجردي رَحِمَهُ اللهُ وقد حظي هذا المقترح باستقبال ودعم تلامذة الإمام وطلبة العلوم الدينية الواعين.

ولو كان طَبَّقَ هذا المقترح عملياً في تلك الظروف، لأصبحت الحوزة العلمية مؤسسة ذات تشكيلات علمية واسعة تسهل عليها اداء دورها المطلوب، غير أنَّ الخناسين المتظاهرين بالقداسة الذين رأوا ان هذا المقترح سيؤدي الى تعكير صفو اوضاعهم المترفة الهادئة، اصابوا بالاضطراب فانطلقوا يعارضون ويحبطون حتى بلغ الأمر ان غيّر آية الله البروجردي نظرتة الاولى ورغبته القلبية في ذلك، فاشاح اخيراً عن قبول هذا المقترح. ونتيجة لذلك تأثر آية الله مرتضى الحائري فسافر للاقامة في مشهد مدة من الزمن،

غير أن الإمام الخميني اصرَّ على البقاء رغم قسوة الظروف ورغم تألمه مما حدث وما تلاه من حوادث مشابهة، آملاً في حركة الوعي المرتقبة الوقوع في الحوزة العلمية.

قبل ثمانية أعوام من ذلك التاريخ وفي (١٩٤١ م) كانت إيران قد تعرضت للاحتلال من قبل جيوش الحلفاء، وقد استسلم المستبد — الذي أمضى عشرين عاماً في تجهيز قواته المسلحة منفقاً المبالغ الطائلة عسى أن يتمكن بواسطتها من حبس الانفاس في صدور أبناء شعبه — أمام هجمات الغزاة، ووفقاً لما أقرَّ به ابنه محمد رضا فإن جنوده قد بادروا للفرار من مختلف جبهات المواجهة امام اولى الاطلاقات التي اطلقتها قوات الحلفاء وقبل ان يتقابلوا معهم^١. وإثر ذلك أرغم رضاخان على التنازل عن العرش رغم كل ادعاءاته، وغادر البلاد مجبراً.

كان رد الفعل الشعبي متناقضاً، فمن جانب كانت الجماهير تعيش الحزن والانكسار نتيجة اجتياح قوات الحلفاء لاراضي بلادهم، وفي الوقت نفسه كانت مشاعر السرور والفرح البالغ تعم الجميع نتيجة سقوط المستبد — الذي كانت امواله المنقولة التي جمعها من كدح الفقراء

١- انظروا إلى: بملوي، محمد رضا؛ مأمويت براي وطنم (مهمة من أجل وطني)؛

ومن سنين النهب للثروات الوطنية — تُجاوِزِ الستمائة
وثمانين مليون من الريالات الايرانية (في ذلك الوقت)^١.
صدر الامر بتعيين الملك الجديد من السفارة الانجليزية
وموافقة عضواً آخر من قوات الحلفاء وهو روسيا، وكان
الاختيار قد وقع على محمد رضا بهلوي، وبذلك بدأ
فصل جديد من العذاب والعناء استمر لسبعة وثلاثين عاماً
تميزت ببيع استقلال البلاد وعزتها.
امتاز العامان الاوّلان من حكومة محمد رضا بالتزلزل
وعدم الاستقرار، الأمر الذي اتاح الفرصة للجميع بأن
يلتقطوا انفسهم، فبادرت الاحزاب والشخصيات السياسية
الى توضيح اهدافها ومراميتها، فتوجه البعض نحو القومية التي
كانت تتناغم مع اهداف الملك الشاب، في حين توجه جمع
آخر من السياسيين نحو النفوذ في هيكل الدولة والتشكيلات
التشريعية. وشهدت الساحة آنذاك غياب بعض العلماء
المجاهدين من امثال آية الله المدرس، الذين كان وجودهم
وقتئذ سيمثل دعامة اساسية لخيمة الثورة الشعبية، إذ
تعرضوا للتصفية الجسدية على ايدي ازام رضاخان.
كذلك فإن الشيوعيين والاحزاب السياسية المرتبطة بالخارج
كانت تعلن عن مواقفها بناءً على الاوامر الصادرة من
موسكو وغيرها.

١ - انظر الى: الكوثر ... شرح وقايح انقلاب اسلامي؛ ج ٣، ص ٦٩.

اما الحوزة العلمية في تلك الايام فقد كانت عاجزة عن تحمل مسؤولياتها الاجتماعية ودخول ميدان الاحداث — كما اشرنا سابقاً — وذلك نتيجة للحملات المسعورة التي شنّها رضاخان ضدها ونتيجة لنفوذ الانتهازيين والنفعيين فيها ممن ساهموا في انزوائها وعزلها عن المجتمع.

ومن الطبيعي ان لا تكون تلك حالة عامة شاملة، فقد كان جمع من الاخيار المجاهدين من امثال نواب الصفوي^١ وانصاره — ممن كانوا يعتقدون بمبدأ تشكيل الحكومة الاسلامية — يعدّون العدة في تلك الظروف المضطربة استعداداً لخوض مرحلة الجهاد المسلح البطولي. وقد وصف



الإمام الخميني غربة المجاهدين في سنوات الكبت والاحتناق تلك التي مرت عليهم في عهد رضاخان بأبيات من الشعر قال فيها:

١- الشهيد السيد مجتبي نواب صفوي، احد مؤسسي منظمة «فدائيو الاسلام» التي تم تشكيلها عام ١٩٤٤ م، والتي تعتبر من الحركات الدينية العريقة التي آمنت بالاسلام ودور علماء الدين في قيادة الجماهير. ومن ابرز اعمالها تنفيذ عمليتي اغتيال «عبد الحسين هجر» و«سپهبد رزم آرا» رئيسي وزراء البلاط الملكي. تم اعتقال الشهيد نواب صفوي وسائر اعضاء حركته وقدموا لمحاكمة صورية قضت باعدامهم.

«أين نتوجه للشكوى من جور رضاخان وقد حسبت
الانفاس في الصدور كيف نصرح ولم يبق من الانفاس ما
يمكننا من الصراخ!»^١

انتهد الإمام الخميني الفرصة المتاحة فقام بتأليف ونشر كتابه «كشف الاسرار» (عام ١٩٤٣ م) الذي تعرّض فيه الذكر المآسي التي تميزت بها فترة العشرين عاماً من الحكم البهلوي ودافع فيه عن الاسلام والمؤسسة العلمانية، وازال الشبهات التي اثارها المنحرفون، ونوّه في كتابه هذا الى فكرة الحكومة الاسلامية وضرورة النهوض لاقامتها.

ثم اصدر سماحته وبعد عام من ذلك التاريخ (نيسان ١٩٤٤ م) ما يمكن اعتباره اول منشور سياسي له، طالب فيه — وبصراحة — علماء الاسلام والأمة الاسلامية بالنهوض والانتفاضة العامة. ويمكن القول بأن لهجة البيان ومضمونه وطبيعة المخاطبين الذين خاطبهم تشير كلها الى أن الإمام لم يكن يتوقع قياماً وشيكاً من الحوزة في مثل تلك الظروف المؤسفة التي كانت تمر بها. وان الدافع وراء اصرار هذا المنشور كان دق اجراس الخطر وتنبهه طلبية العلوم الدينية الشباب لحقيقة ما يدور حولهم^٢.

١- ديوان الإمام، ص ٣١٧.

٢- صحيفة الإمام، ج ١، ص ٢١-٢٣.

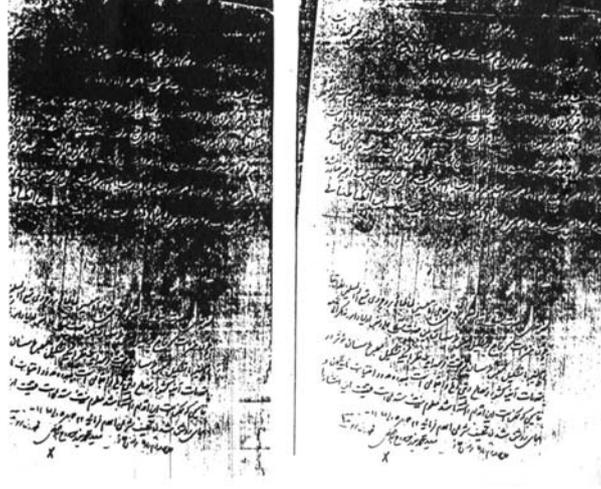
هذا وكانت ملامح شخصية الإمام ومواقفه السياسية قد اتضحت أكثر فأكثر بعد تحركه الأخير. وبهذا النحو كانت قد تشكلت بالتدريج نواة من تلامذة الإمام ممن يتفوقون معه في الفكر والرؤية، وكان لا غلبهم ادوار هامة في احداث انتفاضة الخامس من حزيران ١٩٦٣، وفي سنوات الاحتناق التي تلتها.

وباختصار فإنهم واصلوا مسيرتهم مع الإمام حتى ما بعد الثورة، فمن تمكن منهم من العبور بسلام من مضيق ما قبل الثورة وخرج سالماً من المعتقلات وأنواع التعذيب — الذي كان المجاهدون يعرضون له — أدى دوره في المواقع الحساسة من هيكل النظام الاسلامي في أشد الظروف حساسية وحرجة.

وطبقاً للوثائق التاريخية والمذكرات المتوافرة، بذل سماحة الإمام جهده الجهد في الجمال الحوزوي خلال فترة مرجعية وزعامة آية الله البروجردي رَحِمَهُ اللهُ — فضلاً عن ممارسته دوره المعهود في التدريس والبحث وسائر المجالات المختلفة — للدفاع عن موقع المرجعية والحوزات العلمية من جانب، ونشر الوعي السياسي والاجتماعي وتحليلاته للمسائل السياسية الجارية والمبادرة لاطلاق التحذيرات في الأوقات المناسبة حول اغراض النظام الملكي والحيلولة دون نفوذ العناصر المنحرفة والمترفة الى اوساط الحوزات العلمية من جانب آخر.

وفي غضون ذلك، كان الإمام يواصل الاتصالات بالشخصيات السياسية الواعية في طهران من امثال آية الله الكاشاني ويتابع الاحداث بدقة بشيئ السبل بما في ذلك متابعة جلسات مجلس الشورى الوطني والنشرات المهمة التي كانت تصدر وقتئذ.

عندما دبّ الهمس (عام ١٩٤٩ م) حول تشكيل المجلس التأسيسي لتغيير الدستور واطلاق العنان للشاه، اشيع بأن آية الله العظمى البروجردي كان راضياً بتلك التغييرات المرتقبة وان مشاورات قد جرت بالفعل بينه وبين بعض المسؤولين بهذا الشأن، تأثر الإمام الخميني لهذه الشائعة فبادر للتحذير بصراحة ووضوح من مغبة هذا الامر، ثم بعث رسالة مفتوحة، اعدّها بالتعاون مع بعض المراجع والعلماء الاعلام حينها الى آية الله البروجردي يستطلع حقيقة الأمر. الأمر الذي دفع آية الله البروجردي الى اصدار بيان كذّب فيه وجود اي اتفاق. وفي الوقت نفسه اصدر آية الله الكاشاني بياناً من منفاه في لبنان طالب فيه بضرورة الوقوف في وجه القرارات والخطوات التي يزمع الملك القيام بها.



وحيثما جرت انتخابات الدورة السادسة عشرة لمجلس الشورى الوطني، وتمّ انتخاب آية الله الكاشاني من قبل اهالي طهران، وقد ادى الائتلاف والتنسيق بين جناح آية الله الكاشاني والجمعية الوطنية الى ترجيح كفة الميزان لصالح انصار نهضة تأميم النفط ولغير صالح الملك، كذلك قام فدائيو الاسلام الذين كانوا يتمتعون بدعم آية الله الكاشاني، بعدة عمليات خاطفة لم يسبق لها مثيل تمّ من خلالها انزال ضربات موجعة في هيكل الحكومة العميلة للملك. واعتماداً على هذه التأييد الذي توفر له استطاع الدكتور مصدق ان يتسهم قيادة البلاد، ثم انطلقت انتفاضة

الثلاثين من تير ١٣٣١ (١٢ تموز ١٩٥٢ م) في طهران، فتلقت ايران بوشاح الفرح والسرور نتيجة تحقق مطلبها القديم بتأميم النفط، غير انه لم يمض وقت طويل حتى ظهرت ملامح عدم الانسجام في جبهة الائتلاف،

١- خلال فترة رئاسة الدكتور مصدق للحكومة توالت المخططات والمؤامرات ضده من قبل مختلف الاجنحة السياسية، وفي مقدمتها البلاط الملكي الذي سعى جاهداً للاطاحة بحكومة الدكتور مصدق. وحينما شعر مصدق بذلك طلب من الملك ان يفوضه امر وزارة الدفاع ليستمكن من السيطرة على الاوضاع، غير ان الملك لم يعاً بطلبه هذا، الامر الذي دفع الدكتور مصدق الى تقديم استقالته في ١٦/٧/١٩٥٢ م، فيادر الملك على الفور الى تنصيب قوام السلطنة رئيساً للحكومة. غير انه وبمجرد الاعلان عن ذلك، انتفضت الجماهير، وأصدر آية الله الكاشاني بياناً اعلن فيه بصراحة عن معارضته لتنصيب قوام السلطنة، كما اعلن سماحتة في مقابلة اجريت معه بأنه سيصدر حكماً باعلان الجهاد، وسير تدي كفنناً ويتقدم الجماهير للاطاحة بالحكومة ما لم يُقَلْ قوام السلطنة من منصبه خلال مدة اقصاها ثمان واربعين ساعة. وبمجرد اطلاع الجماهير على موقف آية الله الكاشاني الحازم، عطلت الاسواق والمتاجر اعمالها، ونزلت الجماهير الى الشوارع مطالبة باقالة قوام السلطنة الذي بادر بدوره الى اصدار الاوامر باطلاق النار على المتظاهرين، مما أسفر عن سقوط العديد من القتلى والجرحى من ابناء الشعب. وإثر ذلك سارع ممثلواالحكومة والملك الى لقاء آية الله الكاشاني لاقتناعه بتهدئة الجماهير، غير ان سماحتة اصرّ على موقفه واكد أنه سيعلن فتوى الجهاد ما لم يُقَلْ قوام السلطنة من منصبه. ولما احس الملك بتزلزل موقفه، اقال قوام السلطنة واعاد الدكتور مصدق الى رئاسة الوزراء في ٢١/٧/١٩٥٢. وهكذا مثلت تلك الايام ذروة تواجد ابناء الشعب في ساحة الصراع وتلاحم القوى الدينية والوطنية النشطة وقتئذ.

وتفاقت الاختلافات بين (فدائيي الإسلام) وآية الله الكاشاني، وقادة الجبهة الوطنية الى حد المواجهة احياناً، إذ اصرَّ المرحوم الكاشاني على رفض اقتراح دفع الغرامة للإنجليز في مقابل تأمين النفط، وكان يعتقد بأنَّ على الإنجليز أنفسهم ان يدفعوا الغرامة لإيران عن نهبهم النفط الإيراني لمدة خمسين عاماً، ولهذا السبب حذر سماعته الدكتور مصدق بشدة من مغبة التنازل أو المساومة في هذا الشأن.



من جانب آخر كان آية الله الكاشاني يعارض بشدة استبدال الانجليز بالأمير كان والشركات الأميركية في مجال

تعددين النفط وسائر المجالات الاقتصادية في البلاد. في حين ان الغالبية من المسؤولين في حكومة مصدق كانوا يميلون بصراحة نحو هذا الاتجاه.

كذلك كانت مشاركة بعض العناصر غير الاسلامية في نهضة تأميم النفط والاعتماد على (حزب تودة) الشيوعي، من جملة الامور موضع الخلاف، إذ ادى نفوذ تلك العناصر المتزايد جنباً الى جنب تنامي صلاحيات رئيس الوزراء، الى تنامي وتيرة الاعلام المبرمج المعادي للاسلام، وبلوغ خيانات حزب تودة ذروتها وانزواء التيار المتدين في النهضة مما اتاح الفرصة لامريكا للقيام بانقلابها الناجح في (١٩ آب ١٩٥٣م) واعادة الملك ليمسك بزمام السلطة المطلقة، والتخلص من معارضية.

ويتضح من خطابات الإمام وكلماته التي ألقاها حول أحداث الانتفاضة الوطنية بأن سماعته كان مدركاً هشاشة هذا الائتلاف مسبقاً.

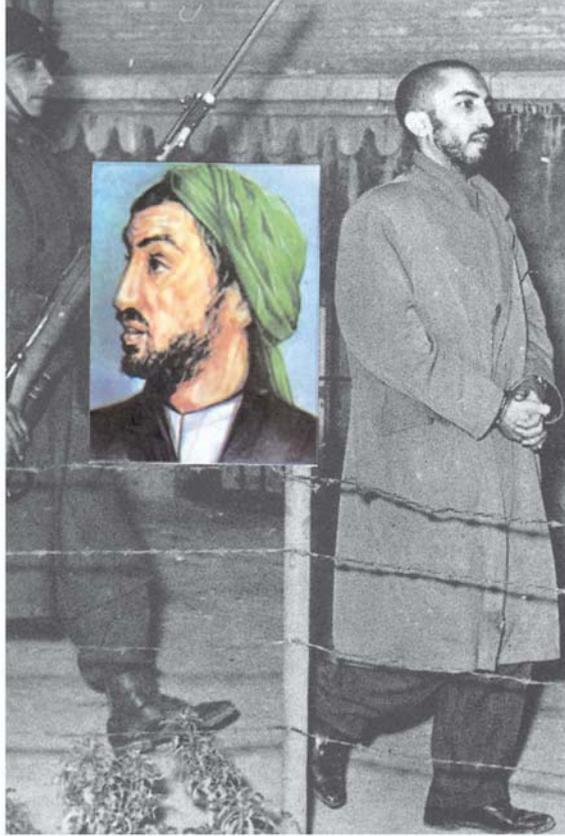
حققت النهضة الوطنية انتصارات باهرة على طريق تحقيق اهدافها المعادية للاستعمار، إلا أن عملية تأميم صناعة النفط كانت تنطوي على ثغرات مقطعية وزمانية حالت دون تحقيقها — منفردة — ديمومة النهضة على المدى البعيد. ان عدم إيمان التيار الوطني في النهضة بالشعارات والاهداف المطروحة من قبل التيار الديني الذي كان يحظى بتأييد الجماهير، وغياب القيادة الموحده، ونفوذ

العناصر المنحرفة وغياب الاهداف السياسية والثقافية المشتركة التي باستطاعتها استقطاب الجماهير الايرانية المسلمة على المدى البعيد، ناهيك عن التحركات الأميركية والضغوط الخارجية. كل هذا كان من جملة العوامل التي حالت دون امكانية، استمرار النهضة.

لقد مثلت نهضة تأميم النفط صورة مصغرة للظروف السياسية والاجتماعية التي احاطت بالحركة الدستورية واتسمت بنفس نقاط قوتها وضعفها، لذلك واجهت المصير نفسه. حتى التيارات الدينية لم تكن تتصف بوحدة النظر والدعم الشعبي. إذ ان نشاط حركة فدائيي الاسلام وكذلك مساعي آية الله الكاشاني ليس فقط لم تكن تحظى بتأييد آية الله العظمى البروجردي المرجع والزعيم القوي آنذاك، بل كانت تعصف بها خلافات حادة ايضاً.

وفي ظروف كهذه لم تتمكن ايضاً المواقف الصريحة الداعمة التي وقفتها شخصيات معروفة من امثال آية الله العظمى الخونساري في قم والمواقف الضمنية المؤيدة من امثال الإمام الخميني من التأثير في مجرى الاحداث.

على آية حال قبل ان يتذوق الشعب الايراني حلاوة
مخضة التأميم فوجئ بطعم المرارة الناجمة عن الاختلافات



والحوادث المريعة اللاحقة التي ختمت بانقلاب (التاسع
عشر من آب). ورغم أن فدائيي الاسلام لم يلقوا السلاح
الا أنهم وبعد عامين - أي في (١٦ تشرين الثاني
١٩٥٥م)، نتيجته لفشل عملية اغتيال حسين علاء، رئيس

الوزراء آنذاك الذي كان يهْمُ بالسفر الى بغداد للتوقيع على حلف بغداد (الستتو) — تعرضوا للاعتقال وحكم على قادتهم بالاعدام في محكمة عسكرية سرية وذلك في شهر كانون الاول من عام ١٩٥٥ م. ولم تثمر مساعي الإمام الخميني وسائر العلماء للحيلولة دون تنفيذ حكم الاعدام بهم.

هذه الاحداث المريعة تركت اثرها على روح الإمام الخميني المرهفة، الا انها مثلت تجربة قيمة للمراحل اللاحقة من حركته الجهادية.

اما الملك وبلاطه فقد أصبحوا بعد الانقلاب — وفي ظروف تختلف عن المرحلة السابقة — تحت الهيمنة الأميركية، إذ أخلى الإنجليز مواقعهم للأمير كان. وبسرعة تم تأسيس دائرة الأمن (السافاك)^١ عام (١٩٥٧م) وضرب المعارضين بقسوة، وتشديد الحكم القمعي لاعداد الظروف الاجتماعية اللازمة لتنفيذ الاصلاحات الأميركية. وخلال

١- «منظمة المخابرات والأمن» وباختصار «السافاك»، أسست في ايران بأمر من الملك محمد رضا بهلوي بهدف مواجهة المعارضة الاسلامية والقضاء عليها. وكان لهذه المؤسسة الأمنية ارتباط وثيق مع منظمة الاستخبارات الاميركية (CIA)، والاستخبارات الاسرائيلية «الموساد» وكان اعضاء هذه المنظمة يتصرفون بقساوة شديدة، مع السجناء السياسيين مما دفع بالامير العام لمنظمة العفو الدولية عام ١٩٦٥ أن يعلن: «ان ملف ايران في مجال حقوق الانسان أسود لدرجة لا يعادله ملف اي دولة في العالم.»

الستينيات والسبعينيات راحت الشركات الأميركية تتسابق في التوجه الى الخليج الفارسي لاحتلال المواقع التي كان يتمتع بها الاستعمار الانجليزي. كذلك فإن اجواء الحرب الباردة والمنافسة الشديدة بين أميركا والاتحاد السوفيتي كانت قد زادت من حساسية منطقة الخليج الفارسي الاستراتيجية، وكانت انظار البيت الابيض تتطلع الى الثروات النفطية الإيرانية والاقليمية، لذا أقدم ساسة البيت الابيض على تفويض شاه ايران لعب دور شرطي المنطقة والحفاظ على مصالح الغرب فيها، وقد تمّ ترجيحه للعب هذا الدور على جميع الانظمة الاخرى في المنطقة من جميع الجهات. وكانت أميركا تسعى الى تحقيق هدف آخر من التحالف مع الشاه، وتوفير الدعم له. فالمواجهة بين الدول الاسلامية والكيان الاسرائيلي الغاصب كانت امراً لا بد منه، لذا فإن الطبيعة الخيانية للعائلة البهلوية وشخصية الشاه محمد رضا، اعتبرت في تصورهم عوامل تساعد في امكانية الاستفادة من النظام الملكي لايجاد شرح في صفوف العالم الاسلامي. وكان للنفط في هذا المخطط دور اساسي ايضاً، إذ أن ازمة الطاقة كانت الأمر الشاغل للغرب في حالة وقوع مواجهة عسكرية بين الدول النفطية الاسلامية واسرائيل، لذا فإن توسيع عمليات التنقيب عن النفط في ايران، وزيادة استثماره وتقوية النظام الملكي كانت تعدّ

الضمانة الوحيدة للتقليل من الازمة المتوقعة في مثل هذه الظروف.

غير ان الهيكلية الاجتماعية والاقتصادية التقليدية في ايران المعتمدة على الزراعة بشكل اساسي، كانت تعتبر عائقاً اساسياً امام اجراء الاصلاحات الأميركية في ايران. فإيران كانت تفتقر في تلك الظروف الى الاستعداد الكافي للتوسع في انتاج النفط وزيادة مدخولاتها النقدية من بيعه مستقبلاً — وهي الايرادات التي كان ينبغي ان تنفق في شراء التجهيزات العسكرية والسلع والبضائع الأميركية الاخرى — لذا فقد اهتمت اللوائح والمشاريع والاقتراحات على مجلسي (الشيوخ والشورى) لتغيير الظروف وتهيئة الارضية في ايران. واستناداً لما ورد في الاعترافات الصريحة التي ادلى بها مسؤولو النظام السابق وكذلك ما اظهرته الوثائق والمستندات التي تمت مصادرتها من وكر التجسس الأميركي (السفارة الأميركية السابقة) في ايران، فإن إعداد مضامين اغلب تلك اللوائح كان يتم إما في أميركا أو في سفارتها في ايران.

فكان مشروع الاصلاح الزراعي^١ خطوة اختبارية اريد بها اعداد الارضية للمصادقة على اصول ثورة الملك

١- الاصلاح الزراعي أو «اصلاح الاراضي» هو احد اسس السياسة الاستعمارية الجديدة التي جرى تنفيذها في جميع الدول الخاضعة للاستعمار. فمن أميركا الجنوبية الى آسيا وأفريقيا، قامت

البيضاء. اجل تمّ اختيار المشروع كأول خطوة مدروسة، إذ رافقت طرح مشروع الاصلاح الزراعي حملة دعائية مكثّفة وشعارات طنانة كالوقوف بوجه الباشوات والاقطاعيين، وتقسيم الاراضي بين الفلاحين المحرومين، وزيادة الانتاج ... الى ما شابه ذلك. ومن هنا كانت المعارضة للاهداف الخفية لمشروع الاصلاح الزراعي، تعدُّ بمثابة دعم الاقطاعيين وملاكي الاراضي الكبار وكانت تقمع بشدة.

حكومات هذه الدول بتنفيذ هذه السياسة بأمر من الاستعمار وبشكل متشابه.

شاه ايران بدوره اعلن عام ١٩٦٢ م عن برنامج اصلاح الاراضي على أنه اول خطوة في ثورته المزعومة «ثورة الملك والشعب» هدف منها كسب ثقة الرأسمالية الأميركية، واثير قبوله بالاستراتيجية الجديدة وتعاونه معها، وفتح سوق جديدة امام الاقتصاد الغربي، كما هدف الى التقليل من وخامة الاوضاع الداخلية، والحد من تصاعد السخط الشعبي الذي كان يهدد بانفجار انفجارات اجتماعية.

كان اصلاح الاراضي في ايران في المجالين التجاري والصناعي، يعتمد اساساً على الاستثمارات الاجنبية، والأميركية خصوصاً، وقد ألحق اضراراً كبيرة بالزراعة الايرانية، مما ادى الى تحويل ايران خلال سنوات من تنفيذ هذه الخطة من بلد مصدر للقمح الى بلد مستورد اساسي له. ومن جهة اخرى أدت هجرة اهالي القرى الى المدن واستخدامهم كعمّال رخيصي الأجرة لخدمة صناعات التجميع والخدمات؛ أدت خلال احد عشر عاماً من هذه السياسة الخاطئة الى تفريغ عشرين الف قرية ايرانية من سكّانها.



ترامت التحركات الاميركية والشاهنشاهية الجديدة عام (١٩٦١ م) مع وقوع حادثتين مؤلمتين. ففي الثلاثين من آذار ١٩٦١ م، التحق آية الله العظمى السيد البروجردى بالرفيق الاعلى، الذي اعادت خدماته الجليلة وشخصيته العلمية، للمرجعية موقعها المتميز باعتبارها اهم ملاذ ديني للجماهير في ميدان الحياة الاجتماعية في ايران. فوجود سماحته بحد ذاته كان يمثل عائقاً اساسياً امام تحقيق النظام الملكي لمخططاته. ومن هنا اعتبرت وفاته خسارة لا تعوض. وبعد عام تقريباً ودع الحياة ايضاً العالم المجاهد آية الله الكاشاني، الذي كان اسمه ذات يوم يبعث الرعب في كيان الشاه.



اما الإمام الخميني — وكما هو ديدنه — فإنه لم يخطُ خطوة واحدة في سبيل المرجعية بعد وفاة آية الله البروجردي، رغم التفاف مجتمع الحوزة العلمية والجماهير حوله، بل رفض بشدة الاقتراحات والخطوات التي قام بها بعض اصحابه ومريديه في هذا الاتجاه. وكان ذلك في وقت كان الإمام الخميني قد اتمَّ تعليقه على كتاب العروة الوثقى منذُ خمسة اعوام قبل وفاة آية الله البروجردي، وفي تلك السنوات بالتحديد كان سماحته قد كتب حاشية على كتاب وسيلة النجاة لتكون رسالته العملية.

ان النظرة الزاهدة التي كان الإمام الخميني يتحلّى بها تجاه الدنيا، وإعراضه عن المقامات والمناصب الاعتبارية الدنيوية، يمكن استشرافها من بحوثه الأخلاقية والعرفانية المعمقة التي وسمت آثاره المكتوبة، كشرح الاربعين حديث

وسرّ الصلاة وآداب الصلاة التي كان قد كتبها قبل سنوات من ذلك التاريخ.

بعد ارتحال آية الله البروجردي وتجزؤ المرجعية الكبرى، أظهر النظام الملكي نشاطاً أكبر واندفاعاً في تحقيق الإصلاحات التي كانت أميركا ترغب فيها، كما انه سعى في الوقت ذاته الى إخراج المرجعية من ايران. غير ان النظام كان مخطئاً في حساباته.

ففي (٨ تشرين الاول ١٩٦٢ م) صادقت وزارة اسد الله علم على تعديل لائحة مجالس الاقاليم والمدن، وتغيير بعض مضامينها كاشتراط اسلامية المرشحين، والقسم بالقرآن الكريم، واشتراط الذكورة في المرشحين والناخبين. لقد كانت المصادقة على اشتراك النساء في الانتخابات تخفي وراءها اهدافاً اخرى. كما أن حذف وتغيير شرطي الذكورة والاسلام كان يراد منه — على وجه الدقة — ادخال العناصر البهائية في المراكز الحساسة من هيكل النظام الحاكم.

وكما اشرفنا سابقاً، ان دعم الملك للكيان الصهيوني وتوسيع العلاقات الايرانية الاسرائيلية كانت شروطاً أميركية في مقابل توفير الدعم للملك، ولتحقيق هذه الشروط كان لابد من زيادة نفوذ اتباع المسلك الاستعماري البهائي في السلطات الايرانية الثلاث.

وتمحض انتشار خبر المصادقة على اللائحة المذكورة،
بإدراك الإمام الخميني ومجموعة من العلماء الاعلام في قم
وطهران — وبعد التشاور — الى اعلان معارضتهم العامة
والشاملة لها.



كان للإمام الخميني دور فاعل في توضيح الاهداف
الحقيقية للنظام الملكي والتنبيه الى خطورة الرسالة الملقاة
على عاتق العلماء والحوزات العلمية في تلك الظروف.

اثارت البرقيات والرسائل المفتوحة المتعرضة التي بعث بها العلماء الى الملك والى رئيس الوزراء — اسد الله علم — موجة عارمة من الدعم والتأييد لدى طبقات الشعب المختلفة. كما أن برقيات الإمام الخميني التي بعث بها الى الملك ورئيس الوزراء تميزت باللهجة الحادة والحازمة والمخدرة. يقول سماحته في احدى تلك البرقيات: «إتني انصحكم مجدداً بأن تطيعوا الله تعالى وتنصاعوا للدستور، وان تحذروا العواقب الوخيمة لمخالفتكم للقرآن واحكام العلماء الاعلام وزعماء المسلمين وانتهاك الدستور، فلا تعرّضوا البلاد عمداً وبلا مبرر للخطر، وإلا فإن علماء الاسلام سيقولون رأيهم فيكم»^١.

بادر النظام الملكي بادئ الأمر الى التهديد وتكثيف الاعلام المعادي ضد المؤسسة العلمانية. وصرح اسد الله علم في مقابلة اذاعية اجريت معه بالقول «إنّ الحكومة لن تتراجع عن تنفيذ مشروعها الإصلاحى الذي بدأته». ولكن مع ذلك فإن الحركة الشعبية تزايدت باطراد، فُعظلت الاسواق في طهران وقم وبعض المدن الاخرى، وتجمع الناس في المساجد للتعبير عن دعمهم وتأييدهم لحركة العلماء.

لم يمض أكثر من شهر ونصف على بداية الحادثة، حتى تراجعت الحكومة عن تنفيذ مشروعاتها، وابرق الملك ورئيس وزرائه برسالتيهما الجوابية إلى العلماء هادفين التودد إليهم وكسب رضاهم، غير أن النظام الملكي امتنع عن مخاطبة الإمام الخميني لما عرفه من قوة الشخصية وثباتها. رأى بعض العلماء في الحوزة العلمية بأن موقف الدولة هذا مقنع، وطالبوا بوقف الانتفاضة؛ غير أن الإمام الخميني عارض ذلك بشدة، فسماعته كان يعتقد بأن على الحكومة أن تبادر لالغاء لائحة مجالس الاقاليم والمدن بشكل رسمي وعلني. ففي رسالته الجوابية على سؤال بعض الكسبة والتجار من اهالي قم حول لائحة مجالس الاقاليم والمدن كان سماعته قد كشف النقاب عن الاهداف التي رامها النظام من وراء هذه اللائحة واثار الى ان المقصود ادخال عناصر البهائيين والجواسيس الاسرائيليين في تركيبه النظام الايراني، اذ جاء في جانب من رسالته: «إنَّ الشعب المسلم لن يسكت ما لم تتدارك هذه الاخطار، ولورضي احد بالسكوت فسيكون مسؤولاً امام الله القادر، وسيحكم عليه بالزوال في هذا العالم»^١ كما حذر سماعته في ذات الرسالة نواب مجلسي الشيوخ والشورى من مغبة التصويت لصالح هذه اللائحة قائلاً: «إنَّ الشعب المسلم

وعلماء الاسلام احياء واعون، وانهم سيقطعون أي يد خائنة تمتد للمساس باصول الاسلام واعراض المسلمين»^١.

واخيراً اذعن النظام الملكي للهزيمة، ففي ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٢ م، ألغت الحكومة اللائحة السابقة، وأبرقت للعلماء والمراجع في طهران وقم تعلمهم بالأمر. غير أن الإمام الخميني أصرّ مجدداً على مواقفه السابقة وأعلن في اجتماع ضم العلماء الاعلام في قم بأن إلغاء اللائحة بشكل سرّي أمر غير كافٍ وأكد بأن الحركة ستتواصل ما لم يُعلن أمر الإلغاء في أجهزة الاعلام.

وفي اليوم التالي، أعلن خبر إلغاء لائحة مجالس الاقاليم والمدن في صحف النظام، واحتفلت الجماهير بأول نصر كبير تحقق لها بعد نهضة تأميم صناعة النفط.

وفي حديث له — حيث يعيش الشعب افراحه هذه — قال الإمام الخميني: «الهزيمة الظاهرية ليست مهمة، المهم هو الهزيمة الروحية. وإن المرتبط بالله لا يُهزم، بل الهزيمة لاولئك الذين تمثل الدنيا غاية آماهم ... فالله لا يهزم. ولا تمّنوا ولا تحزنوا ... خلال الشهرين الماضيين اضطررتي الاحداث الى الاكتفاء بساعتين من النوم يومياً ... ومرة أخرى إذ رأينا أنّ شيطاناً من الخارج استهدف بلادنا،

فنحن كما نحن والدولة كما هي ... النصيحة من الواجبات ... فعلى العلماء ان ينصحوا الجميع، بدءاً من الملك وحتى آخر فرد في البلاد...^١.

وهكذا كانت حادثة لائحة مجالس الاقاليم والمدن تجربة ناجحة وهامة للشعب الايراني، خاصة وقد تعرف من خلالها على شخصية تؤهلها سجاياها لقيادة الامة الاسلامية.

ورغم هزيمة الملك في حادثة مجالس الاقاليم والمدن، إلا ان أميركا واصلت الضغط عليه لتنفيذ الاصلاحات التي كانت تخطط لها. وفي مطلع عام ١٩٦٣ م اعلن الملك عن مبادئه الاصلاحية الستة وطالب اجراء استفتاء عام بشأنها. فاعلنت الاحزاب القومية عن موافقتها من خلال رفعها لشعار «نعم للاصلاحات، لا للاستبداد» كما أن الشيوعيين أيضاً — وانطلاقاً من رؤيتهم بأن الاصلاحات الملكية ستسرع من مسير ديالكتيكية النظام الاقطاعي نحو النظام الصناعي والرأسمالي — اعلنوا عن موقفهم المنسجم مع الموقف الذي اعلنته اذاعة موسكو، وأعتبروا اسس الثورة البيضاء اسساً تقدمية وهم انفسهم الذين نعتوا نهضة الخامس من حزيران بأنها حركة رجعية استهدفت الدفاع عن الاقطاعيين^٢.

١- صحيفة الإمام، ج١، ص١١٩-١٢١.

٢- نقلاً عن كتاب، برسي و تحليلي از نهضت امام، ج١، ص٥١٥.

ومرة اخرى دعا الإمام الخميني المراجع والعلماء الاعلام في قم لدراسة الموقف والنهوض ثانية. لكن اولئك الذين كانوا يرون المرجعية الدينية منحصرة في مباشرة الامور الدينية للناس لا تحمّل المسؤولية في مواجهة المصائب والنوازل التي تحل بالامة الاسلامية، لم يرق لهم امر النهوض. ورغم أن اهداف النظام الملكي غير المعلنة من وراء ذلك الاستفتاء وتلك الاصلاحات كانت واضحة لشخص الإمام، وان المواجهة أمر لا بد منه، الا أن اجتماع العلماء قرر بالاجماع فتح باب الحوار مع الشاه واستكشاف نواياه. كانت الرسائل المتبادلة بين الطرفين (الشاه والعلماء) ترسل بواسطة مبعوثي الطرفين للتفاوض، وفي عدة مراحل مكوكية. وفي لقائه لآية الله كمال وند، هدد الملك بأن الاصلاحات سيتم تنفيذها باي ثمن ولو كان بسفك الدماء وتخريب المساجد!

في الاجتماع اللاحق للعلماء الاعلام بقم، طالب الإمام بتحريم المشاركة في الاستفتاء العالم الذي طرحه الملك، لكن الجناح المحافظ الذي كان حاضراً في الاجتماع، عدّ المواجهة في تلك الظروف بمثابة «نطح الصخرة» واعتبرها امراً عديم الجدوى. واخيراً ونتيجة لاصرار الإمام الخميني وثباته على موقفه، تقرر ان يقوم المراجع والعلماء

بمعارضة الاستفتاء علناً وتحريم المشاركة فيه. وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٦٢م اصدر الإمام بياناً شديداً للهجة، ادى انتشاره الى تعطيل البازار المركزي بطهران، وخروج الجماهير في تظاهرات معارضة ردّ عليها رجال الشرطة. ومع اقتراب موعد الاستفتاء المفروض، اتخذت المعارضة الشعبية ابعاداً جديدة. مما اضطر الشاه — ولاجل التخفيف من حدّة المعارضة — الى السفر الى قم.

كان الإمام الخميني يعارض بشدة فكرة خروج العلماء لاستقبال الشاه، بل وحرّم الخروج من المنازل والمدارس يوم وصوله الى قم. وكان تأثير هذا التحريم كبيراً الى درجة جعلت المتولي لحرم السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام، الذي يعتبر اهم منصب حكومي في المدينة، يمتنع عن الخروج لاستقبال الشاه، الامر الذي ادى الى عزله عن منصبه.

ولدى وصوله عبّر الشاه عن سخطه على علماء الدين والجماهير بأشد العبارات سقوطاً وفضاظة، عبر خطابه الذي ألقاه في جمع من الموظفين الحكوميين وعملاء النظام الذين اصطحبهم معه من طهران.



وبعد يومين من زيارة الملك لمدينة قم، اجري الاستفتاء في وضع مؤسف، إذ لم يشارك فيه غير عناصر النظام وأزلامه. وقد سعى النظام من خلال وسائل اعلامه التي كانت تكرر اذاعة برقيات التهتة التي بعث بها المسؤولون الأمير كان والدول الاوروبية، الى اخفاء فضيحتة الناجمة عن اعراض الجماهير عن المشاركة في الاستفتاء.

واصل الإمام الخميني فضح النظام واغراضه ونواياه من خلال الخطابات والبيانات، فكان ضمن ما اصدره بيان حازم ومستدل عرف فيما بعد بـ «بيان التسعة»^١

١- نفس المصدر، ج١، ص١٤٥.

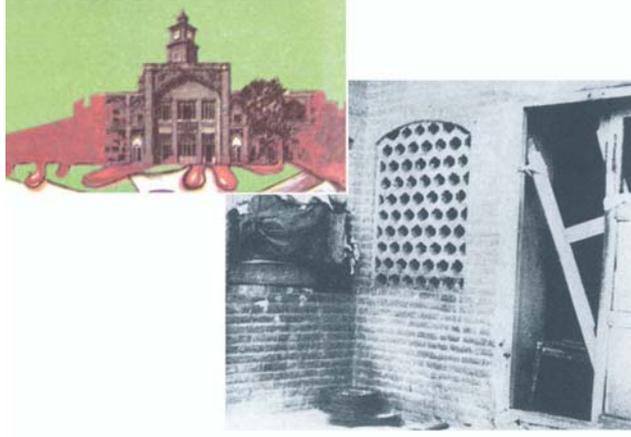
استعرض فيه مخالقات الملك وحكومته للدستور، وتوقع فيه ان تؤدي الاصلاحات الملكية الى تدهور الزراعة وضياع استقلال البلاد، وروج الفساد والفحشاء كنتائج قطعياً مسلّمة.

واستجابة لاقتراح الإمام الخميني، تم تحريم الاحتفال بعيد النوروز لعام ١٣٤٢ (٢١ آذار ١٩٦٣ م) اعتراضاً على ممارسات النظام. وقد أطلق الإمام الخميني في بيانه الذي اصدره بهذا الخصوص عبارة «الثورة السوداء» على ما سُميَ بـ «الثورة البيضاء»، كما أنه فضح انصياح الملك للمخططات الأميركية الإسرائيلية، وكان سماحته قد اعلن في هذا البيان: «وإني لا أرى حلاً سوى أن يُصار الى اقالة هذه الحكومة المستبدة بجريرة مخالفة أحكام الاسلام وانتهاك الدستور، وتشكيل حكومة تركز الى أحكام الإسلام وتعي معاناة الشعب الايراني. اللهم لقد أديتُ واجبي — اللهم قد بلغت — واذا مُدَّ في عمري فإني سأواصل اداء تكليفي باذن الله»^١.

ان ادراك اهمية هذا الكلام لا يتسنى إلا لأولئك المطلعين على السجون الرهيبة والاضطهاد الذي كان سائداً في تلك الايام، إذ كان اقل انتقاد يقود الى السجن والتعذيب والنفي.

من جانب آخر فإن الشاه الذي كان قد طمأنَ واشنطن باعداد المجتمع الإيراني لتقبل الإصلاحات الأميركية واطلق على اصلاحاته اسم «الثورة البيضاء»، رأى ان معارضة العلماء له ستكلفه ثمناً باهظاً، لذا شرعت اجهزة الاعلام بشن حملة واسعة ضد العلماء والإمام الخميني وقرر الملك سحق النهضة.

وفي الثاني من فروردين ١٣٤٢ ش (٢٢ آذار ١٩٦٣م) — الذي صادف ذكرى استشهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام^١ — هاجم ازام النظام المسلحين، متنكرين بملابس مدنية، تجمع طلاب العلوم الدينية في المدرسة



١- جعفر بن محمد الصادق، الإمام السادس من ائمة الشيعة (٨٣-١٤٨ هـ). أدى دوراً عظيماً في احياء المعارف الاسلامية، وتشكيل حوزات الدرس، وتربية الطاقات المؤمنة، حتى اخذ المذهب الشيعي ينسب اليه وينعت بالمذهب الجعفري.

الفيضية، ثم قامت قوات الشرطة بالهجوم على المدرسة الفيضية مستخدمين اسلحتهم النارية فقتلوا وجرحوا الكثيرين من الطلاب. وفي الوقت ذاته تعرضت المدرسة الطلابية في تبريز لهجوم مماثل. وفي غضون تلك الاحداث كان منزل الإمام الخميني يستقبل كل يوم مجاميع كثيرة من الثوريين والجماهير الغاضبة التي كانت تأتي للتعبير عن تضامنها وتعزيتها ودعمها للعلماء وللاطلاع على آثار جريمة النظام في قم.

وكان الإمام الخميني يحمل الملك شخصياً وبصراحة — اثناء خطاباته في الجماهير — المسؤولية الكاملة عن تلك الجرائم وعن التحالف مع إسرائيل، ويحثُّ الجماهير على القيام. وفي خطابه الذي ألقاه في الاول من نيسان عام ١٩٦٣ م انتقد بشدة سكوت علماء قم والنجف وسائر البلاد الاسلامية ازاء جرائم الملك الاخيرة، قائلاً: «ان السكوت اليوم يعني التضامن مع النظام المتجبر»^١.

وفي اليوم التالي اي في الثاني من نيسان عام ١٩٦٣ م اصدر الإمام بيانه المعروف تحت عنوان «محبة الملك تعني النهب». وقد وضع الإمام في بيانه هذا — الذي يعدُّ من اشد بياناته السياسية لهجة — الملك في قفص الاتهام وأكد في خاتمة بيانه ان التقية في مثل هذه الظروف حرام، وان

اظهار الحقائق واجب (ولو بلغ ما بلغ). وخاطب الإمام الخميني في بيانه هذا الشاه وازلامه قائلاً: «لقد أعددت اليوم قلبي لتلقي طعنات حراب ازلامك، ولكني غير مستعد لقبول الظلم ولن ارضى بالخضوع أمام تجبر النظام»^١.



كان الإمام الخميني قد اختار طريقه بوعي. ولديه الآن حصيلة غنية من التجارب السياسية والمواقف الجهادية الحلوة والمرّة. ويرى أن بانتظاره وقائع خطيرة وان امامه طريقاً محفوفاً بالمخاطر. غير انه لا يتحرك بوعي

من الماضي أو المستقبل. انه يفكر دوماً بأداء الواجب الشرعي رافعاً شعار «العمل بالتكليف ولو بلغ ما بلغ». ان معنى «الهزيمة والنصر» في منطق الإمام الخميني غير ذلك الذي اعتاد عليه السياسيون المحترفون. فهو خلافاً لكثير من المناضلين المشهورين والقادة والاعلام من سياسيي العالم، الذين يدخلون أولاً الميدان السياسي بأيّ وسيلة

ودافع، ثم يحرصون على مظهرهم السياسي ودورهم وتنشكّل شخصيتهم وسط ذلك الميدان المضطرب — دخل الميدان السياسي ومارس دوره القيادي للثورة الإسلامية في عام ١٩٦٣ م بعد أن قطع شوطاً كبيراً في مسيرة التهذيب وكسب الفضائل المعنوية والمعارف الحقيقية بسطوحها العالية ومارس الجهاد الأكبر لسنوات طويلة. فالإمام كان يعتقد بأنّ بناء النفس والجهاد الذاتي مقدم على الجهاد الخارجي، حتى إنّه كان يقول دوماً بأنّ العلوم المختلفة — بما في ذلك علم التوحيد — إذا لم تقترن بتهذيب النفس فإنّها لن تكون سوى حجاب ولن تقود إلى الحقيقة^١.

ان العبارات الحادة التي ضمنها الإمام بيانه الصادر في ٢ نيسان ١٩٦٣ م واشباهها التي وسمت الكثير من تراثه السياسي، لم تكن مناورة سياسية لاجراء مناوئيه من الساحة، بل انما كانت عرضاً لحقائق تنبع من اعماق وجود شخصية ترى أنّ العالم محضر الله. فالامام لم يكن يكنّ لاحد من خصومه من امثال محمد رضا أو صدام أو كارتر أو ريغان وغيرهم ممن وقفوا بوجهه خلال جهاده، حقداً أو عداءً شخصياً. كان سماحته حريصاً على إنقاذ المجتمع البشري من سلطة اتباع الشيطان وإعادة البشرية الى هويتها الفطرية الالهية — الرحمانية وكان ينظر الى الصراع من هذا

١- انظر، الجهاد الأكبر، ص ١١-١٢.

المنظار. وقد حرص على الاعتقاد والعمل بهذه المبادئ قبل ان يدعو غيره اليها.

وللوقوف على سرّ موفقية الإمام الخميني ينبغي البحث في مجاهدته الطويلة لنفسه وسعيه لبلوغ المعرفة الشهودية الحقيقية. فلا يمكن درك دوافع الإمام الخميني واهدافه من



نضاله السياسي دون التأمل في مراحل تكامل شخصيته الروحية والمعنوية والعلمية.

لقد رأى العالم الكثير من العناصر التي ميّزت جهاده وثورته، إلا أنّ ما يميز نضال الإمام الخميني وما يميز ثورته عن سائر الثورات، ويجعلها

متصلة بثورات الانبياء، هو أنّ الشخصية التي فجرت الثورة الاسلامية في القرن العشرين، وحسب ما يروي رفقاء دربه، لم تترك طوال فترة ما قبل النهضة حتى انطلاقتها ومن ذلك الوقت حتى رحيله عن الدنيا، نافلة صلاة الليل والتهجد ليلة واحدة، ناهيك عن الفرائض والواجبات. إنّ ذلك الرجل الذي جلس يرُدُّ على اسئلة العشرات من الصحفيين والمصورين الذين اجتمعوا من انحاء العالم في آخر

لقاء صحفي له في محل اقامته في (نوفل لوشاتو)^١ وما ان مرت بضع دقائق وحن موعد الصلاة، حتى قام ليؤدي صلاته غير مكترث لذلك الجمع.

١- بعد اندلاع شرارة الثورة في ايران، عمل كل من النظام الشاهنشاهي ونظام البعث العراقي على تنسيق جهودهما في التضيق على سماحة الإمام الخميني ووضع العراقيل في طريق نضاله. فبادرت منظمة الامن العراقية الى محاصرة بيت الإمام في النجف وحالت دون اتصال الناس وعلماء الدين بسماحته. بيد انه لم تستطع هذه المضايقات أن تفتت في عضد الإمام أو تقوده للتراجع عن الطريق الذي اختاره لنضاله ولوخطوة واحدة، مما اضطر الى ترك العراق والتوجه الى الكويت. إلا أن الكويت لم تسمح للإمام بدخول اراضيها، فقرر التوجه الى فرنسا والاقامة في قرية تقع على بعد ٢٥ كم من باريس تدعى «نوفل لوشاتو».

في نوفل لوشاتو وضع تحت تصرف الإمام الخميني (قليس سره) ومرافقيه، منزلان صغيران كان المنزل الاول صغيراً جداً فخصص لاقامة الإمام و افراد عائلته. اما المنزل الثاني - وكان يقع في الجهة المقابلة للمنزل الاول - فقد خصص للاجتماعات وللطلبة الجامعيين الايرانيين ولاعضاء مكتب الإمام. وكان الإمام يقيم فيه صلاة الجماعة، كما كان يصلي فيه نافلة الليل، كذلك تم استئجار محل آخر كفنديق لاستراحة الطلبة الجامعيين والضيوف الذين كانوا يفتدون لزيارة الإمام الخميني. وكان الشهيد مهدي العراقي يتولي مسؤولية ادارة هذا المخل. ونظراً لضيق المكان كان يقضي عشرون الى ثلاثين شخصاً ليلتهم في غرفة واحدة. وكان لا يسمح للقادمين لزيارة الإمام بالبقاء في هذا المكان اكثر من ليلتين. ومما يذكر ان سماحة الإمام الراحل لم يكن يسمح بدفع بدل ايجار هذا المخل من سهم الإمام «الخمسة» لما عُرف عنه من دقة في صرف الحقوق الشرعية، لذا كان الممولون من الايرانيين يتولون دفع بدل الاجبار توسعة على الطلبة الجامعيين الايرانيين.

وللوقوف على سرّ التأثير المميّز لبيانات الإمام وكلامه في الاستحواذ على مخاطبيه الى الحدّ الذي يدفعهم الى التضحية بارواحهم، ينبغي البحث في أصالة فكره، والحزم في الرأي والصدق الخالص معهم.



ان من اهم المزايا التي وسمت نهضة الإمام الخميني: الاعلان عن نهج واضح في نضاله واتخاذ مواقف واضحة وصريحة والثبات عليها، والحزم في التحرك نحو الاهداف وهي الامور التي اقربها العدو والصديق.

ان دراسة بيانات الإمام الخميني ومواقفه السياسية طوال فترة نضاله ضد الشاه وأميركا، ومقارنتها مع مواقف بعض الشخصيات العلمائية والسياسية والاحزاب والتجمعات والتيارات السياسية الاخرى، يظهر بوضوح مدى ثبات

الإمام علي المضي نحو تحقيق أهدافه وعزمه الراسخ على مواصلة النهضة.

ان الوثائق التاريخية تشير بوضوح كيف ان بعض الجماعات والافراد من اعلام السياسة والدين دخلوا ساحة الصراع في بدايته خلال اعوام ١٩٦١ - ١٩٦٣ م وحتى انه كانت لديهم مواقف متشددة، ولكن وبمجرد تعرضهم لأول رد فعل من نظام الشاه، تراجعوا عن كل مواقفهم، واختار بعضهم الانزواء والسكوت الطويل الذي استمر حتى أيام بلوغ الثورة ذروتها وانتصارها في عام ١٩٧٩. كذلك فإن عدداً منهم حاول الابتعاد لمسافة كبيرة عن المواقف التي اتخذها قائد النهضة واختار - بدلاً من الجهاد والوقوف بوجه السياسات الاستعمارية الأميركية في ايران، ومعارضة النظام الملكي المستبد باعتباره السبب الاساسي لتسليط الاجانب على البلاد - اختار الانشغال بالمسائل الجزئية المعاصرة ورفع الشعارات الفضفاضة من قبيل حرية الانتخابات أو تطبيق دستور السلطنة.

ولا يخفى على المطلعين على احداث التاريخ الايراني المعاصر بأن رفع امثال هذه الشعارات في تلك الايام لم تكن له نتيجة غير حرف مسار الانتفاضة الشعبية عن مواجهة العناصر الاصلية، ومن هنا نرى أن منظمة الامن (السافاك) كانت قد بادرت الى ترسيخ تلك التوجهات وتشجيعها.

وفي هذا الوسط اصرَّ الإمام الخميني وانصاره على مواصلة مسيرتهم والثبات على مواقفهم، وتقديم التضحيات من اجل الاهداف التي كان قد اعلن عنها في بداية جهاده، رغم الظروف الصعبة والاحداث العاصفة التي كان الواحد منها يكفي لان يكون سبباً مقبولاً لتغيير المواقف واختيار العزلة والسكوت والاستسلام للنظام. وان مثل هذا الصمود والاستقامة لم يكن ممكناً بغير الايمان بالاصول والحقائق التي تسمو على مقتضيات الظروف السياسية والاجتماعية آنذاك.

بدأ عام ١٣٤٢ ش (١٩٦٣ م) بتحريم مراسم الاحتفال بعيد النوروز (الربيع) واصطبغ بدماء المظلومين التي أريقت في الفيضية. فمن جانب كان الشاه يصر على تنفيذ الاصلاحات التي كانت تطالبُ بها أميركا، ومن جانب آخر اصرَّ الإمام الخميني على توعية الجماهير واستنهاضهم للوقوف بوجه التدخلات الأميركية في الشؤون الداخلية والخيانات التي يرتكبها الملك.

وفي الثالث من نيسان ١٩٦٣، أبرق آية الله العظمى الحكيم من النجف الى العديد من العلماء والمراجع في ايران يطالبهم بالهجرة الجماعية الى النجف الاشراف. كان هذا الاقتراح يهدف الى الحفاظ على حياة العلماء وكيان الحوزات العلمية، وقد عبّر النظام الملكي — وعبر العديد من الممارسات — عن غضبه واستنكاره لدعم علماء

النحف وكربلاء وآية الله الحكيم لنهضة العلماء في إيران. ومن أجل خلق جو من الرعب والخوف بين العلماء والاجابة على برقية آية الله الحكيم، بادر نظام الشاه الى ارسال افواج من قوات الامن الداخلي الى مدينة قم، كما ارسل في الوقت ذاته وفداً رسمياً أخذ على عاتقه نقل رسالة التهديد الملكية الى مراجع التقليد.

امتنع الإمام الخميني عن استقبال هذا الوفد. وقد اشار سماحته الى هذه القضية في خطابه الذي القاه في ١٩٦٣/٥/٢ مشيراً الى الملك بكلمة «التافه» إذ قال: «إن هذا التافه، رأس هذه الحكومة الخبيثة، أرسل رئيس الشرطة الى منازل المراجع — طبعاً أنا لم استقبلهم، وليتني فعلت، ليتني يومها سمحت لهم بدخول المنزل ثم هشمت اسناتهم! — ليبلغوهم: ان الشاه قد أمرنا اذا ما نطق احدكم بشيء بأن نقوم بارسال من يهدم بيوتكم ويقتلكم ويهتك اعراضكم»^١.

ابرق الإمام الخميني برسالة جوابية الى سماحة آية الله العظمى الحكيم، غير عابئ بتلك التهديدات، أكد فيها ان الهجره الجماعية من قبل العلماء وإخلاء مواقعهم في الحوزة العلمية بقم يتعارض مع المصلحة الاسلامية. كتب الإمام في جانب من هذه البرقية يقول: «سوف نؤدي تكليفنا الالهي

١- صحيفة الإمام، ج١، ص٢١٣-٢١٤.

ان شاء الله وسوف نوفق لإحدى الحسينيين: إما قطع
أيدي الخونة عن الاسلام والقرآن الكريم، أو مجاورة رحمة
الحق جل وعلا، وأني [لا أرى الموت الاسعاده والحياة
مع الظالمين الا برما^١].^٢



١- نفس المصدر، ص ١٨٣.

٢- ينسب هذا الحديث الى الحسين بن علي عليهما السَّلَام، الامام الثالث من
ائمة الشيعة.

وفي بيانه الذي اصدره بتاريخ ٢ نيسان ١٩٦٣. بمناسبة اربعينية شهداء فاجعة الفيضية، أكد الإمام الخميني وقوف العلماء والشعب الايراني الى جانب قادة الدول الاسلامية والعربية ضد اسرائيل الغاصبة. وادان الاتفاقيات المبرمة بين الملك محمد رضا واسرائيل^١. وبذا اوضح، منذ إنطلاق نهضته، بأن النهضة الاسلامية في ايران ليست بمعزل عن مصالح الامة الاسلامية، وان نهضته انما تهدف الاصلاح في كل العالم الاسلامي غير محدودة بمحدود ايران الجغرافية.

كتب الإمام الخميني في رسالة وجهها الى العلماء يقول: «إنَّ الخطر الاسرائيلي على الاسلام وايران وشيك للغاية. فالمعاهدة مع اسرائيل في مقابل الدول الاسلامية ابرمت أو على وشك ذلك. وبالسكوت والاعتزال سنضيِّع كل شيء. إنَّ للاسلام علينا حقاً، ان لنبي الاسلام علينا حقاً. ينبغي لعلماء الاسلام واتباع الدين المقدس ان يؤدوا ما عليهم من دَينٍ لدينهم في هذا الزمان الذي تتعرض فيه كل الجهود المضنية التي بذلها ذلك العظيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلزَّوَالِ. لقد صممت على عدم التراجع حتى أُلزم هذا النظام الفاسد حدّه...»^٢.

١- نفس المصدر، ص ١٩٦-١٩٨.

٢- نفس المصدر، ١٨٦-١٨٧.

□ انتفاضة الخامس من حزيران

وفي حزيران عام ١٩٦٣ م اطلّ شهر محرم الحرام. فبادر الإمام الخميني للاستثمار هذه الفرصة في تحريك الجماهير ودفعها لمواجهة النظام الملكي المستبد. وفي (عاشوراء) انطلق مئات الآلاف من المتظاهرين في طهران وهم يحملون صور الإمام، وتجمعوا امام «قصر المرمز» (محل إقامة الملك) ورددوا — لأول مرة في العاصمة — شعار «الموت للديكتاتور». ثم تلتها مظاهرات اخرى في الايام اللاحقة، تجمع فيها المتظاهرون في الجامعة والسوق المركزي (البازار) وفي مقابل السفارة البريطانية معلنين عن دعمهم لنهضة الإمام.

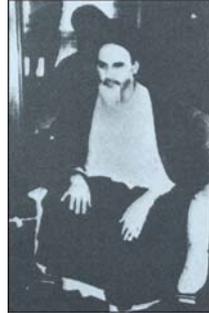


وفي عصر يوم عاشوراء لعام ١٣٨٣ هـ. (٣ حزيران ١٩٦٣ م) القى الإمام في المدرسة الفيضية خطابه التاريخي، والذي كان البداية لقيام الخامس من حزيران. وقد خصص سماحته القسم الاعظم من خطابه لاستعراض المصائب التي لحقتها العائلة البهلوية بالبلاد، وفصح العلاقات السريّة بين



الملك واسرائيل. وفي هذا الخطاب اطلق الإمام صرخته مخاطباً الملك بالقول: «ايها السيد! اني انصحك! يا جناب الملك ! يا حضرة الملك! اني انصحك، بأن تكف عن ممارساتك هذه! انهم يستغفلونك. ولست ارغب ان يبادر الجميع للتعبير عن شكرهم لله في اليوم الذي تُنحى عن السلطة.. فإذا كانوا يلقتونك ما تقول، فاني ادعوك ان تفكر قليلاً، واستمع لنصيحتي.. فما هي العلاقة بين الملك واسرائيل حتى تطالبنا مديرية الا من بعدم التعرض لاسرائيل.. فهل الملك اسرائيلي؟»

وقع خطاب الإمام كالمطرقة على روح الملك الذي كان ما اصيب به من جنون القدرة والتكبر الفرعوني على لسان الخاصة والعامة. لذا اصدر اوامره بكم صوت الثورة هذا، فبادرت قوات امته اولاً لا اعتقال جمع من انصار



الإمام في ليلة الرابع من حزيران، وفي فجر يوم الخامس من حزيران داهم المئات من رجال الكومندوالذين تم إرسالهم من طهران، منزل الإمام الخميني لاعتقاله، في وقت كان الإمام

يؤدي نافلة الليل، ونقل على الفور الى طهران ليودع في

معتقل (نادي الضباط) ثم نقل في غروب ذلك اليوم الى (سجن قصر).

انتشر خبر اعتقال الإمام بسرعة في مدينة قم وضواحيها، فانطلق الرجال والنساء نحو منزل قائدهم وهم يرددون شعار «الموت أو الخميني» الذي ملأ أرجاء المدينة. وقد بلغ الغضب الشعبي حدّاً دفع رجال الشرطة في البداية الى الفرار، الا انهم عادوا لمواجهة الجماهير بعد ان تسلحوا بمختلف التجهيزات العسكرية، وبعد أن تم ارسال قوات دعم من المعسكرات المحيطة بالمدينة.

وبينما كانت جموع الجماهير تغادر حرم حضرة المعصومة عليهما السلام فتحت قوات النظام التي استقرت خارج الحرم المطهر نيران اسلحتها الاوتوماتيكية، ولم تمض عدة ساعات على المواجهة بين الجماهير وقوات النظام، حتى دار حمام الدم في المدينة، ولم يكتف النظام بذلك، فقد ارسلت عدة طائرات مقاتلة للتخليق في سماء المدينة واختراق حاجز الصوت لادخال الرعب والهلع في قلوب الجماهير.

تمّ مواجهة الانتفاضة بالاسلح والنار للسيطرة على الاوضاع. بعدها بادرت العجلات العسكرية لجمع اجساد الشهداء والجرحى من الشوارع والازقة لنقلهم بسرعة الى اماكن غير معلومة. وفي غروب ذلك اليوم كانت مدينة قم تعيش حالة النكبة والحزن.

في صباح يوم الخامس من حزيران كان خبر اعتقال الإمام قد وصل الى طهران؛ مشهد؛ شيراز وسائر المدن مما فجر اوضاعاً مشابهاً في تلك المدن. انطلقت مجاميع الناس من اهالي (ورامين) والمناطق المحيطة بطهران نحو العاصمة. ولما كانت دبابات النظام وآلياته وقواته المسلحة قد احاطت بالعاصمة للحيلولة دون وصول المعارضين اليها، فقد اشتبكت قوات النظام مع تلك المجاميع في تقاطع (ورامين) مما ادى الى سقوط العديد من القتلى والجرحى من الاهالي.



كذلك اقيم تجمع جماهيري حاشد في السوق المركزي بطهران وفي مركز المدينة، راح يردد شعار «الموت أو الخميني» وهو في طريقه الى قصر الملك. كما انطلقت سيول الجماهير من جنوب مدينة طهران متوجهة نحو مركز



العاصمة يتقدمهم طيب الحاج رضائي والحاج اسماعيل رضائي^١ - وهما اثنان من فنوات منطقة جنوب طهران -

١- كان هذان الرجلان من المناضلين المتدينين، وقد تم اعدامهم فجر الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٦٣، بتهمة المشاركة في انتفاضة الخامس من حزيران - ١٥ خرداد - . ويذكر ان الطيب الحاج رضائي تمكن من القضاء على شعبان الجعفري - المعروف بالجنون - وبمجموعته التي كانت تعمل لصالح النظام الملكي، وذلك خلال احداث انتفاضة الخامس من حزيران، كما ان الحاج اسماعيل رضائي كان من المؤمنين التحرريين الطهرانيين. هذا وقد عرّض النظام الملكي كلا الاخوين الى اقسى انواع التعذيب الروحي والجسدي مطالباً اياهما بالاعتراف باستلام الاموال من الإمام الخميني. ولما عجزت عناصر النظام عن الحصول علي اعتراف منهما بادرت الى قتلهما. وإثر انتشار خبر شهادتهما عطلت الحوزة العلمية دروسها. وفي اليوم السابع من استشهادهما اصدرت جماعة من المناضلين المعروفين والمتدينين الملتزمين من الكسبية و، علماء الدين، بياناً ذيل باسم «الهيئات الاسلامية المؤتلفة» جاء فيه: «... تم فجر يوم السبت اعدام اثنين من ابطال ايران اللذين تحملا اشد انواع التعذيب غير الانساني لرفضهم الاعتراف بالكاذب بما املته عليهما مديرية الامن والذي اريد به الاساءة الى علماء الدين. وسوف يبقى اسمهما علامة مضيئة تزين صفحات تاريخ الجهاد ضد الاجانب». وتجدر الاشارة الى

وقد اعتقل هذين الاخوين فيما بعد، وفي ٢ تشرين الثاني ١٩٦٣ م تم اعدامها ونفي انصارهما الى مدينة بندر عباس. لقد كشف النديم الدائم للملك (الفريق الركن حسين فردوست)^١ في مذكراته، النقاب عن استخدام افضل الخيرات الامنية والسياسية الأمير كية آنذاك للقضاء على الانتفاضة، وكذلك عن الملح الذي اصاب الملك والبلاط وقادة الجيش والسافاك في تلك الساعات، وكيف اتخذ الملك وخيراته قرار سحق الانتفاضة. يقول فردوست:

ان عدد المعتقلين في قضية الطبيب والحاج اسماعيل كانوا سبعة عشر شخصاً طالبت المحكمة العسكرية التي قدّموا اليها بإزالة عقوبة الاعدام بهم جميعاً.

١- دخل حسين فردوست منذ طفولته مدرسة خاصة تسمى «مدرسة نظام» كان رضاخان قد امر بتأسيسها لتعليم ولي عهده محمد رضا بهلوي. وبذلك توفرت الفرصة لفردوست منذ الطفولة ليكون احد اقرب اصدقاء محمد رضا بهلوي وامين سره. وحينما اوفد ولي العهد محمد رضا الى سويسرا لاكمال دراسته اوفد فردوست معه بشكل رسمي. وكان الصديق المقرب لمحمد رضا خلال سنوات الدراسة في الخارج. وبصعود محمد رضا الى سدة الحكم كان فردوست الى جانبه ايضاً، وكان الملك يقدمه على انه صديقه المقرب.

كان الجنرال حسين فردوست يعمل عمل العين والأذن لمحمد رضا بهلوي. إذ كان يقف على رأس اهم مؤسسات النظام الخابريّة - مكتب المخابرات الخاص - وهي مؤسسة شخصية للملك هدفها جمع المعلومات له، وهي تمثل قمة الهرم الاداري لجميع منظومة المؤسسات السياسية والمخابراتية للبلاد. كما في ذلك السافاك.

«قلت لأويسي (قائد فرقة الحرس الخاص): بأن السبيل الوحيد هو ان تقوم بتسليح جميع الطباخين والخدام وعمال التنظيف والحراس وغيرهم الموجودين في فرقتك...»^١.



كتب اسد الله علم رئيس الوزراء في مذكراته يصف ما خاطب به الملك ذلك اليوم قائلاً: «لو كنا تراجعنا لكانت الفوضى عمت ايران بأسرها ولتعرض نظامنا للسقوط

١- ظهور وسقوط سلطنت بهلوي، ج ١، ص ٥١٠.

المهين. وأنداك كنت قد ذكرت لكم - الملك - بأننا يجب ان نصرّ على مواجهة هذا الموقف حتى وإن تطلّب الامر تنحيي عن موقع المسؤولية والاعلان عن استنكاركم لما فعلت، ثم الحكم عليّ بالاعدام والقاء تبعة ذلك على عاتقي من اجل انقاذكم».

على أيّ حال، أعلنت الاحكام العرفية في الخامس من حزيران في كلّ من طهران وقم، وعلى الرغم من ذلك فإن تظاهرات واسعة انطلقت في الايام اللاحقة وكانت تنتهي كل مرة بالمواجهة الدامية.

كان الخامس من حزيران ١٩٦٣ م يوم انطلاق الثورة

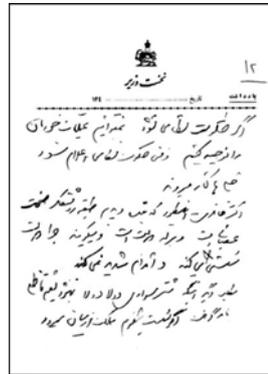
الاسلامية للشعب الايراني.

بعد تسعة عشر يوماً من الاعتقال في سجن قصر، تمّ قل الإمام الخميني الى معتقله الجديد في معسكر (عشّرت آباد).

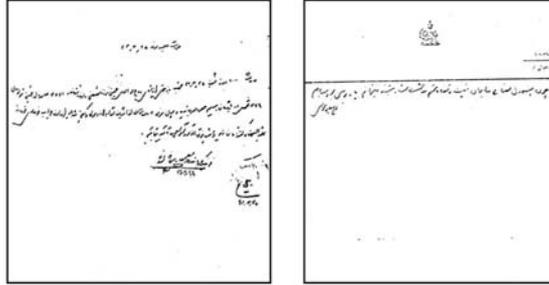
بعد يومين من انتفاضة

الخامس من حزيران،

وصف الملك ذلك القيام الشعبي بأنه فوضى وعمل وحشي نجم عن اتحاد الرجعية السوداء والحمراء، وسعى لربط ما حدث بالخارج ونسبة الى اشخاص امثال جمال عبد



الناصر^١. ولم يخف على احد حينها تخافت الادعاءات التي اطلقها الملك. وعلى العكس تماماً من ادعاءات الملك تلك، فإن حزب تودة وسائر الشيوعيين الايرانيين اصروا في كتاباتهم ومواقفهم المعلنة على اعادة وتكرار وجهة نظر موسكو حول أحداث الخامس من حزيران والتي كانت تصرح بها من خلال الاذاعة والصحف الصادرة في الاتحاد السوفيتي والمتمثلة في اعتبار تلك الانتفاضة حركة رجعية عمياء للوقوف بوجه الاصلاحات التقدمية التي كان الملك يرغب في تنفيذها^٢.



كذلك فإن احداً لم يصدق الادعاء الكاذب للملك، والذي اراد من خلاله توجيه الاتهام الى جمال عبدالناصر

١- احد رؤساء جمهورية مصر العربية، تولى الحكم عام ١٩٥٤. وبعد عامين من توليه الحكم بادر الى تأميم قناة السويس. خاض حرب الايام الستة ضد العدو الصهيوني وتوفي عام ١٩٧٠ ودفن في مقر عمله.

٢- انظروا الهامش ١٤ لهذه المقالة.

رغم كل محاولات السافاك ودسائسه في هذا السبيل. فالاستقلال التام لانتفاضة الخامس من حزيران، كان بدرجة من الوضوح لم تتمكن معه امثال هذه الترهات الواهية من الطعن فيه.

وباعتقال قائد النهضة وممارسة القتل الوحشي بحق الجماهير في الخامس من حزيران عام ١٩٦٣ م، تكون النهضة قد اجهضت في الظاهر.

وفي محبسه امتنع الإمام الخميني عن الردّ على اسئلة المحققين، معلناً بوضوح وشجاعة بأنّ الهيئة الحاكمة في ايران والسلطة القضائية تفتقد باجمعها الى الشرعية القانونية والصلاحيه الرسمية، وفي زنزاتته الانفرادية في معسكر عشرت آباد لم يفرط الإمام الخميني بالفرصة التي سنحت له فراح يكثر من مطالعة كتب التاريخ المعاصر؛ منها: تاريخ الحركة الدستورية في ايران. وبعض مؤلفات (جواهر لال نهرو).

بعد اعتقال سماحته انطلقت الاصوات المعارضة الواسعة من قبل علماء الدين ومختلف طبقات الشعب ومن شتى انحاء البلاد مطالبة باطلاق سراح قائدها. فقام جمع من العلماء الاعلام بالسفر الى طهران للاعلان عن معارضتهم لاعتقال الإمام. وكان الخوف من اقدام النظام على تصفية الإمام يثير القلق بين الجماهير ويدفعها لاطهار ردّ فعل قوي. وقد تعرض بعض العلماء الذين تجمعوا في طهران

لهجوم ازلام السافاك، وتمّ اعتقالهم وايداعهم السجن لمدة من الزمن.

وعندما رأى الشاه بأنّ انتفاضة الخامس من حزيران وجهت ضربة للاستقرار والضمانات التي اعطاها لأميركا، حاول ان يقلل من أهمية تلك الانتفاضة ويُظهر بأنّ الاوضاع عادية وخاضعة لسيطرته. من جانب آخر كان الغضب الجماهيري نتيجة استمرار اعتقال الإمام في تنامٍ مطرد. لذا اضطر النظام في الثاني من آب ١٩٦٣ م الى نقل الإمام من معتقله ليوضع تحت الاقامة الجبرية في منزل تحاصره قوات الامن في منطقة (الداوديّة) بطهران. وبمجرد اطلاع اهالي طهران على انتقال القائد، اخذوا يتوافدون على منطقة الداوديّة. ولم تمرّ عدّة ساعات على تجمع الاهالي حتى اضطر النظام الى تفريق الجموع ومحاصرة المنزل بشكل علني بواسطة رجال الشرطة.

في مساء الثاني من آب نشرت صحف النظام خيراً محتلقاً مفتعلاً يشير الى التوصل الى اتفاق بين مراجع التقليد والمسؤولين في الحكومة، ولم يكن بمقدور الإمام الخميني الاطلاع على الخبر أو تكذيبه، غير ان العلماء الاعلام كذبوا من خلال بياناتٍ اصدروها آنئذٍ وقوع مثل هذا الاتفاق أو التفاهم. وقد تميز البيان الذي اصدره آية الله المرعشي النجفي رَحِمَهُ اللهُ بِمُجَدَّةِ اللّهِجة والتأكيد على فضح اساليب النظام، فكان من البيانات البالغة التأثير.

بعد هذه الاحداث تم نقل الإمام مخفوراً الى منزل في محلة (قيطريّة) بطهران وبقي تحت الإقامة الجبرية هناك الى يوم اطلاق سراحه ٧ نيسان ١٩٦٤ م.

وفي الثلث الاول من عام ١٩٦٤ تصور النظام بأنّ القسوة والحزم اللذين واجه بهما الجماهير في حادثة الخامس من حزيران، قد أديا الى تنبيه الجماهير ودفعوا المجاهدين الى اختيار جانب السكوت، لذا حاول الاجراء بأن وقائع العام الماضي قد تمّ نسيانها.

وفي مساء السابع من نيسان ١٩٦٤ م تمّ — ومن دون اعلان مسبق — اطلاق سراح الإمام الخميني ونقله الى قم. وبمحض اطلاع الجماهير على الامر عمت مظاهر الفرح مدينة قم بأسرها، وأقيمت الاحتفالات البهيجة في المدرسة الفيضية وسائر الاماكن، ودامت عدة أيام.

ولم تمر سوى ثلاثة أيام على اطلاق سراح الإمام الخميني حتى بادر سمّاحته الى ابطال كل التصورات والدعايات التي روّج لها النظام، وذلك من خلال خطابه الثوري الذي القاه بعد اطلاق سراحه مباشرة؛ إذ جاء فيه: «لا معنى للاحتفال اليوم. مادام الشعب على قيد الحياة، فانه لن ينسى مصيبة الخامس من حزيران»^١.



وتناول قائد الثورة في خطابه ابعاد انتفاضة ١٥ خرداد بالتفصيل. وفي رده على ما نشرته الصحف الاجيرة من اكاذيب قال سماحته: «كتبوا في افتتاحية احدى الصحف ان تفاهماً قد حصل مع علماء الدين، وان علماء الدين يؤيدون ثورة الملك والشعب البيضاء. أيّ ثورة هذه؟ وأيّ شعب؟ ... ان الخميني لن يساومهم حتى وان اعدموه ... ولا يمكن تنفيذ الاصلاحات تحت اسنّة الحراب»^١.

ولما كان السافاك قد اقدم على مؤامرة بث الفرقة وايجاد شرخ في صفوف المجاهدين في الحوزة العلمية — وذلك من خلال ايجاد الخلافات بين العلماء والمراجع —

١- نفس المصدر، ص ٢٦٨-٢٦٩.

فقد تعرض الإمام الخميني في خطابه الذي القاه في المسجد الاعظم بقم بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٦٤ م الى هذه المسألة هادفاً إحباط تلك المؤامرة قائلاً: «إذا وجه أحدهم إهانةً لي، أو لطمني على وجهي، أو صفع اولادي، اقسم بالله تعالى بأني لا ارضى ان يهبّ احدٌ لمواجهته والدفاع عني، لست ارضى، انني اعلم بأن بعضهم يهدفون — اما عمداً أو جهلاً — الى بث الفرقة في هذا المجتمع.. انني ومن موقعي هذا أُقْبِل ايادي جميع المراجع، من كان منهم هنا أو في النجف أو في سائر البلاد، في مشهد وطهران، وايما كانوا. اني أُقْبِل ايادي جميع علماء الاسلام. ان هدفنا اسمى من هذه الامور، اني امدُّ يد الاخوة الى جميع الشعوب الاسلامية، والى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها»^١.

وفي هذا الخطاب كشف الإمام ايضاً النقاب عن العلاقات السريّة بين الملك واسرائيل وأطلق صرخته: «أيتها الجماهير! أيها العالم! اعلموا بأنّ شعبنا يخالف أيّ اتفاق مع اسرائيل، إن من يقوم بذلك هو ليس شعبنا، ليس علماءنا، فإنّ ديننا يمنعنا من ابرام أيّ اتفاق مع اعداء الاسلام»^٢.

١- نفس المصدر، ص ٣٠٧-٣٠٨.

٢- نفس المصدر، ص ٣٠٠.

وفي هذا الخطاب ايضاً عبّر سماحته عن الملك بكلمة «التافه» فقال موجهاً الخطاب اليه بالقول: «لا يلتبس عليكم الامر. فحتى لو داهنكم الخميني، فإنّ الامّة الاسلامية لن تداهنكم. لا تتوهّموا فاننا مازلنا في الخندق نفسه الذي كنا فيه، نعارض كل اللوائح المخالفة للاسلام، ونقف في وجه تجبركم^١... ان شعبنا الجيد مستاءٌ غاية الاستياء من اسرائيل وعمالقتها ومن الحكومات التي تصالح اسرائيل»^٢.



وفي الذكرى السنوية الاولى لانتفاضة الخامس من حزيران، اصدر الإمام وسائر المراجع بياناً مشتركاً، كما صدرت بيانات مستقلة عن الحوزات العلمية تم فيها تحليل

١- نفس المصدر، ص ٣٠٣.

٢- نفس المصدر، ص ٢٦٢.

ذكرى الانتفاضة واعلن يوم ذكراها يوم حداد عام^١. وفي شهر تموز عام ١٩٦٤ م تمت محاكمة المجاهد الكبير آية الله الطالقاني^٢ والمهندس مهدي بازركان^١ —

- ١- الكوثر، مجموعة خطابات الإمام الخميني، ج ١، ص ١٦٩-١٧٨.
- ٢- آية الله السيد محمود الطالقاني (١٩٠٠-١٩٧٩ م) احد علماء الدين المناضلين المتزمين. كان له دور بارز في نضال الشعب الايراني المسلم ضد الاستبداد والاستعمار. بعد اكمال تحصيله العلوم الاسلامية في المدرسة الرضوية والفيضية، انتقل الى طهران عام ١٩٣٨ للاشتغال في تدريس المعارف الاسلامية والتبليغ للاسلام الخنيف. اعتقل عام ١٩٣٩ بتهمة معارضة النظام البهلوي وادع السجن. باشر في اقامة دروسه الاسلامية في مسجد «هدايت» بطهران عام ١٩٤٨ م، فكان درسه محلاً لتجمع العناصر المثقفة المتدينية والطاقت المتزمنة من اعضاء الجبهة الوطنية، الأمر الذي انتهى فيما بعد الى تشكيل حركة «مضة الحرية».
- سافر عامي ١٩٥١ و ١٩٥٢ م الى مصر والاردن. كما ساهم في حركة المطالبة بتأميم النفط. اعتقل بعد انقلاب (٢٨ مرداد) بتهمة التستر على نواب صفوي، زعيم حركة فدائي الاسلام. من جملة نشاطاته السياسية البارزة مساهمته في تأسيس حركة مضة الحرية عام ١٩٦٠، والتي كانت — في الحقيقة — تعبير انشغاقاً عن الجبهة الوطنية. غير انه وقبل احداث الخامس من حزيران تم اعتقال مؤسس حركة مضة الحرية وتقديمهم للمحاكمة بعد نهاية الاحداث، وصدرت بحقهم احكام مختلفة بالسجن تصل الى عشر سنوات. وفي عام ١٩٦٧ تم اطلاق سراح السيد الطالقاني، الا انه سرعان ما عاد النظام الى نفيه الى مدينة زابل ثم الى مدينة بافت كرمان عام ١٩٧١. وفي عام ١٩٧٥ القى القبض عليه مجدداً بسبب خيانة احد المناققين وحكم عليه بالسجن لمدة عشرة اعوام، وبقي في السجن حتى ٩ / ١١ / ١٩٧٨ حيث اطلق سراحه مع الشيخ المنتظري وعدد من السجناء السياسيين.

احد قادة حركة تحرير ايران — والذين أعلنوا عن دعمهم لانتفاضة الخامس من حزيران في محكمة عسكرية وحكم عليهم بالسجن لمدد طويلة. فاصدر الإمام الخميني بياناً حذّر فيه الجماهير قائلاً: «ان على المواطنين ان يتوقعوا أياماً صعبة»^٢. كما اقترح سماحته ان يعقد علماء الدين

اما بعد انتصار الثورة الاسلامية فقد تم اختياره لرئاسة مجلس الثورة وعضوية مجلس خبراء الدستور. كما أمّ سماحته — بأمر من الإمام الخميني — اول صلاة جمعة اقيمت بعد انتصار الثورة في جامعة طهران في تموز عام ١٩٧٩ م. ترك آية الله الطالقاني مؤلفات عديدة في مجال تفسير القرآن ومختلف المعارف الاسلامية والموضوعات الاجتماعية والسياسية.

١- المهندس مهدي بازرگان (١٩٠٧ - ١٩٩٤)، رأس في عهد حكومة الدكتور مصدق مؤسسات عديدة منها مؤسسة اسالة طهران، وشركة النفط الوطنية، ومؤسسة المعاهد الفنية، اضافة الى ممارسته التدريس الجامعي ورئاسة كلية الهندسة. كان له دور بارز في تأسيس حركة نهضة الخريفة في ايران. كما امضى سنوات عديدة في سجون النظام الشاهنشاهي. وفيما كانت الثورة الاسلامية في ذروتها كلفه الإمام الخميني عام ١٩٧٨ بمتابعة اضرب عمال شركة النفط الوطنية. كما اوكل اليه مهمة تشكيل الحكومة المؤقتة بعد انتصار الثورة. وقدم استقالته من رئاسة الحكومة بعد يوم واحد من احتلال الطلبة الساترين على نهج الإمام لوكر التجسس الأميركي في طهران. بعدها تمكن من الفوز بمقعد في مجلس الشورى الاسلامي ممثلاً عن اهالي طهران. توفي عام ١٩٤٤ عن عمر يناهز السابعة والثمانين، اثر ازمة قلبية ألمت به. له مؤلفات علمية عديدة منها «المطهرات في الاسلام»، و«الطريق الذي طوي» و«الدين في اوروبيا»، و«علمية الماركسية» وكلها باللغة الفارسية.

٢- صحيفة الإمام، ج١، ص٢٦١.

جلسات اسبوعية منتظمة لمتابعة اهداف النهضة وتوجيه الحركة الشعبية.

□ مواجهة «لائحة الحصانة القضائية»

وفي جانب آخر، كان الملك - وتحت الضغط الأميركي - مصمماً على تنفيذ الاصلاحات التي أُعدت في



البيت الابيض، متصوراً ان المذايح والمعتقلات والمحاکمات، قد ادت الى ازاحة ثقل قوات المقاومة من طريقه. ولما كان ينظر من الاصلاحات ان تقود الى تحقيق الهيمنة الأميركية على

البلاد وتمكينها من جلب خيرائها للتواجد بصورة مباشرة في سائر المجالات الاقتصادية والعسكرية وفي مختلف المواقع الحساسة في النظام الشاهنشاهي، لذا فمن الخطوات الاولى التي كان ينبغي تنفيذها هي ازالة الموانع الحقوقية والقانونية امام وجود القوات الأميركية في ايران وضمان امنها واطلاق العنان لها. من هنا احتل موضوع احياء نظام الحصانة (الحصانة السياسية والدبلوماسية والقضائية للمواطنين الأميركيين في ايران) مكانه في جدول الاعمال. فكان اقرار لائحة الحصانة من قبل مجلسي الشيوخ

والشورى رصاصة الخلاص التي اطلقت على استقلال ايران
المحصرة المضطهدة.

ان القسوة التي مورست في سحق المناضلين وسجنهم



ونفيمهم، والحكم البوليسي للملك، كانت قد حبست
الانفاس في الصدور وحالت دون ان يرتفع صوت معارض.
في هذا الجو المضطرب عقد الإمام الخميني العزم على
اداء رسالته التاريخية والانتفاضة مرة اخرى، فاختار يوم
السادس والعشرين من تشرين الاول — يوم مولد الملك
الذي كانت تقام فيه الاحتفالات الاستعراضية وتنفق
الاموال الطائلة — كيوم لفضح النظام. وقام بابلاغ ذلك
عن طريق الرسائل والمبعوثين الى علماء المدن الاخرى.
وفي محاولة لاحافة الإمام الخميني وثنيه عن عزمه على
القاء خطاب في ذلك اليوم، قام الملك بارسال مبعوثه

الخاص الى قم. غير ان الإمام رفض استقباله، مما اضطر المبعوث الى ابلاغ رسالة الملك الى السيد مصطفى نجمل الإمام البكر.

وفي اليوم الموعد، ودون الاكتراث بالتهديدات، القى الإمام الخميني واحداً من اشهر خطاباته في حشد كبير من علماء الدين واهالي مدينة قم وسائر المدن. كان ذلك الخطاب التاريخي — في الحقيقة — ادانة للحكومة الأميركية على تدخلها غير القانونية في شؤون البلد الاسلامي ايران، وفضحاً لخيانات الملك. ابتداءً الإمام — وبصلاية لا توصف — خطابه بهذه الكلمات: « ... لقد سُحقت عزتنا لقد صودرت عظمة ايران ومجدها ... لقد سحقت عظمة الجيش الايراني. لقد طرحوا على المجلس قانوناً جديداً، يُلحقنا بمعاهدة فينا، ويمنح المستشارين العسكريين الأميركيين وعوائلهم، وموظفيهم الفنيين والاداريين وخدمهم، حصانة تحول دون محاكمتهم إذا ارتكبوا آية جنائية في ايران ... ايها السيد! اني احذرك. ايها الجيش الايراني اني احذركم ... ايها السياسيون الايرانيون، اني احذركم ... اقسم بالله: مأثوم من لا يصرخ ... والله من لا يرفع صوته يرتكب كبيرةً ... يا قادة الاسلام، هبوا لنجدة الاسلام. يا

علماء النجف انقذوا الاسلام.. يا علماء قم لبوا صرخة
الاسلام»^١.

وفي هذا الخطاب بالذات قال الإمام الخميني مقولته
المشهورة: «... أميركا اسوأ من إنجلترا... إنجلترا اسوأ
من أميركا.. والاتحاد السوفيتي اسوأ من كليهما، بعضهم
اسوأ من بعض، بعضهم اخيث من بعض، غير اننا اليوم
مضطرون للوقوف بوجه هؤلاء الخبثاء، بوجه أميركا..
فليعلم الرئيس الأميركي بانه اشدّ الناس بعضاً لدى ابناء
شعبنا... كل مصائبنا بسبب أميركا، كل مصائبنا بسبب
اسرائيل، واسرائيل ربيبة أميركا»^٢.



وفي ذات اليوم (٢٧ تشرين الاول ١٩٦٤ م) اصدر
الإمام الخميني بياناً ثورياً كتب فيه: «ليعلم العالم بأن كل

١- نفس المصدر، ص ٤١٥-٤٢٠.

٢- نفس المصدر، ص ٤٢٠-٤٢٢.

المصائب والمشكلات التي يتعرض لها الشعب الايراني والشعوب الاسلامية، انما هي من الاجانب ومن أميركا. ان الشعوب الاسلامية مستاءة من الاجانب عموماً ومن أميركا خصوصاً... أميركا التي تدعم اسرائيل وانصارها، أميركا التي تسلح اسرائيل لتشرّد العرب المسلمين»^١.

وبذا فقد اثمرت جهود الإمام الخميني لفضح مؤامرة الحصانة في دفع ايران الى حافة الثورة من جديد في تشرين الاول عام ١٩٦٤ م، غير أن الملك بادر وبسرعة لمواجهة الموقف مستفيداً من تجربته في انتفاضة الخامس من حزيران. هذا من جانب، ومن جانب آخر كان العديد من العناصر الدينية والسياسية البارزة والمدافعة عن نهضة الإمام يقعون في تلك الايام في السجن أو المنفى. كذلك فإن عدداً من مراجع التقليد والعلماء الاعلام ممن ساهموا في أحداث الخامس من حزيران كانوا قد انسحبوا من الميدان تدريجياً والتزموا الصمت يدفعهم الى ذلك الحفاظ على مصالحهم. وقد استمر الامر بهذا النحو حتى عام ١٩٧٩ عام انتصار الثورة.



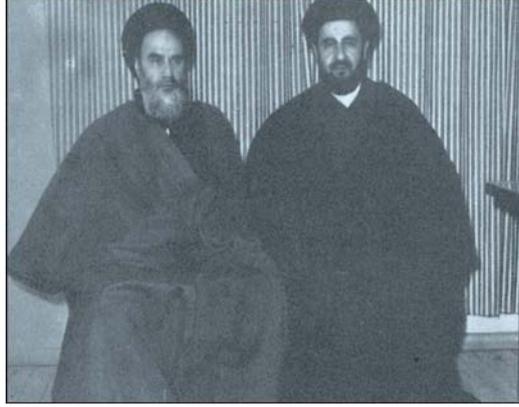
من جانب آخر وبناءً على الوثائق التاريخية التي تمّ نشرها بعد انتصار الثورة الاسلامية، فإن بعضاً من امثال السيد شريعتمداري، كانوا قد سعوا وقتئذ الى دفع بعض انصارهم ومؤيديهم لانتحاء جانب الصمت وعدم مناصرة دعوة الإمام الخميني مستفيدين من نفوذهم ومواقعهم لتحقيق ذلك.

ان الخطر الاساسي الذي كان يهدد النظام الملكي هو وجود الإمام الخميني، الذي لم تجد معه أيّ حيلة لا جباره على السكوت. فهو الآن قائد محبوب ومعروف لجميع المجاهدين من الشعب الايراني، وهو مرجع تقليد لكثير من المسلمين. ولما كانت التجربة السابقة قد اثبتت بأن اعتقاله داخل البلاد سيضعف من مشاكل النظام، ولما كان الاقدام على تصفيته جسدياً سيؤدي الى تفجير اوضاع لا

يمكن التنبؤ بعواقبها، لذا اتخذ النظام قراراً بنفيه الى خارج البلاد.

□ نفي الإمام الى تركيا

في فجر الرابع من تشرين الثاني عام ١٩٦٤ م، داهم رجال الكوماندوالموفدون من طهران منزل الإمام الخميني في قم لاعتقاله. واللافت ان سماحته كان لدى اعتقاله منهمكا في المناجاة وصلاة الليل تماماً كما كان حاله لدى اعتقاله في العام الماضي. وبعد ذلك تم نقل الإمام مباشرة الى مطار (مهر آباد) الدولي. حيث كانت طائرة عسكرية بانتظاره، فأقلته مخفوراً من قبل رجال الأمن والشرطة الى أنقرة — في تركيا —. وفي عصر اليوم نفسه نشر السفاك في الصحف المحلية خبر نفي الإمام بتهمة التآمر على النظام! ورغم الجواهر الخائق الذي كان سائداً آنذاك، انطلقت موجات من الاحتجاجات والاعتراضات تجلت في مظاهرات عمت السوق المركزي بطهران، وفي تعطيل الحوزة العلمية دروسها لمدة طويلة، وارسال الطوامير والرسائل الى المؤسسات الدولية والى مراجع التقليد.



وكان آية الله الحاج مصطفى الخميني قد اعتقل أيضاً في نفس يوم اعتقال الإمام وادع السجن. وفي الثالث من كانون الثاني عام ١٩٦٥ م تم نفيه الى تركيا ليلتحق بوالده.

كانت ظروف منفي الإمام في تركيا عصيبة للغاية. فقد منع الإمام هناك حتى من ارتداء الزي العلمائي، غير ان آياً من تلك الضغوط الجسدية والروحية، لم تفت في عضد الإمام وتجره على الاستسلام.



كان اول محلٍ لإقامة الإمام في تركيا هو فندق (بولوار بالاس) في أنقرة (الغرفة رقم ٥١٤ من الطابق الرابع). ولأجل اخفاء محل إقامة الإمام، تمّ في اليوم التالي نقله الى شارع اتاتورك. ثم نقل الى مدينة (بورسا) الواقعة على بعد ٤٦ كم غرب أنقرة في تشرين الثاني عام ١٩٦٤م لاجل عزله وقطع أيّ نوع من الارتباط معه.

وفي تلك المدّة سلب الإمام امكانية إيّ تحرك سياسي ووضع تحت مراقبة مباشرة ومشددة من قبل رجال امن ايرانيين تم ارسالهم لهذا الغرض بالتعاون والتنسيق مع قوات الأمن التركية.

دامت إقامة الإمام في تركيا احد عشر شهراً، قام نظام الشاه خلالها بسرعة منقطة النظر — بتصفية بقايا المقاومة في ايران، وبادر في غياب الإمام الى تنفيذ الاصلاحات التي رغبت أميركا في تنفيذها.

اضطر النظام — واستجابة لبعض الضغوط التي مارستها الجماهير وبعض العلماء — الى السماح بسفر بعض الممثلين عن الجماهير والعلماء للاطمئنان على صحة الإمام وسلامته.

وخلال مدة إقامته في تركيا اشار الإمام ومن خلال الرسائل التي بعث بها الى اقاربه ومؤيديه وعلماء الحوزة، اشار — تلميحاً وعن طريق الرمز والدعاء — الى ثباته على مواقفه الجهادية، كما طلب ارسال بعض كتب الادعية والكتب الفقهية اليه.



كانت فترة الاقامة الاجبارية في تركيا فرصة ثمينة للامام اغتنمها في تدوين كتابه القيم (تحرير الوسيلة). وهو الكتاب الحاوي لفتاوى الإمام الفقهية، ذكر فيها — ولأول مرة — مسائل تتعلق باحكام الجهاد والدفاع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسائل العملية الهامة الاخرى، الامور التي كانت حتى ذلك الوقت منسية لا يتطرق لذكرها احد.

جدير بالذكر ان آراء الإمام الاجتهادية في الفقه والاصول كانت قد نشرت — ومنذ سنوات قبل رحيل آية الله البروجردي — في العديد من آثار الإمام ومؤلفاته التي سيأتي ذكرها في خاتمة هذا الكتاب.

□ ومن تركيا الى العراق

في الخامس من تشرين الاول عام ١٩٦٥ م، تم نقل الإمام الخميني بمعية نجله آية الله الحاج مصطفى الخميني من تركيا الى منفاه الجديد في العراق. ولا يسعنا في هذه العجالة التعرض بتفصيل الى علل واسباب تغيير منفي الإمام الخميني. ولكن نشير باقتضاب الى انها تمثلت في الضغوط التي مارسها المتدينون والحوزات العلمية داخل البلاد، والمساعي والتظاهرات التي قام بها المسلمون خارج البلاد من اجل اطلاق سراح الإمام، كذلك حرص النظام الملكي

على اظهار الاوضاع بالمظهر العادي والتدليل على قدرة وثبات نظامه للحصول على مزيد من الدعم الأميركي. إضافة، الى المشاكل الامنية المتفاقمة في تركيا وتزايد الضغوط الداخلية من قبل الاسلاميين على الحكومة التركية. والاهم من كل ذلك تصور نظام الشاه بان الهدوء وعدم وجود الرغبة في التدخل في الامور السياسية الذي كان يسود الحوزة العلمية في النجف الاشرف؛ ووضع النظام الحاكم في بغداد، كل ذلك سيمثل حواجز كبيرة تحدُّ من فعاليات الإمام الخميني.

بعد وصوله الى بغداد توجه الإمام الخميني لزيارة مرافد الأئمة الاطهار في الكاظميين وسامراء وكربلاء، ثم سافر بعد اسبوع واحد الى محل اقامته الجديد في مدينة النجف الاشرف.

ان الاستقبال الحاشد الذي حظي به الإمام من قبل طلبة العلوم الدينية وابناء المدن المذكورة، كان يدل بحد ذاته وخلافاً لتصورات الحكومة الايرانية، بأن نداء نهضة الخامس من خرداد وجد له انصاراً في العراق والنجف والاشرف ايضاً.

وقد اثبت الإمام الخميني — منذ بداية وجوده في العراق وعبر لقاءه المقتضب مع ممثل الرئيس العراقي آنذاك (عبد السلام عارف) ورفضه الاقتراح القاضي بعقد مؤتمر صحفي وتلفزيوني — بأنه ليس ذلك الشخص الذي يرضى

بان يجعل من اصالة ثورته الالهية ثمناً للمصالحة بين نظامي بغداد وطهران.

وقد بقي هذا المنحى من الاستقامة صفة ملازمة لنهج الإمام طوال فترة اقامته في العراق، وبذلك اثبت الإمام الخميني بأنه أحد أندر القادة السياسيين في العالم ممن لم يقبلوا — وهم في اشدّ حالات التعرض للضغط والمشكلات — بالدخول في المهاترات السياسية المتعارفة والمساومة على اهدافه. كان يكفي — بعد ظهور المناوشات السياسية بين حكومتي بغداد وطهران — ان يعطي الإمام الخميني موافقته المبدئية حتى تنهال عليه انواع الامكانات لتوظيفها في نضاله ضد الشاه، غير ان الإمام لم يمتنع عن الاقدام على ذلك وحسب، وانما كان يقف في تلك المواطن على جبهتين لممارسة دوره الجهادي، وفي احيان عديدة بلغ الموقف حدّ المواجهة والقيام وضد النظام الحاكم في بغداد ايضاً.

ومما لا شك فيه لولا حنكة الإمام الخميني وحيطته لكادت الثورة الاسلامية أن تسير منذ ذلك الوقت في الطريق الذي طوته غالبية الحركات والجيئات والاحزاب السياسية الايرانية لأكثر من مرة، والذي لم ينته بها الا الى التبعية والخذلان.

إنّ الفترة الطويلة — والتي ناهزت الثلاثة عشر عاماً — التي امضاها الإمام الخميني في منفاه في النجف الاشرف

بدأت في ظروفٍ — وإن كانت تبدو خالية من الضغوط والقيود المباشرة التي تعرض لها في إيران وتركيا — إلا أن المعارضة والمحاولات التحييطية والكلام الجارح الذي كان يصدر من بعض العلماء القشريين وأهل الدنيا المستخفين بلباس أهل الدين، كان بدرجة من الاتساع والأيذاء جعلت الإمام يتحدث — رغم ما عرف عنه من صبر وحلم — عن ظروف الجهاد العصيبة في تلك السنوات بمرارة بالغة كلما مرّ ذكرها. لكنّ أياً من تلك المصائب والمصاعب لم تستطع ثني الإمام عن مواصلة الطريق التي اختارها بوعي وإدراك.



كان الإمام قد أدرك مسبقاً بأن الحديث عن الجهاد والدعوة للنهوض في ذلك الجوهر غير مجدٍ. وكان يتوجب عليه البدء من النقطة نفسها التي ابتداءً منها في سنوات ما قبل انتفاضة الخامس من حزيران، في إيران والحوزة العلمية بقم، بمعنى البدء بالاصلاح والتغيير التدريجي

للظروف، وتربية وتعليم جيل بإمكانه ان يتحمل مسؤولية رسالته.



ومن هذا المنطلق شرع الإمام بتدريس بحوث خارج الفقه في مسجد الشيخ الانصاري في تشرين الثاني عام ١٩٦٥م رغم الجهود المغرضة التي بُذلت من اجل

ثنيه عن ذلك. واستمر في اعطاء دروسه هذه حتى فترة ما قبل سفره الى باريس.

وقد قادت المباني المتقنة للإمام في الفقه والاصول، وتسلمته على مختلف فنون واقسام المعارف الإسلامية، بعد فترة وجيزة الى جعل درسه وحوزته من ابرز الحوزات الدراسية في النجف الاشرف كماً وكيفاً رغم ما بذله الرجعيون من جهود مثبطة محبطة. وكان يحضر درسه الطلبة الايرانيون، والباكستانيون والعراقيون والافغان والهنود والخليجيون وغيرهم لينهلوا من نبع علومه الدفّاق. وقد شجع ذلك انصار الإمام ومحبيه ممن كانوا في ايران في الهجرة الجماعية الى النجف الاشرف. غير ان توصيات الإمام الخميني بضرورة البقاء وحفظ الحوزات العلمية في

ايران منعتهم من تنفيذ رغبتهم، وان كان العديد من عاشقي الإمام الخميني قد انطلقوا نحو النجف الاشرف، وقد ساعد ذلك بالتدريج في ايجاد بؤرة لتجمع الثوريين المعتقدين بنهج الإمام، الذين حملوا على عواتقهم — فيما بعد — مسؤولية ايصال بيانات الإمام النضالية في سنوات الكبت والاضطهاد. ومنذ وصوله الى النجف الاشرف لم يقطع الإمام الخميني ارتباطه بالمجاهدين في داخل ايران، فقد اتخذ من المبعوثين والرسائل وسيلة لحفظ ارتباطه ذاك. وقد حرص على تضمين رسائله، التوصيات القيّمة حول ضرورة الثبات على مواصلة النهضة لتحقيق اهداف انتفاضة الخامس من حزيران. والعجيب ان كثيراً من الرسائل التي كان يبعثها الإمام الخميني كانت تتضمن الاشارة الى قرب وقوع انفجار عظيم على الصعيد السياسي والاجتماعي في ايران، ومطالبة المجتمع العلمي الايراني باعداد العدة لتحمل مسؤولياته في هداية المجتمع في المستقبل، وفي وقت كانت ظواهر الامور تشير الى انعدام الامل بتغيير الظروف السياسية والاجتماعية، وفي ظرف كان النظام الملكي يبدو فيها اكثر اقتداراً نتيجة قضائه على جميع حيوب المعارضة الشعبية.

وبنفي الإمام الخميني وممارسة القمع والاضطهاد الشديدين بحق المعارضة، ابتداءً اسوأ فصول حكومة الملك البوليسية. فقد تحول (السافاك) الى وسيلة لممارسة القدرة

الملكية المطلقة، حيث بلغ الأمر حدًا جعل توظيف اصغر موظف في ابعاد نقطة من البلاد مرتبطاً بموافقة جهاز السافاك. ولم يبق في هذا العهد من السلطات الثلاث الا اسماؤها، فقد كان الملك وبعض افراد البلاط وازلامه من الرجال والنساء هم المسؤولون عن كل نشاطات البلاد. ولقد اكدت اعترافات الملك — التي سطرها في آخر كتاب أصدره واللقاءات التي اجريت معه — وما كتبه اقرباؤه والمنسوبون اليه من موظفي وازلام البلاط ومن امراء الجيش واقطاب النظام الآخرين والتي نشرت بعد سقوط النظام الملكي في ايران، وكذا الوثائق التي تمت مصادرهما من السفارة الأميركية في ايران، اكدت بما لا يدع مجالاً للشك ان الملك والبلاط لم يكونا سوى آلاتٍ مسلوية الارادة لاغير، وان ما كان يصدر عن البلاط والنظام الملكي، حتى تعيين الوزراء وقادة الجيش وتنظيم اللوائح المهمة، كان يتم بواسطة السفارة الأميركية — والانجليزية احياناً — . ونكتفي هنا بالاشارة الى مقطعين مما كتبه الشاه للتدليل على ذلك، كتب محمد رضا يقول: «كان سفراء إنجلترا وأميركا يؤكدان لنا في كل لقاء: بأننا سنقف الى جانبك. وخلال خريف وشتاء عام ١٩٧٨ — ١٩٧٩م، شجعونا على ايجاد جو سياسي مفتوح ... غالباً ما كان السياسيون أو المبعوثون الأميركيين الذين كنت استقبلهم، يشجعونني على الثبات والصمود. ولكن عندما سألت السفير

الأميركي عن ذلك، اجابني بأنه لم يتلق حتى الآن أمراً بذلك ... وقبل ذلك بعدة اسابيع، وعندما استقبلت مسؤول الاستخبارات الأميركية الجديد في طهران، دهشت لتصريحاته، تحدثنا قليلاً عن الجو السياسي المفتوح واذا بي انظر ابتسامة عريضة ترتسم على محياه ... على آية حال، إن اولئك الذين كانوا لسنواتٍ طويلة حلفاءنا الاوفياء كانوا يضمرون لنا عجائب غريبه فاجأونا بها^١.

الطريف ان الشاه حاول في هذا الكتاب الايحاء بأن هذه العوامل والاسباب الخارجية المفاجئة، هي التي أدت الى

سقوط نظامه، حتى انه صرح بأن

الجنرال ربيعي — قائد القوة الجوية

— قال للقضاة قبل إعدامه: ان

الجنرال هايزر، القى بالملك خارج

البلاد كما يُلقى بفأرة ميتة!^٢

والحال ان حديثه هذا يعتبر بحد ذاته



تحريراً للتاريخ. فطبقاً للوثائق والمستندات التي لا تحصى^١ —

وأهمها وأوضحها اعترافات الجنرال هايزر نفسه في كتابه^٢

— فإن من المؤكد ان الجنرال هايزر كان قد وفد تعالى

١- الإجابة على التاريخ، ص ٣٦٢.

٢- نفس المصدر، ص ٣٦٧.

٣- المهمة في طهران، مذكرات الجنرال هايزر.

طهران من أجل الحفاظ على النظام الملكي الذي كان يتهاوى تلك الايام، وكان بصدد تنظيم انقلاب عسكري للسيطرة على الاوضاع في تلك الفترة الحرجة.

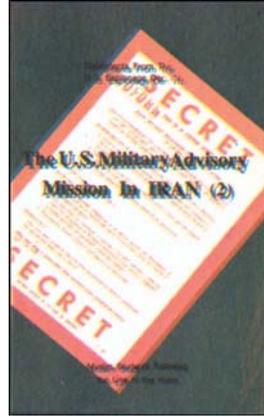
وعلى فرض قبول ادعائه هذا، فإن الملك وخلافاً للاسم الذي اختاره لكتابه، لم يعط اي جواب للتاريخ، وإلا فهل يمكن مع كل تلك الادعاءات التي كان يدعيها — من قبيل مخاطبته لكورش بالقول: «نم، فنحن يقظون!!» وغير ذلك مما اطلقه طوال ٣٧ عاماً من حكومته — ان يتعامل مع استقلال بلاده بهذه الطريقة، بحيث يتمكن جنرال أميركي من الدرجة الثالثة أو الرابعة خلال اقامته في طهران لعدّه أيام من إلقائه كالفأرة الميتة خارج البلاد!؟

على أية حال، فبعد ضرب انتفاضة الخامس من حزيران، ونفي الإمام من البلاد، لم ير الملك حينها اي عقبة امامه تحول بينه وبين تحقيق تطلعاته. فقد وصلت الامور في البلاد الى وضع اصبحت بعض نساء البلاط يمارسن دورهن في عزل وتنصيب الوزراء والنواب والقضاة، حتى اطلق على (اشرف بهلوي) اخت الملك لقب (الكلّ بالكل) في وقت كانت فضائحتها الاخلاقية وترأسها لعدّة عصابات تمارس تهريب المخدرات تملأ الصحف والمجلات الأجنبية، وان اختيار احد البهائيين (امير عباس هويدا) الذي كان يردد مقولته المشهورة دوماً: «روحي فداء لجلالة الملك» وبقائه على سدة رئاسة

الوزراء الشكلية لا يعني سوى انعدام استقلال السلطات الحاكمة، وانعدام اي اثر وعلى ادنى المستويات لدور الجماهير في السلطة.

كان الملك يسعى بقوة نحو التمدن العظيم الذي كان يتوهمه وراح ينفق من قوت ابناء الشعب على الحضارة المرتكزة الى ترويج الثقافة الغربية، وشيوع التحلل والتفسخ الاخلاقي، والإغارة على الثروات الوطنية والقومية عبر المئات من الشركات الأميركية والاوروبية في ايران، وتخريب البنية التحتية للزراعة الايرانية المستقلة نسبياً، وتحويل القوى المنتجة الايرانية، الى القوى والارياق وتحويلها الى قوى معطلة ومستهلكة، وتوسيع الصناعات التجميعية الذيلية وغير الضرورية، وتجهيز ونصب محطات الانذار المبكر ومحطات التنصت والحاسوسية والقواعد العسكرية الأميركية في ايران وفي منطقة الخليج الفارسي.

ففي الفترة من عام ١٩٧٠ الى ١٩٧٧ وحدها انفق مبلغ ٢٦.٤ مليار دولار من عائدات النفط على الواردات التسليحية الايرانية من أميركا، وخلال عام ١٩٨٠ وحده كان الملك قد ابرم اتفاقاً لا ستيراد ما قيمته ١٢ مليار دولار من الاسلحة الأميركية؛ الامر الذي أُريد من خلاله — وبناءً على سياسة البيت الابيض — الحفاظ على المصالح



الأميركية في منطقة الخليج الفارسي الحساسة، وهي مهمة انيطت ايضاً بالمستشارين الأميركيين الذين بلغ عددهم آنذاك (٦٠) الف مستشار. كان نظام الشاه وفي اوج ثباته ودون أن يعاني

من أيّ مشكلة خارجية، كان يبيع ستة ملايين برميل من النفط يومياً، في وقت لم تكن نفوس ايران تتجاوز ٣٣ مليون نسمة، وكان سعر البرميل الواحد من النفط قد تجاوز الثلاثين دولاراً للبرميل الواحد، وذلك لاسباب عديدة منها الحرب العربية الاسرائيلية والمسعاعي الغربية لتخزين كميات أكبر من النفط لاجل مواجهة التوقف

١- انظر: نفوذ امريكا في ايران: الفصل المتعلق بشراء الاسلحة، نقلاً عن الاحصائيات الرسمية المنشورة.

المحتمل في تدفق النفط الاسلامي نحو الغرب واحتمال تعاضد الدول الإسلامية المنتجة للنفط بوجه الغرب، في حين كانت العديد من طرق البلاد الرئيسية غير معبدة، والقسم



الاعظم من ابناء الشعب محروم من نعمة الكهرباء، بل من ابسط الحاجات لاساسية والوضع الصحي المطلوب. في ذلك الوقت وبينما كانت مناطق واسعة من البلاد تعاني من ظروف كالتّي ذكرنا، كان عشرات الرؤساء والقادة والوزراء من البلدان الاخرى يجتمعون في العاصمة

طهران لمشاهدة الاحتفالات بمناسبة مرور الفين وخمسمائة عام على بداية الامبراطورية الفارسية ليسعدوا برؤية تلك الاحتفالات الاسطورية. ولما كان المئات من العمال والعاطلين المشردين يعيشون في الاقبية وأكواخ الصفيح في جنوب وشرق وغرب طهران ووسطها، في حالة يرثى لها من الفقر والتردي الصحي، ولما كان هذا الأمر من السعة والانتشار في طهران الى درجة كبيرة، فقد أُجبر النظام اثناء تلك الاحتفالات على القيام بإحاطة هذه الاحياء — خصوصاً الواقعة منها على جانبي الطرق التي تمر منها الوفود الاجنبية — بأسوار جميلة ومطلية حتى لا تظهر آثار التمدن العظيم للعيان!!

وفي تلك الايام كانت العديد من المحلات السكنية في جنوب وغرب طهران تفتقد الى الماء الصالح للشرب. وقد وضع لكلّ مائة عائلة ما سورة ماء واحدة ليشربوا منها. وبلغ معدل الامية في عام ١٩٧٦ (٥٢.٩%) بين من تتراوح اعمارهم بين السابعة وما فوق^١. وحينما فرّ الملك من ايران عام ١٩٧٨م كان قد مضى على ثورته البيضاء والاصلاحات المدعومة من قبل أميركا خمسة عشر عاماً. وخلال تلك المدة ورغم انتاج وبيع النفط وسائر الثروات الوطنية بشكل مسرف، ورغم دعم الدول الاجنبية للنظام،

١ - انظر: مؤسسة دراسات الابحاث التجارية، اقتصاد ايران، ص ٥٩.

فإن إيران لم تفشل في تحقيق استقلالها وحسب، وإنما كانت التبعية الاقتصادية والزراعية والصناعية تزداد يوماً بعد آخر، وكان التدهور الاقتصادي والفقر وضياع العدالة يزداد باطراد. أما من الناحية السياسية فقد حول الملك إيران إلى أكثر بلدان العالم عمالة للغرب وخصوصاً أميركا.

ورغم الظروف الصعبة والمعقدة التي كان الإمام الخميني يمرُّ في منفاها، فإنه لم يكف عن الجهاد والوقوف بوجه النظام الملكي. وكان يبعث الأمل بالنصر المؤزر في النفوس من خلال خطابه وبياناته. فقد كتب في ١٦ نيسان ١٩٦٧ في بيان مخاطباً الحوزات العلمية: «انني اطمئنكم أيها السادة المحترمون وأطمئن الشعب الإيراني بأن النظام سوف يهزم. فإن أسلاف هذا النظام كانوا قد تلقوا الصفعة من الإسلام، وهؤلاء أيضاً سينالون نصيبهم. استقيموا ولا تستسلموا للظلم، ان هؤلاء احلون وانتم الباقون ... إن هذه السيوف الصدئة سوف تعود الى اغمادها ...»^١.

وفي ذلك اليوم كتب الإمام الخميني رسالة مفتوحة الى رئيس الوزراء (امير عباس هويدا) استعرض فيها ممارسات النظام المجرمة وحذره من الوقوف الى جانب اسرائيل في مقابل الدول الإسلامية قائلاً: «لا تعقدوا عهد الاخوة مع

اسرائيل عدوة الإسلام والمسلمين، التي شردت اكثر من مليون مسلم. لا تسيئوا الى عواطف المسلمين، لا تطلقوا يد اسرائيل وعمالئها الخونة في اسواق المسلمين اكثر من هذا، لا تعرضوا اقتصاد البلاد للخطر من اجل اسرائيل وعمالئها. لا تضحوا بثقافتنا من اجل اهوائكم ... خافوا غضب الجبار، واحذروا سحق الشعب ... [إنَّ رَبَّكَ لَبَلْمُرْصَادِ] ^١ «^٢.

غير أنَّ الشاه لم يكثرث لتحذيرات الإمام الخميني. ورغم ان البلدان الإسلاميّة كانت على اعتاب حرب مع اسرائيل، كانت البضائع والسلع الإسرائيليّة رائجة في السوق الإيرانيّة وتتمتع بدعم خاص من النظام، فكانت انواع الفواكه والمواد الغذائية تعرض في الاسواق الايرانية بأسعار متدنية نافست المنتجات الداخلية وعرضتها للبور.

١- سورة الفجر، الآية ١٤.

٢- صحيفة الإمام، ج٢، ص ١٢٦-١٢٧.



وفي ٧ حزيران ١٩٦٧ م اصدر الإمام فتواه الثورية بتحريم اي نوع من العلاقة التجارية والسياسية للدول الإسلامية مع اسرائيل، وحرّم شراء البضائع الاسرائيلية، وذلك بمناسبة حرب الايام الستة بين العرب واسرائيل، وقد ألحقت الفتوى ضربة قوية بالعلاقات المتنامية بين نظام الشاه واسرائيل.

كذلك مارس العلماء وطلبة العلوم الدينية في ايران، ضغوطاً ضد حكومة الشاه من خلال اصدار البيانات وتوزيع المنشورات، مما دفع النظام الى ترجمة انتقامه عملياً، وذلك بالمهجوم على منزل الإمام الخميني في قم ومصادرة الكثير من الوثائق والكتب الخاصة به، ثم الهجوم على المدارس الإسلامية في المدينة وجمع آثار وصور الإمام الخميني، وخلال هذه الهجمات ألقى القبض على نجل

١- دراسة وتحليل حول نهضة الإمام الخميني، ج٢، ص٢٣٣.

الإمام الخميني حجة الاسلام السيد احمد الخميني، وكذا حجة الاسلام الحاج الشيخ حسن الصانعي، والمرحوم آية الله الاسلامي (وكيل الإمام في الاستفتاءات الشرعية). فقد ادت جهودهم مع سائر انصار الإمام الخميني الثورين الى إفشال مخططات وممارسات السافاك والنظام الملكي التي هدفت الى قطع المرتبات الشهرية الموزعة من قبل الإمام، والحؤول دون ارسال الحقوق الشرعية من قبل الجماهير الى مرجعهم.

وكان السيد احمد (نجل الإمام) قد تعرض قبل مدة من ذلك للاعتقال اثناء عودته من النجف، وذلك عند الحدود العراقية الايرانية بعد ان كان قد سافر من قم الى النجف لاستلام رسائل واوامر الإمام الخميني حول مواصلة النهضة وكيفية ادارة منزله في قم. وقد سبق بعد اعتقاله الى سجن (قزل قلعة) وذلك اوائل عام ١٩٦٧م.

واستناداً الى الوثائق التاريخية التي تم الحصول عليها من دوائر السافاك، فإن جهود منظمة الأمن تركزت في تلك الفترة على قطع الارتباط بين الإمام ومقلديه في ايران والحيلولة دون قيام الإمام بدفع المرتبات الشهرية الى طلبته في الحوزة العلمية بقم. وقد تضافرت وتواصلت في غضون ذلك جهود وكلاء الإمام الشرعيين في ايران من امثال ذوي السماحة: الاسلامي التربتي، والحاج الشيخ محمد صادق الطهراني (الكرباسجي) وآية الله البسنديدة (شقيق

الإمام الخميني الأكبر) رغم التهديدات التي عرضهم النظام لها، ورغم تكرار اعتقالهم وابعادهم. كذلك ساهمت الجهود التي بذلها المسؤولون عن إدارة منزل الإمام في قم والذي أصبح مقراً لإدارة النهضة — وكان يُدار من قبل نجل الإمام الخميني — في منع النظام من تحقيق أهدافه.

لقد كان السافاك بيدي حساسية كبرى تجاه النشاطات الهادفة إلى إحياء اسم الإمام الخميني وذكره وتنشيط دور منزله في قم، إلى درجة دفعته إلى وضع منزله تحت الرقابة المتواصلة عبر مجموعة من عناصره وبعض عناصر الشرطة التي كانت تراقب المنزل طوال ساعات النهار وقسماً من ساعات الليل، وتحول دون تردد المراجعين والمقلدين على المنزل. غير أن المراجعين والمقلدين كانوا يفدون على منزل الإمام في ساعات متأخرة من الليل وذلك بعد ذهاب المأمورين، للحصول على الإجابة والتوجيهات اللازمة.

في تلك الأيام (حزيران ١٩٦٧م) كان النظام يفكر في إعادة نفي الإمام الخميني مجدداً من النجف إلى الهند إلا أنه لم يكتب لمخططه النجاح نتيجة قيام العديد من مؤيدي الإمام والتيارات السياسية بمواجهته وفضحه داخل البلاد وخارجها.



وتمجيء حزب البعث (١٧ تموز ١٩٦٨ م) الى السلطة في العراق تضاعفت الضغوط والعقبات امام نهضة الإمام الخميني، وذلك للطبيعة العدائية التي يكنها حزب البعث للحركات الإسلامية. غير ان الإمام لم يكف عن مواصلة النهضة، اذ منحته اقامته في النجف، ونهضة العالم الاسلامي بشأن قضية الحرب بين العرب واسرائيل، الفرصة لتوسيع نطاق جهاده المتمثل في احياء الاعتقاد الديني في عصر مظلومية الدين، والعتور على الهوية، واستعادة الاجساد السابقة وتحقيق وحدة الأمة الإسلامية وعدم انحساره في مواجهة الشاه.

ففي لقائه مع ممثل حركة فتح الفلسطينية في ١١ تشرين الاول ١٩٦٨ م، اوضح الإمام الخميني آراءه حول مختلف المسائل التي تهمُّ العالم الاسلامي، وجهاد الشعب الفلسطيني، وأكد في ذلك اللقاء وجوب تخصيص جزء من مبالغ الزكاة للمجاهدين الفلسطينيين^١.

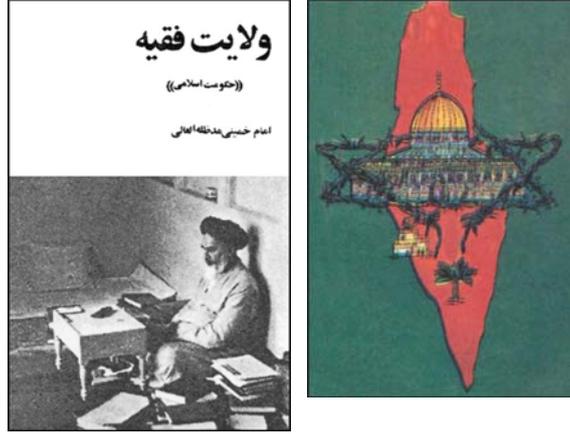
في اوائل عام ١٩٦٩ م اشتدت الخلافات بين النظام الايراني ونظام حزب البعث الحاكم في العراق حول الحدود المائية المشتركة بين البلدين. وقد بادر النظام العراقي آنذاك الى ترحيل اعداد كبيرة من الايرانيين المقيمين في العراق في ظروف سيئة جداً، كما سعى جاهداً لاستغلال العداء بين الإمام الخميني والنظام الايراني. من جانب آخر كان شاه ايران يتحين الفرصة للعثور على ادنى مبرر للنيل من استقلال هضمة الإمام الخميني. لكنَّ الإمام وبجناحه المعهودة وقف بوجه الدساتس التي كان كلا النظامين يحوكانها. وقد قام آية الله السيد مصطفى الخميني ممثلاً عن والده بتسليم مذكرة احتجاج على ترحيل الطلبة والكسبة الايرانيين المقيمين في العراق، الى الرئيس العراقي أحمد حسن البكر وسائر المسؤولين ممن حضروا اللقاء، تضمنت رفض اي نوع من المصالحة والتنسيق بين الإمام الخميني والنظام العراقي.

١- صحيفة الإمام، ج٢ ص١٩٩-٢٠١..

في ٢١ آب ١٩٦٩م قامت مجموعة من الصهاينة المتطرفين باحراق جانب من المسجد الاقصى. وعلى الفور اعلن الشاه الذي واجه ضغوطاً من الرأي العام، اعلن عن استعداده لتقبل نفقات تعمير المسجد، وذلك في محاولة للتخفيف من غضب المسلمين ضد اسرائيل. وفي هذه الاثناء اصدر الإمام الخميني بياناً فضح فيه مكائد الشاه واقترح في المقابل: «ما دامت فلسطين محتلة، فعلى المسلمين ان لا يقوموا باعادة بناء المسجد الاقصى وترميمه، فليتركوا هذه الجريمة التي ارتكبتها الصهيونية ماثلة اما انظار المسلمين لتكون سبباً لدفعهم نحو تحرير فلسطين»^١.

ان اربعة اعوام من التدريس وجهود التوعية التي مارسها الإمام الخميني استطاعت ان تغير وضع الحوزة الى حدّ ما، ففي عام ١٩٦٩ اصبح لدى الإمام مخاطبين جدد من العراقيين واللبنانيين ومن سائر بلاد المسلمين ممن اتخذوا من نهضة الإمام الخميني أسوة لهم، فضلاً عن الاعداد الكبيرة من المجاهدين داخل البلاد.

١- دراسة وتحليل حول نهضة الإمام الخميني، ج٢، ص٤٥٨.



وفي مطلع عام ١٩٧٠ م شرع الإمام بتدريس سلسلة بحوثه حول الحكومة الإسلامية أو (ولاية الفقيه)؛ وقد ادى نشر هذه المجموعة من الابحاث في كتاب تحت عنوان (ولاية الفقيه أو الحكومة الإسلامية) — في ايران والعراق ولبنان وفي موسم الحج — الى تفجير موجة جديدة من الحماس في صفوف المجاهدين. لقد عرض هذا الكتاب — وعلى لسان قائد الثورة — ابعاد الجهاد وأهداف النهضة والمباني الفقهية والاصولية والعقلية للحكومة الإسلامية والمباحث النظرية التي تتناول اساليب الحكومة الإسلامية. في نيسان ١٩٧٠ م نشرت الصحف الأميركية خبر وصول هيئة رفيعة المستوى من الرأسماليين الأميركيين الى ايران. وقد وصل هذا الوفد لتحرير الطريقة التي يتم من خلالها اعادة عائدات النفط الإيراني الى أميركا،

فتلك العائدات كانت قد بدأت منذ ذلك العام بالتزايد بشكل جنوني، لذا صار لازماً معرفة سبل مشاركة الشركات الأميركية في هذه الغنيمة.

ورغم ان السافاك كان قد منع — منذ عدة اشهر — العديد من العلماء من انصار الإمام الخميني من ارتقاء المنبر، الا ان علماء الدين الملتزمين وبعد اطلاعهم على آراء الإمام حول مسألة الحكومة الإسلامية اندفعوا الى فضح مخططات الشاه ومعارضة تزايد النفوذ الأميركي في ايران. وكان آية الله السعيدى من اشدّ مؤيدي الإمام معارضة لما كان يجري، مما عرضه الى الاعتقال في شهر نيسان ١٩٧٠م، لم يمض على اعتقاله اكثر من عشرة أيام حتى فارق الحياة نتيجة التعذيب الشديد الذي تعرض له في دهاليز سجن قزل قلعة على ايدي السافاك.

وعلى اثر شهادته اصدر الإمام الخميني بياناً تأييداً خلد فيه جهاد هذا الرجل مؤكداً من خلاله: «إنَّ المرحوم السعيدى ليس وحده الذي سقط في سجنه معارضاً لهذا الوضع المؤسف»^١ وقد جاء في هذا البيان ايضاً: «إنَّ الخبراء واصحاب رؤوس الاموال الأميركيين هجموا على ايران، باعتبارهم من اكبر المستثمرين الاجانب، وذلك لتكريس أسر الشعب الايراني المظلوم ... ان أيّ اتفاق

يبرم مع اصحاب رؤوس الاموال الأميركان وسائر المستعمرين يخالف ارادة الشعب واحكام الاسلام^١.



□ الاحزاب والحركات السياسية منذ انتفاضة ه حزيران حتى انتصار الثورة الاسلاميّة

من اهم الحركات السياسية التي كان لها حضور جدي في ميدان الجهاد الشعبي بعد انتفاضة الخامس من حزيران وساهمت بفاعلية في مسيرة الثورة حتى انتصارها، وكانت سبّاقة في متابعة تنفيذ اهداف النهضة، هي الحركة غير الحزبية والمستقلة التي مثلها علماء الدين المؤمنون بنهج

١- نفس المصدر، ص ٢٧٧-٢٧٨.

الإمام الخميني، ممن كانوا يقودون الحركة الجهادية بأساليب
واشكال مختلفة — كان الإمام الخميني يحدّد اطرها في كلِّ
مرحلة من مراحل الجهاد — معتمدين في ذلك على

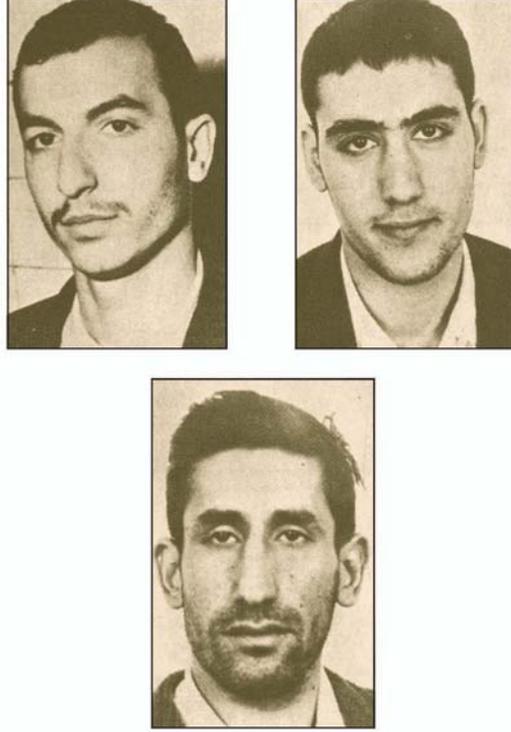


مواقعهم الدينية المتميزة بين
الجماهير، والعلاقات
المباشرة التي كانت لهم مع
مختلف شرائح وطبقات
الناس في المدن والقرى. ان
المنع من ارتقاء المنبر
الخطابي، والنفي الى المناطق
النائية، والاعتقال المتكرر
وما يرافق ذلك من

التعذيب الوحشي الذي قد يؤدي الى الشهادة في سجون
النظام الملكي، أمور كان علماء الدين الايرانيون الملتزمون
قد اعدّوا انفسهم لمواجهةها بُعيد انتفاضة الخامس من
حزيران دون ان تفت في عضدهم أو تمنعهم من السعي الى
تحقيق اهدافهم.

من جانب آخر، وبعد انتفاضة الخامس من حزيران
١٩٦٣، قامت مجموعة من الهيئات الدينية في طهران
(تتكون في الاساس من الكسبة وجمع من الشخصيات
العلمائية المؤمنة بقيادة ومرجعية الإمام الخميني) بتشكيل

جمعية باسم (الهيئات الاسلامية المؤتلفة) وكان جناحها العسكري يمارس نشاطه على طريقة (فدائيي الاسلام).



كان من اهم الاعمال التي قامت بها هذه الجمعية، اغتيال رئيس الوزراء (حسن على منصور) الذي قبل تحمل عار المصادقة على «لائحة الحصانة» اثناء فترة حكومته. وقد اقدم النظام الملكي على اعتقال عدة عناصر مؤثرة من افراد هذه الجمعية عقب عملية الاغتيال، وقام باعدام

بعضهم والحكم على الآخرين بالسجن لمدد طويلة. كان لاعضاء ومؤيدي هذه الجمعية دور اساسي ومؤثر طوال فترة الجهاد، إذ اشرفوا على عملية طباعة وتوزيع بيانات الإمام الخميني وتنسيق احتجاجات الكسبية والحرفيين، كما كان لهم السهم الوافر في تنظيم المظاهرات والاضرابات في الاشهر الاخيرة من عمر النظام الملكي.



كذلك اعلن عن تشكيل (حزب الشعوب الإسلامية) من بعض العناصر العلمانية والجامعية ومن سائر فئات الشعب بعد انتفاضة الخامس من حزيران بهدف مواجهة النظام عسكرياً، وقد عكف هذا الحزب فور تأسيسه على تسليح وتدريب عناصره، غير أن قياداته انكشفت بعد فتره من تأسيس الحزب نتيجة تحري وملاحقة السافاك، فبادر — اثر ذلك — بعض قادة واعضاء الحركة الى الفرار واللجوء الى الجبال الواقعة شمال مدينة طهران، لكن محاصرة

قوات الشرطة لهم وبشكل منظم اوقعتهم في الأسر فسيقوا الى السجون.

ومن بين الحركات والاحزاب السياسية التي يمتد تاريخ تأسيسها الى ما قبل انتفاضة حزيران ١٩٦٣ م، يمكن الاشارة الى (حزب تودة) و(الجبهة الوطنية) و(حركة تحرير ايران).

اما (حزب تودة الشيوعي) الذي كان متهماً من قبل الجماهير بالخيانة، فانه من الناحية العملية كان قد صالح النظام منذ مدة طويلة سبقت انتفاضة الخامس من حزيران ونقل تشكيلاته الحزبية الى خارج البلاد، وكان يعيش حالة دائمة من الاختلافات الداخلية، فضلاً عن ان العديد من قادته سقطوا بعد اعتقالهم، وافرغوا للتعاون مع النظام والى حدّ ما قبول بعض المناصب السياسية والادارية في النظام الملكي. كانت السياسات التي انتهجها حزب تودة تابعة بشكل مباشر للمواقف السياسية التي تصدر عن موسكو، علماً ان سياسة الكرملين خلال الخمس والعشرين عاماً الاخيرة من العهد الملكي كانت قد تركزت على حفظ العلاقات مع النظام وعدم التفريط بالمنافع الاقتصادية السوفيتية في ايران. ومن هنا اقتصر نشاطات حزب تودة خلال تلك الفترة على اصدار البيانات السياسية وامتلاك اذاعة خارج البلاد، التي لم تكن في الغالب سوى اداة بيد موسكو للضغط على النظام لتحقيق اهدافها.

الجهة الوطنية ايضاً، ورغم الموقع الذي تسنمته في نهضة تأميم صناعة النفط الا أنها بعد انقلاب ١٩ آب تعرضت للانزواء والانشقاقات والاختلافات الداخلية، وقد انحصرت النشاطات الاعلامية المتفرقة لانصار الجهة عموماً في الاوساط الطلابية والاتحادات التي كانوا يشكلونها خارج البلاد. وقد التزم انصار الجهة من الاسلاميين والجامعيين — رغم مواقف قادتهم — جانب التأييد والدعم لنهضة الإمام الخميني.

اما حركة تحرير ايران، التي كانت تتمتع بدعم المجاهد آية الله الطالقاني، فقد اعربت عن دعمها لانتفاضة الإمام الخميني في الخامس من حزيران، وكانت قاعدة هذه الحركة منحصرة بالعناصر المتدينة في الجامعات وبعض الجامعيين الدارسين خارج البلاد، كما انها كانت تفتقد التشكيلات السياسية القادرة على توظيف الحركة الجهادية.

اما منظمة (مجاهد والشعب) فقد كانت قد تشكلت ما بين عامي ١٩٦٥ — ١٩٦٦م بهدف الكفاح المسلح ضد النظام الملكي. ونتيجة للمعرفة السطحية التي كان يتصف بها قادة هذه المنظمة تجاه الاسلام، وقعت المنظمة في فخ الالتقاطية. ومع انها قدمت تنظيمها على انه تنظيم اسلامي، الا انها كانت تتعاطى في الخفاء بعض الافكار الماركسية في الاقتصاد، وفي اساليب النصال.

وعلى الرغم من ان الانحرافات العقائدية لهذه المنظمة لم تكن قد اكتشفت بعد، الا أن الإمام الخميني امتنع عن دعمها وتأييدها، حتى حينما ذهب ممثل الحركة للقاء الإمام في النجف الاشراف مطالباً اياه بدعم الحركة، امتنع سماحته موضحاً انحرافاتها الفكرية.

منظمة (فدائيو الشعب) أيضاً كانت تمثل تنظيمياً آخر تشكل من ائتلاف مجموعتين ماركسييتين صغيرتين^١، اعلن عن وجوده عام ١٩٧١، واتخذ الكفاح المسلح نهجاً لنضاله. جاء تشكيل هذه المنظمة اساساً بوحى من الاحساس بالحقارة الذي أصاب الشيوعيين الايرانيين نتيجة وضع حزب تودة والخيانات التي ارتكبتها من جهة، وتفوق وتضحيات العلماء والعناصر الإسلامية في انتفاضة الخامس من حزيران من جهةٍ أخرى.

حرص كلا التنظيمين في السنوات الاولى من تشكيلهما على كسب وتدريب عناصره، ثم بادر بعد ذلك للقيام بعمليات مسلحة محدودة ومتفرقة، استطاع السافاك بعدها من تشخيص قياداتهم واعتقالهم مما ادى الى تفكك المنظمين. وفيما عدا اعدام بعض قادتهما، فان معظم الذين تم اعتقالهم من اتباعها اعطوا تعهداً مكتوباً للنظام بالكف عن نشاطاتهم الحزبية والاندماج في النظام. ورغم ان

السافاك قصد — من خلال المقابلات التلفزيونية التافهة التي اعدّها مع بعض عناصر التنظيمين — تشويه صورة المجاهدين الحقيقيين في اذهان الناس، الا ان تلك المقابلات التلفزيونية والاعترافات المذهلة التي اقرّها اولئك كشفت النقاب عن الانحرافات الاخلاقية والعقائدية والتصفيات الدموية التي كانت تعيشها تلك التنظيمات. ومما تجدر الاشارة اليه ان بعض المعتقلين من عناصر هذين التنظيمين اخذ على عاتقه مسؤولية التجسس على المعتقلين السياسيين المؤمنين بنهج الإمام الخميني، لصالح السافاك.

على أيّ حال، فضلاً عن (الهيئات الإسلامية المؤتلفة) و(حزب الشعوب الإسلامية) كانت هناك مجاميع إسلامية مجاهدة اخرى مارست دورها في الدفاع عن نهضة الإمام الخميني بانتهاج اسلوب الكفاح المسلح، ويمكن على سبيل المثال ذكر الجماع السبعة^١ التي انصهرت فيما بعد في تشكيل واحد، وكذلك مجموعة رجل الدين المجاهد الشهيد على اندرزكو^٢.

١- امة واحدة، توحيد بدر، توحيد صف، فلاح، فلق، منصورون، موحدون. انظر: تاريخ المجموعات المشكلة لمؤسسة مجاهدي الثورة الإسلامية.
٢- المجاهد الشهيد السيد على اندرزكو(المعروف بالشيخ عباس الطهراني)، احد ابرز واشهر واطهر واخلص المجاهدين في النضال الايراني المسلح. بدأ الشهيد جهاده منذ تأسيس حركة «فدائيو الاسلام» وكان على معرفة وثيقة بالمرحوم نواب صفوي زعيم الحركة. انضم رسمياً الى هيئة «الجمعيات الإسلامية المؤتلفة»

التي بدأت جهادها المسلح باعدام حسن علي منصور رئيس الوزراء وقتئذ الذي تم في عهده الاعلان عن لائحة الحصانة القضائية المذلة، وكان الشهيد اندرزكومن مخططا ومنفذي عملية الاعدام الثوري بحق حسن علي منصور، وقد بادر الى الاختفاء بعد تنفيذ العملية فحكّم عليه بالاعدام غيابياً. وتحول اختفاؤه الى بداية لمرحلة من النضال السري ضد حكومة محمد رضا البوليسية استمرت ثلاثة عشر عاماً. كانت حياة الشهيد اندرزكوكو وعمليات هروبه المتواصلة بما يشبه الاسطورة على حد قول اصدقائه. ففي الوقت الذي جتّد السافاك واجهزة الامن والشرطة كل امكانياتهم لملاحقة «مخرب» مسلح هارب يدعي اندرزكوكو(المعروف بالشيخ الطهراني) في كل زقاق ومدينة من المدن الايرانية؛ كان الشهيد يتحرك بتمتهى الاطمئنان - الامر الضروري لكل مؤمن - وبشجاعة وحزم قل نظيرهما، فيؤدي مهماته بدقة ويخضع قوى الامن وينجو دوماً من الشباك التي كانوا ينصبونها له. فكان اختفاؤه لغزاً حير الصديق والعدو معاً. وفي كل مرة كانت قوى الأمن تتمكن من العثور على حيط يوصلها اليه، كان الشهيد يتمكن من الابتعاد عن مكانه قبل وصول قوات السافاك اليه، مصطحباً عائلته معه في اغلب الاحيان. لذا يمكن اعتباره بحق من اقدام واحذق واكثر المجاهدين حيرة وتجربة، ومن اشدهم شوكة في تاريخ النضال المسلح الايراني المعاصر. وكان قد لقب في السنوات الاخيرة من نضاله بأنه كارلوس ايران، اذ كان يحمل ٢٣ بطاقة شخصية وجواز سفر، بنحو جعل عملية عبور الحدود بالنسبة له اسهل من شربة ماء كما ينقل العدو والصديق.

ويمكن اعتبار الشهيد اندرزكوكو شيفاً متنقلاً في النشاطات الاسلامية للمجاميع الجهادية المسلحة بدءاً بنشاط الهيئات الاسلامية المؤتلفة - اغتيال منصور - وحتى آخر الساعات التي سقط فيها شهيداً، بدرجة يصعب استغناء حركة أو منظمة اسلامية مسلحة عن نشاطات الشهيد اندرزكوكو ومساعداته لها.

لقد عجز السافاك عن اعتقاله او القاء القبض عليه، حتى انه خصص جائزة لمن يساعد في إلقاء القبض عليه حياً أو ميتاً.

في السنوات التي تلت انتفاضة حزيران ١٩٦٣م، كان لمجموعة تحمل اسم «رابطة الحجّية» نشاط واضح، مع ان تاريخ تشكيل هذه المجموعة يعود الى سنوات طويلة سابقة. وانّ محور نشاطها كان يدور حول المواجهة الفكرية للحركة البهائية في ايران. وعلى الرغم من التناقض الذي كان يبدوين اهداف هذه المجموعة وتطلعات النظام باعتباره حامى البهائية، الا ان الواقع كان يحكى شيئاً آخر؛ ذلك ان (رابطة الحجّية) وقادتها كانوا يشترطون للانتماء الى الحركة، عدم التدخل في السياسية، الأمر الذي هياً للنظام ظروفاً مناسبة استطاع من خلالها تعطيل عدد كبير من الطاقات الدينية الفعالة وصرفها عن مواجهة العلة والعامل الاساسي الفساد في ايران (السلطة الملكية العملية) وإشغالها بمواجهة المعلول وبشكل غير مؤثر ايضاً. وبهذا النحو استطاعت رابطة الحجّية من توسيع تشكياتها ودائرة نشاطاتها دون ادنى مضايقة من السافاك، بل انها - في بعض المواطن - كان يتم ذلك بدعمٍ من السافاك^١.

وفضلاً عن اهميته كعنصر مواجهة مسلح، فان الشهيد كان يعد مصدراً قيماً للمعلومات. لكنه كان يُطمئن اصحابه بنقته قائلاً: «اطمننوا، اني لن اقع في ايدي الاعداء حياً ابداً. واذا ما تمكنوا مني فسأكون حينها جنازة لا اكثر». وهكذا كان فقد سقط شهيداً في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ١٩٧٧م، مخضباً بدمه ولقى ربه صائماً ليلحق بقائمة شهداء الثورة الاسلامية.

١ - انظر: في معرفة حزب قاعدين زمان، قم، نشر دانش اسلامي.

وبعد قيام الإمام الخميني بفضح حقيقة عقائد هذه الرابطة انسحب منها العديد من اعضائها والتحقوا بصوف مؤيدي هُضة الإمام الخميني، خصوصاً قبيل انتصار الثورة الإسلامية.

كانت رابطة المحتية تمارس دورها في مواجهة البهائية في المجال الفكري الثقافي، في حين أنّ البهائية في العقود الاخيرة — سواء في إيران أو سائر أنحاء العالم — كانت تعمل كحزب سياسي مرتبط بإسرائيل ومدعوم من قبل الصهاينة المقيمين في أميركا، ومن الطبيعي ينبغي للمتصدين لمواجهتها إن يأخذوا هذه الامور في الحسبان.

ومنذ عام ١٩٦٩ م وما بعد، اصبحت المحاضرات والخطابات التي كان يقلبها افراد من قبيل: الاستاذ مطهري، والدكتور مفتح، والدكتور باهنر، والمهندس بازرگان، والدكتور علي شريعتي، في المراكز الدينية في طهران كمسجد قبا، ومسجد هدايت، ومركز التوحيد، وحسينية الارشاد (على الخصوص)، محط انظار العديد من المثقفين المتدينين والمسلمين الجامعيين. فقد كرس الاستاذ المطهري — بوصفه فيلسوفاً وفتياً متميزاً حضر لسنوات طويلة درس الإمام الخميني والعلامة الطباطبائي رَحِمَهُ اللهُ — جل اهتمامه بعد عودته الى طهران لتبيين الاسس العقائدية الإسلامية وبلغة معاصرة، وتوعية الجيل الشاب بانحرافات المدارس الاحادية والالتقاطية. وقد عدَّ الإمام الخميني

جميع آثار الشهيد المطهري وبدون استثناء آثاراً مفيدةً، وجلل ذكره والخدمات القيمة التي أسداها للإسلام والمسلمين.

أما الجاذبية التي ميزت آثار الدكتور علي شريعتي آنذاك - ناهيك عن سحر قلمه، وأسلوبه الأدبي المتميز - فهي ناشئة من كونه مثقفاً أكاديمياً تناول المقولات الدينية والتاريخية والاجتماعية للمجتمع الإيراني المسلم بنظرة نقدية فاحصة. وإن غياب أمثال هذه البحوث وقتئذ كان واضحاً بين أوساط الجيل الشاب.



إن الدراسة المنصفة للوثائق والرسائل والمناقشات التي كانت للدكتور شريعتي مع السافاك والتي تم نشرها أخيراً، تؤكد أن السافاك ومع الأخذ بنظر الاعتبار أن التفاف الشباب حول شريعتي يساعد

كثيراً في إبعادهم عن الاهتمام بالأفكار اليسارية والشيوعية، كان يتوهم أنه بمواصلة حملاته الوحشية ضد رجال الدين التقليديين، سيهيئ الأرضية لبث الفرقة والاختلاف في صفوف العناصر المتدينة. ومن هنا امتنع

السافك لسنواتٍ طويلةٍ عن التعرض لنشاطاته ثم اضطروا في عام ١٩٧٣م الى اعتقاله وإغلاق حسينية الارشاد.

جدير بالذكر ان الرسائل التي كتبها الاستاذ مطهري وما خلّف من أوراقه المتبقية، تشير الى ان السبب في اعتقال



الاستاذ فعاليات ونشاطات حسينية الارشاد، يكمن في اعتقاده ان الثورة الثقافية والاجتماعية يجب ان تستند تعالى اصالة الوحي والى الفكر الديني المحض، لذا فإن الاستاذ المطهري كان يعتقد بان تأثير الاتجاهات الحديثة

والتفسيرات الثورية للمسائل الدينية والمذهبية — غير المبنية على الاساس المذكور، والتي لا تتعاطى الاساليب التخصصية في فهم استنباط الاحكام الدينية — سيكون مؤقتاً سريع الزوال وسيفتح الطريق امام الالتقاط والخلط بين المقولات الدينية والافكار الوضعية، الأمر الذي سيمهد السبيل امام نفوذ ورسوخ النظريات الفلسفية والاجتماعية الغربية.

بعد انتصار الثورة الإسلامية، وقفت بعض العناصر من الفئات المتطرفة في مواجهة رجال الدين وقيادة الثورة

بذريعة الدفاع عن الدكتور شريعتي. وفي المقابل ايضاً فإن الكثير من اولئك الذين تعرفوا على الدين والسياسة من خلال آثار الدكتور شريعتي، وقفوا في صف المدافعين عن الثورة الاسلامية ليؤدوا دورهم، وهذا ما لا يمكن انكاره مهما كان الحكم على آثار الدكتور شريعتي. واستناداً الى ما تقدم، صدرت آراء متباينة حول دور الدكتور شريعتي، فبعض عدّه عاملاً في تنفيذ الاهداف الثقافية لنظام الشاه، فيما اعتبره الكثيرون مفكراً اسلامياً ثورياً و اشاروا — مستندين الى مذكراته التي كتبها في اواخر حياته — الى انه اقرّ و اوصى ايضاً بضرورة تنقيح آثاره وحذف واصلاح

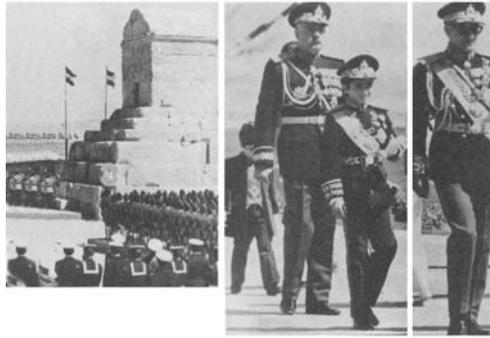


بعض استنتاجاته السطحية وتفسيراته المغلوطة. اما الإمام

الخميني فقد أكد في الكثير من خطاباته وبياناته في ذلك الوقت على ضرورة الدفاع عن المواقف المقدّمة لعلماء الدين المجاهدين الشيعة طوال التاريخ، والدفاع عن العلماء الاعلام، وردّ على كل الشكوك التي أُثيرت حول هذا الموضوع. وقد كرر التحذير — في رسائله التي بعث بها الى الاتحادات الإسلامية للجامعيين الدارسين في الخارج — من الاستنتاجات السطحية وغير المتخصصة عن الاسلام منبهاً في الوقت ذاته — وضمن تكريمه وتجليله للخدمات التي اسداها المفكرون المثقفون المسلمون — الى خطر المتحجرين والقشريين من علماء الدين، مؤكداً ايضاً على تجنب طرح المسائل المثيرة للخلاف والتمحور حول التكتلات الحزبية الأمر الذي يعدّ مخالفاً لمصالح الثورة.

□ الإمام الخميني ومواصلة النضال

(١٩٧١-١٩٧٧م)



في اواخر عام ١٩٧١ م تصاعدت وتيرة الخلافات بين نظام البعث العراقي ونظام الشاه الأمر الذي اسفر عن ترحيل الآلاف من ايرانيين المقيمين في العراق الى بلدهم. وبهذا الشأن ابرق الإمام الخميني الى الحكومة العراقية وندد بشدة بعملية التهجير تلك، واعلن عن عزمه على مغادرة العراق استنكاراً لممارسات الحكومة العراقية. غير ان النظام الحاكم في بغداد منع الإمام من الخروج خوفاً من النتائج التي قد تترتب على خروجه.

من جانب آخر وتزامناً مع زيادة انتاج النفط وارتفاع اسعاره في سنة ١٩٧١ م وما بعد، احس الشاه بقدرته اكبر، فضاغف من وحشيته في قمع واضطهاد المعارضين، وحاض سباقاً جنونياً في شراء التجهيزات العسكرية والسلع والبضائع الاستهلاكية الأميركية، وسرّع من ايجاد القواعد العسكرية الأميركية العديدة داخل البلاد، وزاد من مستوى العلاقات التجارية والعسكرية مع اسرائيل، وحمل الشعب الايراني نفقات هائلة لإقامة الاحتفالات الاسطورية في ذكرى مرور الفين وخمسمائة عام على نشوء الملكية في ايران^١ والتي كان يحضرها العديد من قادة ورؤساء دول

١- بعد اعتقال الإمام الخميني ونفيه عام ١٩٦٣م، لجأ معارضو النظام الشاهنشاهي الى النضال السري. ومنذ عام ١٩٦٦ حرص الملك، بدافع اظهار قوته وسلطوته والهاء ابناء الشعب، على اقامة الاحتفالات في مختلف المناسبات. ومن ابرز واضخم الاحتفالات التي اقامها، الاحتفال الذي اقيم بمناسبة مرور الفين

العالم. وقد جعل الشاه من هذه الاحتفالات استعراضاً للقدرة والثبات اللذين يتمتع بهما النظام الملكي.

وقد ندد الإمام الخميني — وعبر بيانات عديدة — بهذه الاحتفالات المفروضة على الشعب، وكشف النقاب عن تخلف البلاد والحقائق المرّة التي حكمت المجتمع الإيراني.

وخمسة سنة على الامبراطورية الفارسية. فلإقامة هذا الاحتفال — الذي وصف بأنه اضخم استعراض في العالم — أمر الشاه باقامة مدينة كاملة في الصحراء بالقرب من آثار «تخت جمشيد». وقد حضر الاحتفال ٩٠ ملكاً وخمس ملكات و٢١ اميراً وعدد كبير من رؤساء الجمهوريات ورؤساء الحكومات ومعاونيهن. وقد تم في ايامالاحتفال تقديم الاطعمة المعدّة في مطاعم «ماكسيم» الفرنسية، على اطاق واواني واباريق من اجود واغلي الانواع المعروفة. كما اقيمت في تلك المدينة الاسطورية آلاف القصور السيارة والمخيمات المجهزة بأحدث وأرقى الوسائل والاثاث والديكورات. كان كل هذا يجري في وقت كانت الغالبية العظمى من ابناء الشعب الإيراني تفتقر الى ابسط الامكانيات الرفاهية كالماء والكهرباء والدواء. وقد كتبت بهذا الصدد مجلة التام في عددها الصادر في آب عام ١٩٨٠، تقول: «حتى شهرزاد القاصّة لا يمكنها وصف الأبهة التي اقيمت بها احتفالات احياء ذكرى الالفين وخمسمئة عام على الامبراطورية الفارسية، التي حوار خرائب «تخت جمشيد»، وإن استخدمت كل العبارات والادوصاف الاسطورية التي ذكرت عنها في قصص الف ليلة وليلة ... عندما اقام الشاه هذه الاحتفالات، قدّم نفسه كوريث لأعرق امبراطورية في العالم تمكنت من البقاء قروناً متتالية. بل انه رغب في الاشارة الى انها ستبقى الى آخر التاريخ. فمن ذا الذي خطر في ذهنه من الضيوف الموقرين، او تصور أن هذا التاريخ الامبراطوري سيختم بشخص محمد رضا».

وخلال الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة، وبينما كان الملك يمثل الحامي المقتدر لاسرائيل، طالب الإمام الخميني - عبر بيان اصدره في تشرين الثاني ١٩٧٣ م - الشعب الايراني بالوقوف في وجه اعتداءات الكيان الصهيوني، كما افتي في هذا البيان ايضاً بوجود دعم الشعوب الإسلامية للمجاهدين الفلسطينيين مادياً ومعنوياً، وذلك عبر التبرع بالدم وارسال الاسلحة والذخائر والمواد الغذائية الى المجاهدين المسلمين^١. كما أكد سماحته في بيان آخر على ان: «الامة الإسلامية لن ترى يوماً سعيداً ما لم تجتث جرثومة الفساد هذه (اسرائيل) من جذورها، وان ايران لن تشم نسيم الحرية ما دامت مبتلاة بهذه العائلة (البهلوية) الفاسدة»^٢.

وفي اواسط شهر آذار ١٩٧٤م، تجلت ديكتاتورية الملك في ذروتها، حينما اعلن عن تشكيل حزب البلاط «رستاخيز» (ويعني البعث!) واعتمد سياسة الحزب الواحد. فقد اعلن عبر حديث تلفزيوني بان على جميع ابناء الشعب الايراني ان ينسوا الى هذا الحزب، وعلى المعارضين ان يحصلوا على جوازات سفرٍ ويغادروا البلاد باسرع وقت^٣.

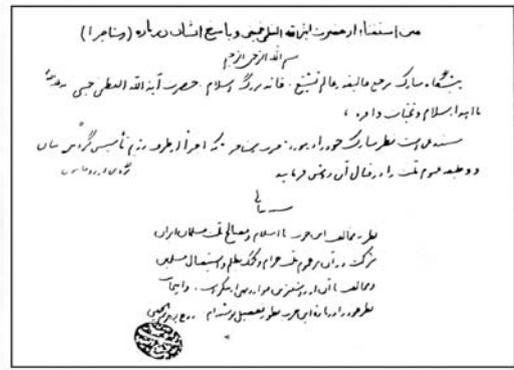
١ - صحيفة الإمام، ج٣، ص٧.

٢ - نفس المصدر، ص٧.

٣ - نفس المصدر، ص ٧١.

وعلى الفور اصدر الإمام الخميني فتواه التي جاء فيها: «نظراً لمخالفة هذا الحزب للإسلام ومصالح الشعب الايراني المسلم، يحرم على جميع ابناء الشعب الانتماء اليه، وان الانتماء اليه يعدُّ إغانة للظالم ومشاركة في القضاء على المسلمين، كما ان معارضته تعدّ من ابرز مصاديق النهي عن المنكر»^١.

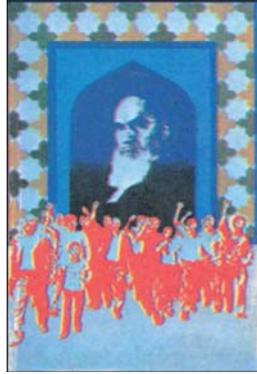
كانت فتوى الإمام الخميني وبعض علماء الاسلام فاعلة ومؤثرة. ورغم الاعلام المكثف الذي كرسه النظام للحث على تقوية الحزب، الا ان النظام اعلن عن هزيمته رسمياً بحلّه الحزب بعد عدّة سنوات.



كتب الإمام الخميني في جانب آخر من بيانه هذا يقول: «وانا في غربتي هذه، يعصرنى الالم والحسرة على الوضع

المؤسف الذي يعيشه الشعب الايراني، وكم هو جميل ان
اكون في هذه الظروف الحساسة بين أبناء الشعب،
اساهم معهم في هذا الجهاد المقدس من اجل انقاذ
الاسلام وإيران»^١.

وفي عام ١٩٧٥ وفي ذكرى انتفاضة حزيران، شهدت
الفيضية مجدداً قيام الطلاب الثوريين وانطلقت صرخات
«يعيش الخميني»، «الموت لسلالة البهلوي» لترن في
أرجاء المدرسة على مدى يومين. ولما كانت الحركات
والمنظمات الفدائية قد تلاشت، وكانت الشخصيات
الدينية والسياسية المجاهدة تزرح في سجون النظام، فقد



مثلت هذه الحركة الثورية
صدمة للملك والسافاك،
فانطلقت قوات الشرطة
لمحاصرة المدرسة الفيضية ثم
اهالت على طلبة العلوم
الدينية بالضرب والشتيم
بصورة وحشية وألقت القبض
على جميع المعارضين واقتادتهم
الى السجون.

وفي بيان اصدرة الإمام الخميني بهذه المناسبة، اعرب عن تفاؤله لهذا الحادث قائلاً: «رغم كل المصائب فإنَّ صحوة الشعب تبعث على الأمل. ان نهوض الجامعيين في مختلف أنحاء إيران — طبقاً لاعتراف الملك نفسه — والعلماء الاعلام وطلاب المدارس ومختلف فئات الشعب، ورغم كل الضغوط والتجبر، مقدمة لنيل الحرية والاعتناق من قيد الاستعمار»^١.

وفي كلمة بعثها الى المؤتمر السنوي للاتحادات الإسلامية للجامعيين الدارسين في أميركا وكندا، في ٢٤ ايلول ١٩٧٥م، كتب سماحته: «ان نقطة الامل المضيئة التي اراها في اواخر عمري، هي هذا الوعي والصحوة التي يتحلى بها الجيل الشاب. ونهضة المثقفين التي تتنامى بشكل سريع والتي ستحقق أهدافها — بأذن الله تعالى — في قطع ايادي الاجانب وبسط العدالة الإسلامية»^٢. امعاناً في سياساته بمحاربة الدين، غيّر الملك في آذار عام ١٩٧٥ بكل وقاحة، التاريخ الرسمي المعتمد في البلاد، من التاريخ الهجري الى التاريخ الملكي للوك الهخامنشة. وفي ردّ حاسم افق الإمام الخميني بجرمة استخدام التاريخ الملكي.

١- نفس المصدر، ص ١٠١.

٢- نفس المصدر، ص ١١٤.

وكما استقبلت الجماهير فتوى الإمام في تحريم الانتماء الى حزب (رستاخيز)، حظيت فتواه في تحريم استخدام



التاريخ الملكي الموهوم باستقبال جماهير كبير، وفضحت الحادثتان النظام الملكي، مما دفعته الى التراجع عنه عام ١٩٨٧ وإلغاء استخدام التاريخ الملكي.

من جانب آخر، اتمت اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ م

التي وقعت بين الشاه وصادق حسين (نائب رئيس الجمهورية العراقية آنذاك) الخلافات بين البلدين بشكل مؤقت، فقد رأت أميركا ان المنازعات والمناوشات بين بغداد وطهران وقتئذ أمرٌ يعرض الاستقرار في المنطقة وفي الخليج الفارسي الى الخطر. لذا فقد تمّ عقد تلك الاتفاقية بشكل رسمي بتدخل الرئيس الجزائري والرئيس المصري انور السادات الصديق الحميم لشاه ايران.

أدت اجواء التآلف بين حكام بغداد وطهران الى مضاعفة العراقيين امام مسير جهاد الإمام الخميني، غير ان هذه الموانع لم تتمكن من ثنيه عن مواصلة جهاده الذي ابتدأه.

وفي تلك الايام بعث السفير الايراني في العراق تقريراً وجهه الى قادة النظام الملكي يقول فيه: «ان آية الله الخميني، لم يكف عن ممارسة نشاطاته في العراق، فهو ناشط جداً في العمل على مواجهة النظام، يرجى اصدار أوامركم في هذا الخصوص لتحديد موقفنا تجاهه».

وفي معرض جوابه على هذا التقرير كتب الملك — بغضب —: «لقد قلت مراراً لا بد من خنق هذا الصوت»^١ غافلاً عن ان التقدير الالهي اراد مصيراً آخراً لرسالة الإمام الخميني «يُريدونَ لِيُطْفَنُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ»^٢.

في عام ١٩٧٦ وصل الديمقراطيون الى البيت الابيض الأميركي، وضاعت سدى المساهمات المالية التي قدمها شاه ايران الى الجمهوريين، وكان كارتر قد انتصر من خلال شعارات حقوق الانسان، والحد من تصدير الاسلحة الى الخارج. وواضح أن هذه الشعارات انما رفعت لاجل الحد من المشاعر العدائية تجاه أميركا التي كانت تسود البلدان الاخرى كايران مثلاً، والتعتيم على الازمة الاقتصادية التي كانت تعصف بأميركا، وزيادة الضغط على الاتحاد السوفيتي (السابق) للحصول على امتيازات اكثر في

١- انظر: الكوثر: مجموعة خطابات الإمام الخميني، ج ١، ص ٢٧٣ وأيضاً

صحيفة كيهان ١٩٧٩/٢/٢٧.

٢- سورة الصف، الآية ٨.

مفاوضات الحدّ من الاسلحة النووية التي كانت جارية آنذاك بين الطرفين.

بعد اتضاح سياسات الديمقراطيين في أميركا، قام الملك



بالاعلان عن سياسة الفضاء السياسي المفتوح! واقدم على اجراء تغييرات وتبديلات في بيادقه.

وتشير الوثائق التي نشرت بعد احتلال وكر التجسس الأميركي (السفارة الأميركية في طهران) بأن السياسة

الأميركية فيما يخص «إيران» — التي كانت تضع اطارها العام وزارة الخارجية الأميركية ووكالة المخابرات الأميركية CIA، وكانت تبلغ للسفارة في طهران — لم تتغير، فأمركا تدعم الملك ونظامه بالكامل، وان الديمقراطيين ايضاً يرون — كما هو الحال في السابق — بأن الملك يمثل عنصراً اساسياً لحفظ المصالح الأميركية في منطقة الخليج الفارسي، لذا استثنت إيران من قانون حظر تصدير الاسلحة.

وقد اوضح سفركارتر وزوجته الى طهران والحديث الذي ادلى به والتصريحات التي اعلن من خلالها عن الدعم

المطلق الذي يوفره البيت الابيض للملك، بأنّ الفضاء السياسي المفتوح انما كان حركة مسرحية عابرة.

□ بلوغ الثورة الإسلامية ذروتها عام ١٩٧٧ ونهضة الجماهير

تمكن الإمام الخميني — الذي كان يتابع التحولات والاحداث الجارية في إيران والعالم بدقة متناهية — من اغتنام الفرصة التي اتاحت له محققاً الاستفادة القصوى منها. فقد اعلن في بيان اصدره في آب ١٩٧٧: «نظراً للاوضاع الداخلية والخارجية، وانتشار انباء الجرائم التي يرتكبها النظام الحاكم في اخافل الدولية والصحافة الاجنبية، فإن الفرصة مواتية الآن للتجمعات العلمية والثقافية والوطنيين والجامعيين الدارسين في الخارج والداخل، والاتحادات الإسلامية اينما كانت، للمبادرة بالانتفاضة دون خوف — واغتنام هذه الفرصة»^١.

وجاء في جانب آخر من البيان ذاته: «ان التجاوز على حقوق مئات الملايين من المسلمين، وتحكيم حفنة من الاوباش على مقدراتهم، واتاحة الفرصة للنظام الايراني غير الشرعي، وللكيان الاسرائيلي الخاوي ليغتصبا حقوق

١- صحيفة الإمام، ج٣، ص٢٠٩.

المسلمين ويصادرا الحريات، ويتعاملا مع الناس معاملة وحشية، كلها جرائم ستثبت في سجل الرؤساء الأميركيين»^١.



تحولت شهادة آية الله السيد مصطفى الخميني^٢ في شهر تشرين الاول ١٩٧٧م والمراسم التأيينية المهمة التي اقيمت

١- نفس المصدر، ص ٢١٠.

٢- الحاج السيد مصطفى الخميني هو النجل الاكبر للامام الخميني (١٩٣٠-١٩٧٧م). ابتداءً دراسته العلوم الإسلامية ولم ينهاهز الخامسة عشرة من عمره، فبلغ مرتبة الاجتهاد قبل أن يتم عقده الثالث. وقد تمكن وهو في سن الشباب من التحير والامام الشامل في مختلف العلوم الإسلامية، إذ تتلمذ على يد اساتذة كبار نظير سماحة الإمام الخميني والمرحوم آية الله البروجردي والمرحوم السيد محمد الداماد.

القي القبض عليه في ٤ / ١١ / ١٩٦٤ وادع السجن ثمانية وخمسين يوماً، اطلق سراحه بعدها واعيد الى قم ليجد في استقباله حشوداً من العلماء وطلبة العلوم الدينية وانباء مدينة قم خرجوا لاستقباله. بمجرد سماعهم نبأ اطلاق سراحه.

له في إيران، الى نقطة انطلاقٍ لتحرك الحوزات العلمية مجدداً، ونهضة المجتمع الايراني المتدين. وقد عبر الإمام الخميني عن تلك الحادثة بـ «الألطف الإلهية الخفية» — الأمر الذي أثار الدهشة والاعجاب. وقد حاول النظام الملكي حينها الانتقام من الإمام بنشر مقالة موهنة في صحيفة اطلاعات. غير ان السحر انقلب على الساحر، اذ فجرت المقالة انتفاضة التاسع من كانون الثاني عام ١٩٧٨م التي استشهد فيها جمع من الطلاب الثوريين. ومرة اخرى اشعلت قم فتيل النهضة، وما هي إلا فترة وجيزة — وفي ظروف اختلفت تماماً عن الظروف التي انطلقت فيها انتفاضة حزيران ١٩٦٣ — حتى تضافرت وتكاثفت حركة الجماهير في مختلف أنحاء البلاد. حيث ادت إقامة

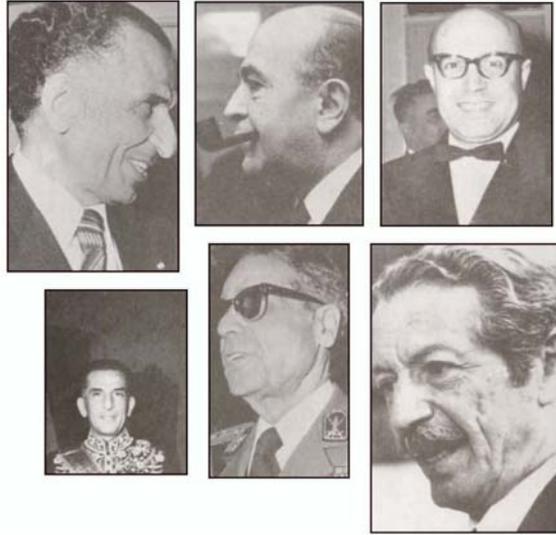
عُرف سماحته — كما هو الحال مع والده بروحه الجهادية المقدامة واعتقاده الراسخ بختمية سقوط الحكومة البهلوية من خلال القيام الشعبي والعلمائي الشامل، وهونفسه كان له في هذا الطريق جهاد طويل. وفي العراق كانت مديرية الامن العام العراقية تراقب الاوضاع عن كثب، فقامت باستدعائه عام ١٩٦٩م الى قصر الرئاسة في بغداد، فالتقاه هناك الرئيس العراقي احمد حسن البكر، الذي كان قد اطلع على لقاءاته السرية مع آية الله السيد الحكيم، وطالبه مهدداً اياه بالموافقة على التعاون مع النظام البعثي العراقي لمواجهة نظام الشاه في ايران. إلا أن سماحة السيد مصطفى الخميني رفض المقترح العراقي كلياً، وقد اشاع النظام الايراني حينها اخباراً تشير الى تواطئه مع النظام العراقي. استشهد السيد مصطفى قبل عام واحد من انتصار الثورة الإسلامية عن عمر يناهز الثامنة والاربعين.

مراسم العزاء المتتالية في اليوم الثالث والسابع والاربعين من سقوط الشهداء، الى سريان لهيب الثورة الى مدن السبلاد الاخرى كتبريز ويزد وجهرم وشيراز واصفهان وطهران. وطوال هذه الفترة كانت البيانات المتواصلة الصدور من الإمام الخميني، واشرطة تسجيل احاديثه وخطاباته — والتي كان يدعو فيها الجماهير الى الثبات ومواصلة النهضة حتى القضاء على النظام الملكي وتشكيل الحكومة الإسلامية — تستنسخ وتُكثّر على ايدي مؤيديه وانصاره ويتم توزيعها في جميع انحاء البلاد.

ومع كل الجرائم الوحشية التي ارتكبتها النظام الملكي، لم يتمكن من اخماد لهيب الثورة المستعرة. وكانت احابيله ودسائسه السياسية ومناوراته العسكرية تبوء بالفشل دون أن يكون لها دور في تهدئة الغضب الجماهيري، بفعل بيانات الإمام التي كانت تكشف الخفايا وترشد الجماهير الى اتخاذ الخطوات اللازمة في مسيرة تحركهم.

ولما لم ينفذ تنصيب احد التكنوقراطيين المتغربين (جمشيد آموزكار) رئيساً للوزراء بدلاً عن (هويدا) — الذي عمل في خدمة الملك ثلاثة عشر عاماً — في ايجاد حلٍ للمعضلة التي تعصب بالنظام، استبدل الملك آموزكار بأحد اعضاء المحافل الماسونية الاستعمارية في إيران، فجاء (جعفر شريف امامي) رافعاً شعار «حكومة المصالحة الوطنية». إلا أن دسائسه ومسايعه في التفاوض مع

شريعتمداري — الذي لمع نجمه مجدداً باعتباره احد القادة
الدينيين، وحرص النظام على تأييده ودعمه — لم تتمكن
من ايقاف التحرك الجماهيري.



وفي عهد حكومته (شريف إمامي) - الثامن من ايلول - ارتكبت المذبحة الجماعية الوحشية بحق الجماهير العزل في ميدان جالة (الشهداء حالياً) بطهران. واصلت إثر ذلك الاحكام العرفية في كل من طهران واحدى عشرة محافظة من محافظات البلاد الكبرى لأجل غير مسمى.



غير أن الجماهير لم تعباً بالاحكام العرفية، مستلهمه شجاعتها من بيانات الإمام الخميني، واستمرت التظاهرات ليل نهار، دون انقطاع، بل كانت في اتساع مستمر. إذ كانت نداءات (الله اكبر)، (الموت للشاه) (يعيش الخميني) تسمع على مدار الساعة ويرافقها احياناً ازيز الرصاص الذي كان ينطلق من كل جهة.

لقد قاد الإمام الخميني نهضته منذ البدء مستلهماً قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»

ومرّحاً الثورة الثقافية والتحول الاجتماعي بواسطة الجماهير، على الثورة السياسية، وكان سمّاحته يعتقد في تلك الظروف التي كانت تمرّ بها إيران بعدم جدوى النضال من خلال الاحزاب او البرلمانات، وكذا بعدم جدوى الكفاح المسلح إذ ما جرّد من مشاركة الجماهير، ودعمهم. وكان يرى التعبئة العسكرية والجهاد العام المسلح آخر السبل المتبقية اذا ما فكرت أميركا بالانقلاب العسكري.

كانت المساجد والمراكز الدينية بمثابة المعاقل الاساسية للثورة الإسلامية والمنطلق لتحرك الجماهير وتجمعاتها. وكانت الشعارات التي ترددها الجماهير ومزيجاً من التعاليم الدينية وارشادات الإمام الخميني. وخلال عامي ١٩٧٧ و١٩٧٨م، عندما بلغت الثورة الإسلامية ذروتها عادت الاحزاب والفئات السياسية للظهور من جديد وباعداد كبيرة جداً، وقاعدة ضئيلة لاتذكر، مما جعلها تعيش في جذب حرمها امكانية التأثير في مجرى الاحداث تماماً فاضطرها تعالي مجارة الحركة الجماهيرية الواسعة.

ويومها نشطت الحركات والفصائل الجهادية المسلحة، التي تمّ تشكيلها بوحى من الاهداف الإسلامية واعتقادات



راسخة بنهج الإمام الخميني. فكانت نشاطاتها تعبّر عن
فُحج جهادي مستقل، بل تمثل حركة حماية ودعم لثورة
الشعب العارمة.

وكان من الاساليب الموفقة التي اتبعها الإمام الخميني في
الجهاد ضد نظام الشاه، دعوته الجماهير الى الاضرابات
العامة وتوسيع مدارها. فقد شملت الاضرابات في الاشهر
الاحيرة من الثورة مختلف اركان النظام من وزارات ودوائر
ومراكز عسكرية حتى امتد الأمر الى عمال وموظفي شركة

النفط الوطنية والبنوك ومراكز الدولة الحساسة، الأمر الذي وجّه الضربة القاضية الى جسد النظام.

□ انتقال الإمام الخميني من العراق الى باريس

اتفق الطرفان في الاجتماع الذي عقد بين وزيرى خارجية العراق وإيران في نيويورك على اخراج الإمام الخميني من العراق.

وفي الرابع من ايلول ١٩٧٨ م حوَصر منزل الإمام الخميني في النجف من قبل قوات امن النظام العراقي، مما فجر غضب المسلمين في إيران والعراق وسائر البلدان. ففي لقاءه الإمام ابغاه رئيس دائرة الأمن العراقية بأن شرط إقامته في العراق، الكف عن نشاطه الجهادي وعدم التدخل بالسياسة. وقد ردّ الإمام بحزم على هذا الاقتراح منوهاً الى احساسه بالمسؤولية قبال الامة الإسلامية، الأمر الذي يمنعه من السكوت او عقد أي نوع من المصالحة^١.

في الرابع من تشرين الاول من العام نفسه، غادر الإمام الخميني النجف الاشراف متوجهاً الى الكويت، غير أن الكويت امتنعت عن استقباله بايعازٍ من النظام الايراني. عندها اقترح البعض السفر الى سوريا او لبنان، غير ان الإمام الخميني — وبعد التشاور مع نجله حجة الاسلام

١- انظر: كتاب الكوثر: مجموعة خطابات الإمام الخميني، ج٣، ص٥٣٢.

الحاج السيد احمد الخميني — قرر السفر الى باريس. وفي السادس من تشرين الاول عام ١٩٧٨ م وصل الإمام الخميني الى باريس^١. وبعد يومين من وصوله انتقل الى منزل احد الايرانيين المقيمين في نوفل لوشاتو(ضواحي باريس). بعدها قام موظفوقصر الاليزية بابلاغ الإمام الخميني بوجهة نظر الرئيس الفرنسي (جيسكار ديستان) المتمثلة بضرورة اجتناب الإمام الخميني لاي نشاط سياسي. وقد ردّ سماحته بحزم بأن هذا يتنافى ومزاعم الديمقراطية، وانه اذا اضطر للسفر من مطار الى مطار ومن بلد الى بلد فإنه لن يكف عن جهاده لتحقيق اهدافه^٢.

كتب الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان في مذكراته



بأنه كان حينها قد اصدر الأمر باخراج الإمام الخميني من

١- نفس المصدر، ج١، ص٤٣٤.

٢- المصدر السابق.

فرنسا، لكنه عدل عن قراره في آخر لحظة عندما حذرته ممثلو النظام الإيراني والسياسيون الذين كانوا يعيشون أقصى حالات القلق والاضطراب، من مغبة وقوع ردِّ فعل جماهيري يستحيل السيطرة عليه، وانهم غير مسؤولين حينها عما سيقع في إيران وفي أوروبا^١.



وخلال مدة إقامة الإمام في (نوفل لوشاتو) التي دامت أربعة أشهر، تحولت تلك المدينة الصغيرة إلى أهم مركزٍ خبري في العالم، وعرض الإمام الخميني من خلال اللقاءات الصحفية المتعددة

التي اجريت معه مختلف وجهات نظره حول الحكومة الإسلامية وأهدافه فهُضتته المستقبلية امام العالم اجمع، وبذلك تعرف الكثيرون على فكر الإمام وثورته، ومن هنا ابتدأت قيادته لا صعب المراحل في النهضة الإسلامية الإيرانية^٢.

١- القوة والحياة: مذكرات رئيس فرنسا، ترجمة محمود طلوعي، ص ١٠٢.

٢- راجع: صحيفة الإمام، ج ٣، ص ٣-٤-٥-٦.

لم تستطع حكومة (شريف إمامي) الصمود أكثر من شهرين، وبعد سقوطها كلف الشاه (ازهاري) بتشكيل حكومة عسكرية. فازدادت وتيرة المذابح، إلا أنها لم تستطع السيطرة على الجماهير. فطالب الشاه — بعد أن أصيب بالانهيار — السفيرين الأميركي والبريطاني بحلٍّ لازمة. إلا أنَّ أيًّا من مقترحاتهما لم تجد نفعاً.

وفي يومي تاسوعاء وعاشوراء انطلقت المظاهرات المليونية في طهران وسائر المدن الأخرى، والتي اشتهرت فيما بعد باسم (الاستفتاء غير الرسمي من قبل الجماهير ضد سلطة الملك).

تم اقتراح شابور بختيار، أحد قادة الجبهة الوطنية، وآخر بيدق من البيادق الأميركية، على الشاه لتعيينه رئيساً للوزراء. ففي اجتماعهم الرباعي في (غوادلوب) اتفق قادة الدول الصناعية على دعم وزارة بختيار^٢.

وبعد ذلك وصل الجنرال هايزر (معاون قيادة حلف الناتو) إلى طهران في مهمة سرية استغرقت شهرين، وقد كشف النقاب في اعترافاته فيما بعد عن أن مهمته كانت تتمثل في توفير دعم وحماية العسكريين لبختيار وتوفير الأمن لوزارته، وافشال الاضرابات، وأخيراً الاعداد

١- الإجابة على التاريخ، ص ٣٥٠-٣٦٤.

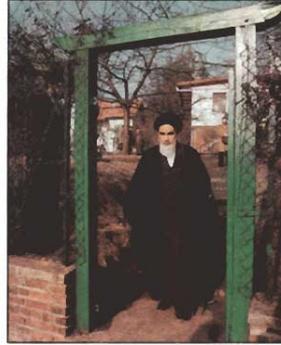
٢- انظر: القوة والحياة، مذكرات رئيس فرنسا، مؤتمر غوادلوب، ترجمة محمود طلوعي.

لانقلاب عسكري لإعادة الملك الى السلطة بشكل مشابه لما تمّ في انقلاب ١٩ آب ١٩٥٣ م^١. غير ان بيانات الإمام الخميني التي اكدت وجوب مواصلة الجهاد احبطت جميع مخططات النظام.

في مطلع عام ١٩٧٩ شكل الإمام الخميني مجلس قيادة الثورة. كذلك فإن الملك ايضاً وبعد تشكيل مجلس الوصاية على العرش وحصول وزارة بختيار على ثقة اعضاء المجلس فرّ من البلاد في ١٦ كانون الاول ١٩٧٨. وانتشر الخبر في طهران وسائر انحاء إيران وخرجت الجماهير الى الشوارع تحتفل وتعبر عن فرحتها.

من جانب آخر لم تستطع اجتماعات هايزر المتواصلة بالمستشارين العسكريين الأميركيين وقادة الجيش

الشاهنشاهي، من مساعدة بختيار في التغلب على الاضرابات وانهاء الثورة الشعبية.



□ عودة الإمام بعد

١٤ عاماً من النفي

١ - انظر: المهمة في طهران، مذكرات الجنرال هايزر.

شاع في أواخر شهر كانون الاول خبير عزم الإمام
الخميني على العودة الى إيران. وكان كل من يسمع



بالخبر تفيض عيناه بدموع الشوق. لقد عانت الجماهير
اربعة عشر عاماً من الانتظار. بيد أن الجماهير والمحبين
كانوا في قلق واضطراب على حياة الإمام الخميني ذلك ان
الحكومة العسكرية العملية للملك مازالت في سدة الحكم.
لذلك فقد أوصى اصدقاء الإمام بتأخير السفر قليلاً لتوفير
الظروف المناسبة لحمايته.

من جانب آخر فإن عودة الإمام الى إيران في تلك
الظروف ولقائه بالجماهير المليونية الثائرة كان يعني — من
وجهة نظر أميركا — النهاية الحتمية للنظام الملكي. لذا فقد
اتخذت خطوات عديدة، بدءاً من التهديد بتفجير الطائرة
التي تقل الإمام، وانتهاءً بالقيام بانقلاب عسكري، كل

ذلك لدفع الإمام الى تأخير سفره. حتى ان الرئيس



الفرنسي وقتئذ قام بدور الوساطة، لكنَّ الإمام كان قد اتخذ قراره النهائي واعلن عبر بيانات اصدرها للشعب الايراني بانه يرغب ان يكون مع شعبه في هذه الايام المصيرية الحاسمة.

اقدمت حكومة بختيار — بالتنسيق مع الجنرال هايزر — على اغلاق المطارات بوجه الرحلات الخارجية.. وقد

توجهت الملايين من مختلف أنحاء البلاد، لتشارك في



التظاهرات التي انطلقت في طهران مطالبة بفتح المطار.
كما اجتمع جمع من العلماء والشخصيات السياسية في



مسجد جامعة طهران وعلنوا عن اعتصامهم هناك حتى
تفتح مدارج المطار، ولم تتمكن حكومة بختيار من الصمود
اكثر من عدّة ايام ثم رضخت لمطالب الجماهير.

اخيراً وفي مطلع شهر شباط عام ١٩٧٩ م وصل الإمام الخميني الى إيران بعد اربعة عشر عاماً من فراق الوطن. وقد كان استقبال الجماهير لقائدها عظيماً ومنقطع النظير الى درجة لم تستطع حتى الشبكات الاعلامية الغربية من انكاره، اذ قدرت وسائل الاعلام الغربية عدد المستقبليين بين (٤-٦) ملايين شخص.



وما ان وصل الإمام حتى توجهت الجموع من مطار طهران الى مقبرة «جنة الزهراء» حيث مزار الشهداء، لتصغي لحديث قائدها التاريخي. في ذلك الحديث اعلن الإمام قائلاً: «سوف اقوام بدعم من هذا الشعب، بتشكيل الحكومة»^١.



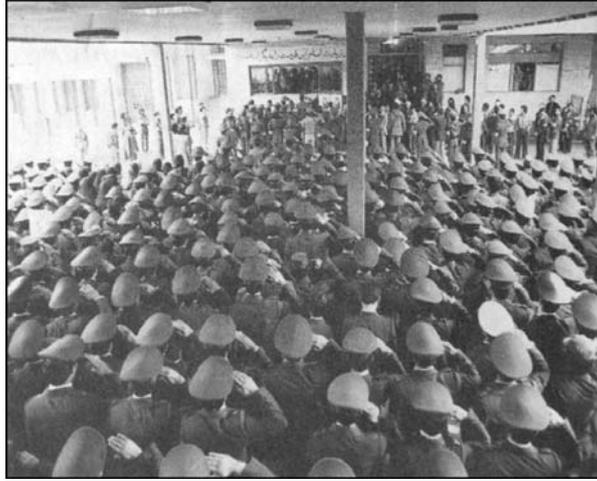
في بداية الأمر، اعتبر بختيار بأن الإمام يمزح! وما هي الأيام قلائل حتى أعلن الإمام الخميني في الخامس من شباط ١٩٧٩ عن تعيين (مهدي بازرگان) رئيساً للحكومة المؤقتة، بعد ترشيحه من قبل مجلس الثورة، وهو وجه متدين معروف، له ماض جهادي وخبرة في حركة تأميم النفط. وفي قرار التعيين طالب الإمام الخميني المهندس بازرگان بتشكيل وزارته دون الأخذ بنظر الاعتبار العلاقات الحزبية، وذلك لاعداد التمهيدات اللازمة لاجراء استفتاء شعبي ثم إجراء الانتخابات، مطالباً الجماهير الايرانية التعبير عن رأيها من خلال الانتخابات المزمع

اجراؤها. فبادرت الجماهير للانطلاق في مظاهرات حاشدة عمت البلاد باسرها للاعلان عن دعمها وتأييدها لقرار الإمام الخميني.

اما الاحزاب والفصائل السياسية الاخرى — والتي كان قادتها ومسؤولوها واعضاؤها القليلون يخرجون من سجنهم ومعتقلاتهم ببركة نهضة الجماهير وعلى عدة مراحل، وفيما كان الشعب يقف على اعتاب النصر، راحت تتطلع الى الحصول على المكاسب والمطالبه بسهم اوفر لها في ارث الثورة. ومنذ تلك الأيام ابتداء الاصطفاف بوجه الثورة الإسلامية بصفوف امتلأت بعملاء النظام البائد وازلام السافك والشيعيين ومجاهدي خلق (المنافقين).

□ سقوط النظام الملكي وانتصار الثورة الإسلامية يوم الله ١١ شباط

بايع منتسبو القوة الجوية، في الثامن من شباط ١٩٧٩،



الإمام الخميني في محل اقامته بالمدرسة العلوية في طهران،
واصبح الجيش الملكي على حافة السقوط الكامل. وقبل
ذلك كان العديد من الجنود والمراتب من المؤمنين قد تركوا
المسكرات التزاماً بفتوى الإمام والتحقوا بصفوف
الجماهير.



في التاسع من شباط قام
منتسبو القوة الجوية بالتمرد
في اهم قاعدة لهم في
طهران. وبادرت قوات
الحرس الملكي للقضاء على
التمرد، فهبت الجماهير
لدعم القوات الثورية في

القاعدة. وفي العاشر من شباط كان معظم مراكز الشرطة ومؤسّسات الدولة قد سقطت الواحدة تلو الأخرى بأيدي الجماهير. وفي بيان عسكري له اعلن القائد العسكري لمدينة طهران عن تمديد ساعات منع التجوال الى الساعة الرابعة بعد الظهر. وتزامناً مع ذلك عقد بختيار اجتماعاً طارئاً لمجلس امن الدولة واصدر أوامره بالقيام بالانقلاب العسكري الذي اعد له سلفاً بالتنسيق مع الجنرال هايزر. من جانب آخر اصدر الإمام الخميني بياناً دعا فيه ابناء طهران - وبدافع احباط

المؤامرة المبيّنة -



للتزول الى الشوارع والغاء قرار منع التجوال بشكل عملي. فاندفعت الجماهير شبيهاً وشباناً ونساءً واطفالاً الى الشوارع، وشرعت باعداد الخنادق. وما ان خرجت الدبابات والقوات العسكرية

المكلفة بتنفيذ الانقلاب من معسكراتها، حتى سيطرت الجماهير عليها ومنعتها من مواصلة مسيرها. ففشل

الانقلاب منذ ساعاته الأولى، وبذلك سقط آخر معاقل النظام الملكي. وفي صباح الحادي عشر من شباط اشرفت شمس انتصار نهضة الإمام الخميني والثورة الإسلامية، لتعلن نهاية عهد حاكمية الملوك الظالمين في إيران^١.



□ تشكيل الحكومة الإسلامية واصطفاف الدول الاستعمارية لمعاداتها

لم يكن تحقق وعود الإمام الخميني وانتصار الثورة الإسلامية في إيران، حادثة داخلية لتغيير نظام سياسي معين، بل كان ذلك — وكما عبر عنه الكثير من ساسة

١- انظر: كتاب الكوثر: مجموعة خطابات الإمام الخميني، ج٣، الصفحات ٢٦١ الى ٣٥١.

أميركا واسرائيل واوروبا في مذكراتهم التي كتبوها عن تلك الايام - زلزلاً مدمراً للعالم الغربي^١.

فضلاً عن ان أميركا فقدت بنجاح الثورة اهم موقع جغرافي واقتصادي وعسكري لها في احدى اشدّ مناطق العالم حساسية وفي بلد كان يمتلك اطول حدود مشتركة مع منافسه الشرقي (الاتحاد السوفيتي السابق)، فإن امواج هذا الانفجار الهائل، كانت قد هزت الانظمة العملية في البلدان الإسلاميّة والعربية واصابتها بالذعر الشديد.

كانت رسالة الثورة الإسلاميّة الاصلية ذات ماهية ثقافية بنيت على الفكر الديني والقيم المعنوية. ومن هنا كان انتصار الثورة يعني صدور رسالتها وقيمها لتفجير موجة من النهوض والتحرر في البلدان الإسلاميّة والعالم الثالث. وفي الفترة نفسها التي حققت الثورة الإسلاميّة نصرها في إيران سقط النظام العميل لأمريكا في (نيكاراغوا). وفي افغانستان اضطر الاتحاد السوفيتي الى القيام بانقلاب دموي دفع على أثره قواته العسكرية لاحتلال تلك الدولة للسيطرة على التحرك الاسلامي. كما ان الجماهير العربية المسلمة في لبنان وفلسطين احتفلت بانتصار الثورة الإسلاميّة في إيران وابتدأت مرحلة جديدة من نضالها، مستلهمةً من الثورة الإسلاميّة افكار واساليب جديدة. كذلك عادت الحياة الى

١- انظر: سايروس ونس(وزير خارجية امريكا)، وزينغنيو برجيسكي (استشار الأمن القومي)، المؤامرة في ايران، ترجمة محمود مشرقي، دار نشر هفته، ١٩٨٤.

الحركات الإسلامية في مصر وتونس والجزائر والسودان والحجاز وتركيا.

بعد الحرب العالمية الثانية كان قد ساد العالم نظام ظالم. فقد تم تقسيم مناطق العالم بين القوتين المنتصرتين (الشرقية والغربية) واوكلت مهمة الحفاظ على هذا النظام المقيت الى حلفي (وارشو) و(الناتو). ولم تستطع اية حركة او ثورة في العالم الثالث من تحقيق أي هدف لها خارج هذا الاطار ودون الارتباط باحد القطبين الحاكمين. ومع ذلك حققت الثورة الاسلامية نصرها في عالمنا المعاصر وفي منطقة كان يعدّها الغربيون منطقة أمن لهم، وكان شعارها «لاشرقية لا غربية».

لقد وقفت نهضة الإمام الخميني وبشكل مباشر بوجه الامبريالية الأميركية وألحقت الهزيمة بها، الأمر الذي جرّد الشيوعيين من سلاحهم الذي كانوا يلوحون به (الوقوف بوجه الامبريالية). ولأول مرة في العصر الحاضر يطرح الدين كعامل محرك في ميدان نضال الشعوب.

وعلى الرغم من مشاعر الشك والترديد، والمساعي التي بذلت على المستوى الدولي للحفاظ على نظام الشاه وللحيلولة دون انتصار الإمام الخميني في نهضة، حققت الثورة الإسلامية النصر في المرحلة الاولى من صراعها، ولهذا فإن انتصارها كان يعدُّ معجزة أكثر منه تحولاً عادياً. وفيما عدا الإمام الخميني والجماهير المليونية التي آمنت

بوعوده بعيداً عن التحليلات العادية، فإن معظم المحللين السياسيين وجميع الذين كان لهم دور في الاحداث التي شهدتها إيران، كانوا يرون هذا الانتصار — حتى في أواخر ايام النظام البائد — امراً مستحيلاً.

لهذا ابتدأت مشاعر الخصومة والعداء للنظام الاسلامي الفتي بالظهور والانتشار منذ صباح الحادي عشر من شباط ١٩٧٩م. وقد قادت أميركا جبهة الاعداء، وكان لبريطانيا وبعض دول أوروبا وجميع الانظمة العملية للغرب المشاركة الفعالة في تلك المواجهة. كذلك فإن الاتحاد السوفيتي ومن يدور في فلكه ايضاً، وقفوا الى جنب الأميركيين في العديد من المواقف العدائية ودعموا موقفهم بسبب عدم ارتياحهم لما وقع في إيران وما نتج عنه من حاكمية الدين.



ومن النماذج البارزة لهذه التحالفات، ما حصل من تحالف اليسار واليمين ضد الثورة داخل البلاد، الأمر الذي اظهرت الوثائق — فيما بعد — ارتباطهم بكل من سفارة الاتحاد السوفيتي وأميركا^١. والابرز من هذا، تصافر جهود الشرق والغرب في تسليح صدام ودعمه في حربه المفروضة ضد الجمهورية الإسلامية.



غير أن الإمام الخميني مارس دوره القيادي بالمنطق نفسه الذي ابتدأ به قيادة النهضة وحيداً قبل سنوات، فقد قاد سفينة الثورة وهي تعيش في خضم الفتن والضغط الخارجية، رافعاً شعار «انتصار الدم على

السيف». وكان على اعتقاد راسخ بأن المجتمع الذي يؤمن بالشهادة كأعلى درجة من الكمال الروحي للانسان ويجاهد في سبيل الله، لابد وان ينتصر.

وكان الإمام الخميني بصدد تعبئة الشعب الايراني لبناء البلاد، وتجسيد نموذج المجتمع الديني السليم والمتطور امام العالم. وابتدأ جهاد الشعب تحت شعار (جهاد البناء)

١- انظر: كوزيتشكين، فلاديمير (ضابط سابق في الكاغ ب) الكاغ ب في ايران، ترجمة اسماعيل زند والدكتور ابوترايان.

وانطلق الآلاف من المتخصصين والمؤمنين بالثورة الى مختلف المناطق المحرومة والقرى المنتشرة على طول البلاد وعرضها، ليبدأوا حركة اعمار كبرى تشمل شق الطرق وبناء المراكز الصحية وايصال الماء والكهرباء الى مختلف مناطق البلاد. غير انه لم يمر وقت طويل حتى اخذت امواج الفتن والضغوط الخارجية تنهال على البلاد. فقد صممت أميركا على الاستفادة من طابورها الخامس في إيران لاشغال النظام الاسلامي بمشكلاتٍ داخلية وبث الفرقة والخلاف لايجاد الفرصة المناسبة لاسقاط النظام الفتي.



وقد عملت السفارة الأميركية بجد — عن طريق بعض عناصر الحكومة المؤقتة — لتمهيد الطريق لمشاريعها المستقبلية، وقد حققت بعض النجاح في ذلك ايضاً. فقد كانت حكومة السيد بازرگان

تتألف من افرادٍ اتسم اكثرهم بالتوجهات القومية المحافظة^١. ولم يكن بمقدور هؤلاء هضم الظروف والضرورات الثورية

١- كتاب الكوثر: مجموعة خطابات الإمام الخميني، ج٣، ص٣٥٩-٣٦٢.

ودرك الارشادات والافكار السامية للإمام الخميني. كذلك فان ضعف الحكومة المؤقتة وروح المماشاة التي كانت تتسم بها ساعد الفئات المعادية للثورة لاعادة، تنظيم صفوفها بسرعة فائقة مستفيدة من المعونات الخارجية التي كانت تتلقاها، ثم المبادرة الى خلق التشنجات في كبد وكردستان وسائر المناطق.

كذلك فإن النظام البعثي العراقي — الذي اصيب بالذعر اكثر من الانظمة العربية الاخرى من انتصار الصورة الإسلامية نتيجة خوفه من امكانية انتفاضة شعبه — بادر الى تسليح العناصر المعادية للثورة في جنوب البلاد وفي كردستان. كما كان



للسفارتين الأمريكية والسوفيتية نشاط فعال في لم شمل افراد السافاك وبعض عناصر النظام السابق وتحريك الفصائل الشيوعية ومجاهدي خلق (المنافقين) للقيام

باعمال مؤذية ضد الثورة. فقد قامت (منظمة الفرقان) باغتيال عضو مجلس الثورة العلامة الشيخ مرتضى المطهري في ٢/٥/١٩٧٩ وآية الله القاضي الطباطبائي في

١٩٧٩/١١/١، والدكتور المفتاح في ١٩٧٩/١٢/١٩،
واللواء القرني رئيس اركان الجيش في ١٩٧٩/٤/٢٣
وفشلت في اغتيال الشيخ الهاشمي الرفسنجاني والموسوي
الاردبيلي.

وكان الإمام الخميني يعتقد نظراً لمعرفته بالأيادي
الخفية — بضرورة القضاء، بسرعة وبجزم، على اعداء
الثورة، خصوصاً الاضطرابات التي وقعت في كردستان.
غير أن الحكومة المؤقتة ضيّعت الفرصة بانسغالها
بالمفاوضات العقيمة في كردستان وتعاملها بلين مع مشيري
الاضطرابات، وهيأت عملياً الارضية لتفاقم الاوضاع.



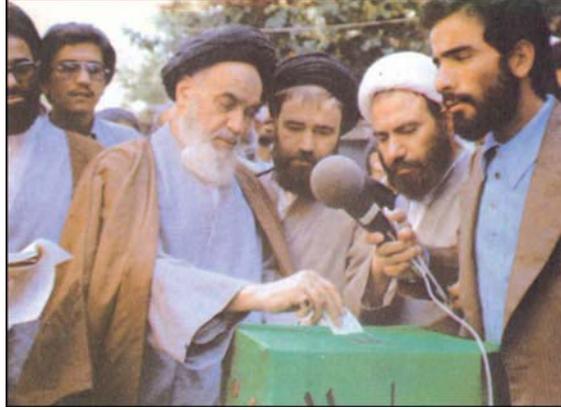
من جانب آخر فإن الاقتصاد الذي تركه النظام المباد
والمعتمد كلياً على واردات النفط، دفع أميركا واوروبا
— المطلعتين على هذه الحقيقة الى دعم موقف النظام

السعودي ومؤيديه في منظمة (أوبك) لتخفيض اسعار النفط الى ادنى مستوى لها مما الحق اضراراً بسوق النفط الايراني.



ومع وجود جميع هذه المشاكل لم يدعن الإمام الخميني ولم يرضح لقبول المصالحة ولم يتراجع عن مواقفه حتى خطوة واحدة. فبادر الى تشكيل المؤسسات الثورية لترميم ضعف الحكومة المؤقتة

ولضمان ديمومة الثورة. وقد وقفت الجماهير الايرانية بعزم واستعداد للتضحية دفاعاً عن الثورة، ولم يمض اكثر من



شهرين على انتصار الثورة حتى صوت ٢٠٩٨% من ابناء الشعب في الاستفتاء الشعبي الذي أُجري في الاول من نيسان ١٩٧٩م لصالح الجمهورية الإسلامية، في واحدة من أكثر الانتخابات حريةً في تاريخ إيران. وبعدها اجريت الانتخابات للمصادقة على الدستور، وانتخاب نواب مجلس الشورى الاسلامي.



وكان الإمام الخميني يتحدث الى محبيه الذين كانوا يزورونه يومياً في مقر اقامته بقم، وفي المدرسة الفيضية بما يدعم ويرسخ اركان النظام الاسلامي، ويبين الاهداف والاولويات في الحكومة

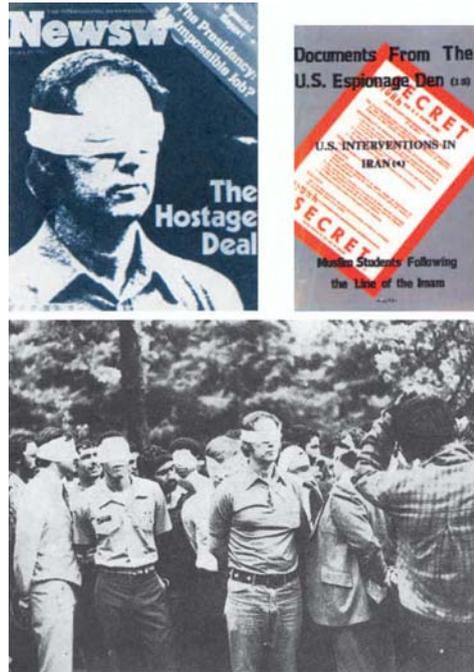


الإسلامية ويدفع الجماهير للحضور الدائم في ميادين الاحداث. فقد سافر سماحته من طهران الى قم في الاول من آذار ١٩٧٩ وبقي هناك حتى ألت به الازمه القلبية (٢٢ كانون الثاني ١٩٨٠). وبعد تسعة

وثلاثين يوماً من العلاج المتواصل في مستشفى القلب بطهران، اقام سماحته في منزل يقع بمنطقة (دربند) ثم نقل في ١٩٨٠/٥/٢٧ - ونزولاً عند رغبته - الى منزل بسيط يمتلكه احد علماء الدين (حجة الاسلام السيد مهدي امام جماراني) في منطقة جماران، وبقي هنالك حتى فارق الحياة.

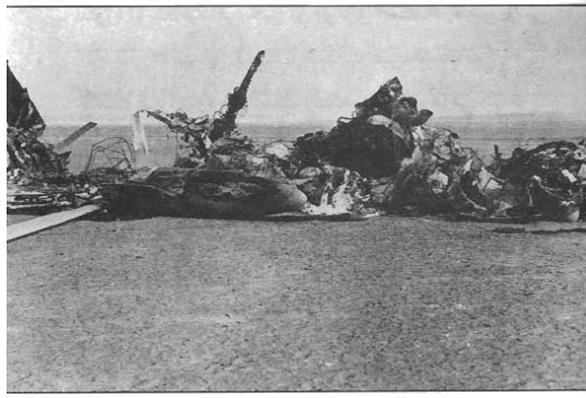
□ الثورة الثانية: احتلال وكر التجسس الأميركي في إيران

أدى نجاح الانتخابات ومشاركة الجماهير الواسعة فيها الى تبيد الآمال الأميركية الواهية في قرب سقوط النظام الاسلامي، الذي كانت وسائل الاعلام الغربية لا تكف عن ترديده، فضلاً عن البيانات التي كانت تصدرها التيارات المعادية للثورة في الداخل. ولم تمتنع أميركا واوروبا من التزول عند مطالب الشعب والحكومة الايرانية المشروعة باسترداد الاموال والارصدة الايرانية المحمدة التي تقدر باكثر من ٢٢ مليار دولار فحسب، بل وضعت امكانات واسعة تحت تصرف اقطاب النظام الملكي البائد اللاحقين اليها، لتوظيفها في مواجهة النظام الاسلامي الفتي. وقد اثارَت هذه النشاطات الأميركية والممارسات العدائية للبيت الابيض غضب الشعب.



ففي عام ١٩٧٩ وعلى اعتاب الذكرى السنوية لنفي الإمام الخميني الى تركيا (٤ تشرين الاول) شاع خبر اللقاء السري بين بازركان وبرينجسكي (مستشار الامن القومي الأميركي آنذاك) الذي جرى في الجزائر، مما دفع مجموعة من الجامعيين المسلمين الثوريين - الذين اطلقوا على انفسهم اسم (الطلبة الجامعيون السائرون على نهج الإمام الخميني) الى حتلال السفارة الأميركية بطهران. وبعد القضاء على مقاومة حرس السفارة، قاموا بالقاء القبض على الجواسيس الأميركيين. ثم عكفوا بعدها على نشر الوثائق التي عثروا عليها في السفارة الأميركية في خمسين كتاباً سميت «وثائق وكر التجسس الأميركي في ايران». وقد كشفت هذه الوثائق الدامغة النقاب عن اسرار الجاسوسية الأميركية والتدخلات التي قامت بها الادارة الأميركية في مختلف نقاط العالم، واعلنت اسماء العديد من الرابطين والجواسيس لأمركا ومختلف اساليب الجاسوسية والتحركات السياسية الاميركية في مناطق العالم المختلفة. مثل احتلال السفارة الأميركية، التي عرفت في ثقافة الثورة الاسلامية بـ «وكر التجسس»، فضيحة كبرى للحكومة الأميركية.

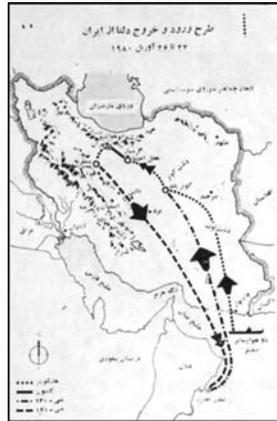
بعد يوم واحد من احتلال السفارة الأميركية سقطت حكومة السيد بازركان بعد قبول الإمام استقالته، في



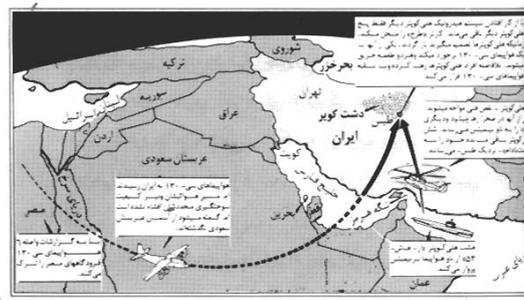
وقت كان بازركان يتوقع ردّ فعل آخر من الإمام يتمثل في ضغطه على الطلبة الجامعيين لاختلاء السفارة الأميركية، غير أن الإمام الخميني قبل استقالة الحكومة على الفور غير مفرطٍ بهذه الفرصة السانحة التي ستتيح له دفع الثوريين الى سدة السلطة وكف ايدي التيار المحافظ الذي عرض البلاد خلال فترة حكومته الوجيزة الى خطر اعداء الثورة بسبب مواقفه الضعيفة في التعامل مع الاحداث.

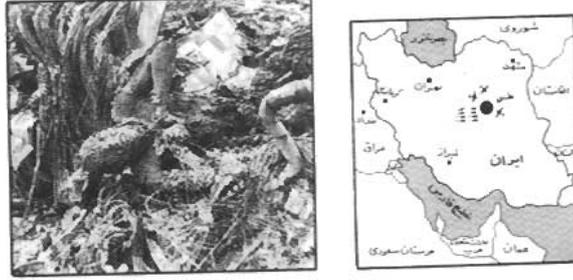
دافع الامام الخميني عن حركة الطلبة الجامعيين الثورية، وعدّ عملهم ثورة تفوق في اهميتها الثورة الاولى. والحق انها كذلك. فقد كانت أميركا تقف الى جانب النظام المقبور في الثورة الاولى وكانت تعلن رسمياً عن مواجهتها وعدائها للثورة الإسلامية، في حين أن الوثائق المصادرة من وكر التجسس الأميركي كشفت النقاب عن الدسائس التي حيكت ضد الثورة في الخفاء وفضحت عملاءها في

الداخل. بعد احتلال السفارة الأميركية حاولت أميركا بمختلف السبل دفع إيران للتراجع عن موقفها، فقامت، ومن يدور في فلکها، بفرض الحصار الاقتصادي والسياسي رسمياً على إيران، وابتدأت الجماهير مرحلة مواجهة الحصار الاقتصادي والسياسي مستلهمة بيانات وتوجيهات الإمام الخميني، دون ان تفكر في الاستسلام. وفشلت عملية اطلاق سراح الرهائن الأميركيين بعد تحطم الطائرات الأميركية في صحراء طبس، في حادثة اعجازية مذهشة.



في الرابع والعشرين من نيسان ١٩٨٠ م قامت ست طائرات سميتة من طراز C١٣٠ بالهبوط في احدى القواعد الأميركية السابقة في صحراء طيس شرقي إيران، وقد وقعت هذه الحادثة خلال رئاسة ابوالحسن بني صدر. وكان مقرراً ان تقوم الطائرات — بعد التزود والوقود والتحاق ثمانى سميتات ميدانية — بالتوجه الى طهران، لقصف منزل الإمام الخميني والمراكز الهامة الاخرى بالتعاون مع بعض العملاء، غير ان عاصفة طارئة هبت في الصحراء اجبرت بعض الطائرات على العودة الى حاملة الطائرات (نيميتس) واضطرت الباقيات الى الهبوط الاضطراري في الصحراء. ونتيجة لسوء الاحوال الجوية ارتطمت احداها باخرى فانفجرت كلتاهما، وقُتل على اثر ذلك ثمانية اشخاص من العسكريين الأميركيين كان الغزاة، واضطر جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الى الاعلان عن ايقاف العمليات الفاشلة.





وبوفاة الملك محمد رضا في مصر في ٢٧ تموز ١٩٨٠،
 انتفى بشكل عملي احد الشروط الايرانية المتمثلة في
 استرداد الملك باعتباره احد المجرمين الاصليين في المذابح
 الجماعية التي ارتكبت في إيران. واخيراً وبعد ٤٤٤ يوماً تمّ
 الافراج عن الجواسيس الأميركيين بوساطة جزائرية بعد
 اعلان اعضاء مجلس الشورى موافقتهم على اتفاقية الجزائر
 الموقعة بين إيران وأميركا، والتي تعهدت أميركا بموجبهما
 بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لايران، وإعادة الارصدة
 والاموال الايرانية المجمدة في مصارفها. إلا أنهم لم يلتزم
 بأيٍّ منها.

ان اهم ما حققته عملية احتلال وكر التجسس
 الأميركي تمثل في طعن الغرور الفرعوني الأميركي، وبعث
 الامل في نفوس شعوب العالم الثالث بامكانية الوقوف
 بوجه القوى العظمى، ناهيك عن ضمانة ديمومة الثورة
 الإسلامية في إيران.

بعد تلك الواقعة، امتازت الأبهة الأميركية والقدرة الوهمية — التي أنفق من اجل اظهارها المبالغ الطائلة والجهود الاعلامية المكثفة — وتعرضت أميركا الى صعوبات ومشاكل عديدة للسيطرة على العالم الثالث فيما بعد.



في أول انتخابات لرئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية _ ٢٥/١٠/١٩٨٠)، والتي جرت في وقت كان الإمام الخميني طريح فراش المرض في مستشفى القلب بطهران، فاز السيد ابوالحسن بني صدر على منافسيه. وكان ابوالحسن قد عاد الى إيران قبيل انتصار الثورة الإسلامية، وقدم نفسه من خلال خطاباته وكتبه على أنه شخص متدين وخبير اقتصادي لامع. وفي مراسم اداء اليمين الدستورية لتولي مهام عمله كرئيس للجمهورية قال الإمام: «اني أوصي السيد بني صدر بوصية واحدة، وهي موجهة للجميع ايضاً، اقول: حب الدنيا رأس كل

خطبة^١»^٢ غير ان غرور بني صدر ونزعته في التسلط حال دون التزامه بهذه النصيحة، لقد غرّته الآراء التي حصل عليها. ومنذ بداية حكومته اعتمد معارضة اتباع خط الإمام وعلماء الدين، وقد كان يعتقد — كما هو حال الحكومة المؤقتة — بضرورة مسايرة الدول الكبرى، واعتماد اسلوب المناورات السياسية معها. اما على الصعيد الداخلي فقد بادر على الفور الى عزل الطاقات الثورية واحلال العناصر المرتبطة بالفئات المعادية للثورة محلها.

وفي عهده احتل العراق مناطق شاسعة من الاراضي الايرانية، وعلى الاثر قامت العناصر المرتبطة برئيس الجمهورية التي كانت ترى وجودها مرتقناً بزيادة المشكلات وازياد جومن التوتر امام النظام الاسلامي — بالحلولة دون اداء المدافعين عن البلاد لدورهم بشكل مناسب، ومنع تسليح الجماهير واطاحة الفرصة للحرس الثوري باداء دوره الفاعل، مستفيدين في كل ذلك من منصب بني صدر الذي كان قائداً عاماً للقوات المسلحة. وبذلك تعرضت الوحدة الوطنية الى الخطر نتيجة الخلافات التي اثارها بني صدر. واخيراً اصدر الإمام الخميني قراره المقتضب في ١٠ حزيران ١٩٨١ م القاضي بعزل بني صدر عن منصب القائد العالم للقوات المسلحة، وتبعاً لذلك

١ الحديث ينسب الى الإمام الصادق عليه السلام.

٢- صحيفة الإمام الخميني، ج ١٢، ص ١٤١.

صادق مجلس الشورى الاسلامي على عدم كفاءة بني صدر كرئيس للجمهورية.

بسقوط بني صدر، بادر اعضاء ومؤيد ومنظمة مجاهدي خلق (المنافقين) - الذين استغلوا ضعف الحكومة المؤقتة وما وفره لهم بني صدر من الدعم والحماية لتقوية تشكيلاتهم وتوسيعها - لممارسة اضطرابات دموية. الا ان جماهير طهران تمكنوا من القضاء على مثيري الاضطرابات وتم اعتقال العديد منهم. ومنذ ذلك الوقت اقدم المنافقون رسمياً على القيام باعمال مسلحة واغتيالات، وفي الوقت



نفسه بادر قادة التنظيم للاحتفاء في أوكارهم، وقد تصدر حزب الجمهورية الإسلامية قائمة المستهدفين من قبل المنافقين.

تم تأسيس حزب الجمهورية الإسلامية بعهد انتصار

الثورة الإسلامية بمهمة المخلصين من ذوي السماحة آية الله الخامنئي والدكتور بهشتي، والدكتور باهنر، وهاشمي رفسنجاني، والموسوي الاردبيلي بهدف احتواء الطاقات المؤمنة بنهج الإمام الخميني، ومواجهة تحركات التيارات السياسية المعادية للثورة. وقد استطاع هذا الحزب الذي حظي بدعم الإمام المعنوي، ان يكسب اعداداً كبيرة من الاتباع والمؤيدين في مختلف انحاء البلاد وبسرعة كبيرة، ويمسي سداً امام تطلعات العناصر المعادية للثورة.

في السابع والعشرين من حزيران ١٩١٨، جرح آية الله الخامنئي اثر انفجار قنبلة زرعتها المنافقون بينما كان يخطب بالجماهير المحتشدة في مسجد أبي ذر بطهران. وفي اليوم التالي وقعت فاجعة رهيبه حيث هز انفجار قنبلة قوية زرعتها احد عملاء منظمة المنافقين، مقر حزب الجمهورية الإسلامية، وذلك خلال اجتماع اعضاء الحزب، مما ادى الى استشهاد اثنين وسبعين من خيرة الطاقات الثورية من عناصر النظام الاسلامي ومن انصار الإمام الخميني، كان بينهم رئيس مجلس القضاء الاعلى الدكتور بهشتي وعدد من الوزراء ونواب مجلس الشورى الاسلامي وجمع من مسؤولي السلطة القضائية وعدد آخر من المفكرين والكتاب والطاقات الثورية الاخرى.



بعد شهرين من هذه الفاجعة، وتحديدًا في الثلاثين من شهر آب ١٩٨١ استشهد السيد محمد علي رجائي —

الوجه الثوري المحبوب لدى الجماهير، والذي انتخب لرئاسة الجمهورية بعد عزل بني صدر — والدكتور محمد جواد باهنر (رئيس الوزراء) على أثر انفجار قبلة اخرى زرعت في المكان الذي كانا يجتمعان فيه.

ان قرار الإمام السريع والحازم بانتخاب وتنصيب المسؤولين لسد الفراغ الحاصل نتيجة سقوط هذا العدد من الشهداء، كان له بالغ الاثر في تهدئة الاوضاع وادخال اليأس في نفوس الاعداء، واصابة المحافظ الخيرية والسياسية العالمية بالحيرة والذهول.

لو لم يكن إيمان الإمام الخميني وصلابته المذهلة، ووعي الجماهير الايرانية المؤمنة، لتمكنت واحدة من هذه الاحداث من اسقاط النظام الاسلامي. غير أن بيانات الإمام الخميني وخطاباته كانت بعد كل حادث من هذه الحوادث تهدئ روع الجماهير وتسهل عليها تحمل المصائب وتزيد من تصميم الجماهير على مواصلة طريقها. فبعد استشهاد الدكتور بهشتي كانت الجماهير تهتف بشعار «ماذا تريد أميركا، ان إيران مليئة بامثال بهشتي»، والذي استلهمته من حديث الإمام الذي كشف من خلاله النقاب عن ان الايادي الخفية للعدو الاصيلي (أميركا) تكمن وراء هذه الاغتيالات. من جانب آخر، كان الإمام قد أكدّ مراراً ان الثورة الإسلامية لا تقوم على الافراد مهما كانت

مواقعهم واهميتهم، وان حافظ الثورة هو الله وايمان الجماهير المؤمنة.

ان احد ابرز نجاحات الامام الخميني تجسد في قدرته على تنمية الوعي العالم لدى الجماهير وايجاد الاحساس بالمسؤولية والقدرة على التحليل السياسي لدى ابناء الشعب ازاء الوقائع والاحداث المعاصرة.

لسنوات طوال كانت وسائل الاعلام الغربية تعد بجمجمة سقوط النظام الاسلامي بعد وفاة الإمام الخميني، وقد طُرح هذا الموضوع حتى في المؤتمرات التي عقدها المفكرون الغربيون لدراسة الثورة الإسلامية، والملتقيات السياسية والمفاوضات التي كان يجريها الساسة الغربيون وبشكل جدّي، واعتبر موضع قبول الجميع. وعلى هذا الاساس ايضاً قُبعت الفئات المعادية للثورة في الداخل في مكائنها بانتظار ذلك اليوم الموعود. غير ان الدنيا شهدت كيف ان النظام الاسلامي لم يتعرض لادنى ارباك بعد ارتحال سماحة الإمام الخميني، وبذا تبذرت احلامهم وامانيهم. والسبب في ذلك ما تقدم، إذ تمكن الإمام الخميني من اعادة تربية الجيل الخامل واللامبالي — الذي جُرَّ خلال الخمسين عاماً من حكم العائلة البهلوية الى التيه والضياع واليأس والقنوط — بنحو جعلته قادراً وفي زمن قياسي من نبذ عاداته وعلاقاته الاجتماعية السابقة والاعتقادات الخاطئة الراسخة، واستبدالها بالقيم والمثل السامية الجديدة في مختلف مناحي

الحياة. وما اندفاع الآلاف من الشباب الذين واجهوا العدو البعثي المعتمدي في جبهات القتال لمدة ثمانية اعوام متواصلة متحلين باعلى درجات المعنوية والوعي إلا دليل على هذا المعنى، وان النماذج الكثيرة على مستوى وعيهم وشعورهم ومستوى إيمانهم ومعنوياتهم تتضح في الوصايا المطبوعة للشهداء، فيما كان أكثرهم — الى ما قبل انتصار الثورة الإسلامية بقليل — تتهددهم انواع المفاسد، ويجرّكهم إعلام السوء وتتجاوزهم انواع القوى التخديرية.

ولعلّ البعض ممن يعاصر مجتمع عصر الإمام الخميني عن قرب، يعتبر هذا الحديث نوعاً من المبالغة في عرض الحقائق، ناشئ عن فرط المحبة للإمام وللثورة الإسلامية. لكنّ الأمر ليس كذلك، فكثير من الشواهد لازالت حيّة، والوثائق والمستندات الدامغة من الكثرة بحيث ان اثبات هذا الامر لن يحتاج الى طويل بحث او مناظرة.

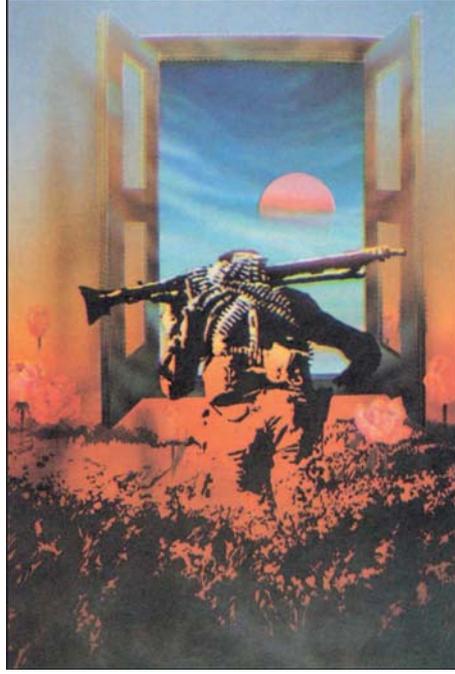
فالى الآن ما زالت الثقافة الاجتماعية الايرانية الجديدة تدفع الناس الى تهنئة من فقد ابناً على طريق تحقيق اهداف نهضة الإمام الخميني بدلاً من تعزيتة ومواساته. الى الان ما زال الكثير من الآباء والأمهات في إيران ممن فقدوا اعزّتهم في هذا الطريق يجيبونك حينما تسألهم عن شعورهم: بأن ذلك فخر للعائلة وانه نعمة من نعم الله.

ولعل من غير المعقول بالنسبة للغربيين ان يقوم بعض افراد العائلة بالابلاغ عن اماكن اختفاء العديد من العناصر

المضادة للثورة والارهابيين المنافقين من أبنائهم، ومساعدة الآباء والامهات قوى الا من القاء القبض على ابنائهم. وتتضح اهمية هذا الاحساس اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار شدة الترابط العاطفي في العائلة الايرانية والذي لا يمكن مقارنته — على اي مستوى — مع ما هو موجود من العلاقة الباردة الخالية، من الروح لدى العائلة الغربية مثلاً. فحتى الآن اذا سألت أياً من المقاتلين — الذين لا زالوا يتذكرون أيام الجبهة — عن اشدّ الأيام التي قضها في الجبهة قسوة؟ لأجابه انه يوم اعلان قبول قرار مجلس الامن والموافقة على وقف اطلاق النار. ان مشاعر الألم والحزن التي انتابت قوات التعبئة ذلك اليوم لا يمكن وصفها ولا يمكن تصورها؛ كل ذلك لاحساسهم بأن «باب جنة الشهداء» قد اغلق امامهم، وانهم فقدوا الأمل بالالتحاق بقافلة الشهداء.

ان ايجاد تحول روحي كهذا في مجتمع ما، وتحريك امواج الاندفاع نحو الاسلام في روح امة من الأمم، ليس بالعمل السهل واليسير.

ان لبنان وملحمة حزب الله، نموذج آخر على هذا التحول الذي ذكرناه. وخلافاً لما يدعيه الغرب عبر اعلامه، فإن تدخل إيران ودعمها لم يكن هو السبب في ايجاد هذا التحول، ذلك لأن لأمريكا وأوروبا والاتحاد السوفيتي (السابق) حضور عميق وواسع ومباشر في



لبنان بيد انه لم يؤد الى شيء. فالجامعة الأميركية في بيروت لها تاريخ طويل، كما ان أميركا واوروبا انزلت قواتها في لبنان اثناء الاحداث التي وقعت في لبنان. لقد كانت لبنان وحتى وقت قريب اكبر سوق للسياسات الغربية في الشرق الاوسط، فما الذي ادى الى ان يتمكن مجتمع صغير — قياساً الى اعدائه وفي بلد محاصر من جميع الجهات، وله حدود مشتركة مع اسرائيل، ورغم قلة امكاناته الدفاعية — من الوقوف بثبات وقوة بنحو يدفع القوات الغربية الى

الاعلان رسمياً عن فرارها من المنطقة، واضطرارها الى تركها. واليوم ايضاً ورغم كل الضغوط الاقتصادية القاسية والقصف والاعتداءات الاسرائيلية المتكررة، ترى حزب الله يثبت وجوده امام الغرب ويقاوم بشكل منقطع النظير. إنَّ السبب الحقيقي الذي يقف وراء ذلك كله هو ان مسلمي لبنان — وبناءً على علاقتهم الثقافية والعقائدية القديمة — استطاعوا التعرف على الإمام ودرك رسالته اسرع من سائر البلدان الإسلاميّة.

وبعد لبنان، شهدنا في فلسطين آثار هذا الفكر وهذه الرسالة، في انطلاقة (حركة حماس) والحركات الإسلاميّة في سائر بلدان المسلمين.. كل ذلك نتيجة التأثير المباشر أو غير المباشر لافكار الإمام الخميني ورسالته الجهادية. وان تحولاً كهذا لا ينحصر في الفكر السياسي للإمام الخميني ونوعية جهاده السياسي، فمدرسة الإمام الخميني التربوية وقدرته في معرفة الانسان وفي معرفة المجتمع هي التي ساهمت في ايجاد الارضية المناسبة لوقوع مثل هذه التحولات. وللاسف فإن ابعاد نظرات الإمام وآرائه حول الانسان والمجتمع والتاريخ والتربية لم تزل حتى الآن متناثرة غير مدوّنة وغير معروفة كما ينبغي، فمدرسة الإمام في التربية وعلم الاجتماع تختلف كثيراً عما يُدرس تحت هذه العناوين في جامعات دول العالم الثالث والبلدان الإسلاميّة.



إنّ الأساس الذي ابنتت عليه نهضة الإمام الخميني إنما يمتد الى منهج الانبياء، ذلك المنهج الذي استطاع ان يخلق من بعض العبيد المغمورين والمظلومين شخصيات من امثال ابي ذر الغفاري وسلمان المحمدي. وان يجعل من المجتمع الجاهلي قائداً للمدنية والحضارة الإسلامية. بيد ان هذا المنهج اصبح منسياً في عصرنا الحاضر، وما نعرفه اليوم تحت عنوان العلوم الانسانية المعاصرة إنما يهتم بتعريف الانسان والعلاقات الانسانية من وجهة نظر المدارس الوضعية الليبرالية و«الانسانية» الغربية، التي هي ايضاً وليدة عصر النهضة الصناعية وانعكاس للضياع وفقدان الهوية

الذاتية والاصالة والقبول باصالة المادة وحاكمية الآلة على الانسان.

اعود للحديث عن كيفية قيادة الثورة في السنوات المشحونة بالاضطراب التي تلت انتصار الثورة الإسلامية، فبعد فاجعة الثامن والعشرين من حزيران ١٩٨١م واستشهاد العشرات من انصار الإمام ومن مسؤولي الجمهورية الإسلامية، تمكن قادة منظمة المنافقين من الفرار من البلاد متوجهين الى باريس برفقة رئيس الجمهورية المعزول، وذلك بارتدائهم الملابس النسائية وبالتعاون والتنسيق مع بعض العملاء المندسين في مطار طهران. فالطيار الذي قاد الطائرة كان من الطيارين المعتمدين لدى الشاه المخلع، وهو نفسه الذي قاد طائرة الشاه حينما فرّ من البلاد قبل سنوات.

وخلافاً لادعاءاتها في احترام حقوق الإنسان ومواجهتها للارهاب، اعطت فرنسا حق اللجوء السياسي لاولئك الذين اعترفوا في بياناتهم التي اصدروها، بضلوعهم — بل بمسؤوليتهم — عن عمليات الاغتيال والتفجير في الاماكن العامة التي وقعت في إيران.

ومن يومها بات المنافقون الفارون الى مختلف الدول الاوروبية وأميركا، يتمتعون بدعم وحماية تلك الدول. وطوال فترة الحرب العراقية الايرانية، اتخذوا من العراق قاعدة اساسية لهم، بعد ان عقدوا صفقة مع صدام، وكانوا

بمارسون دورهم كجواسيس ومرترقة يضعون كل معلوماهم وامكاناتهم تحت اختيار الجيش البعثي. وقد تلخصت مهمتهم الاساسية في جمع المعلومات عن جبهات القتال الايرانية بواسطة عملائهم المبتوثين في السداخل، واعطاء المعلومات حول مواضع سقوط الصواريخ العراقية التي استهدفت المناطق السكنية في إيران، والتحقيق مع الاسرى الايرانيين، والمشاركة في العمليات العسكرية العراقية.



وفي عام ١٩٨٨ م وبعد اعلان نهاية الحرب العراقية الايرانية، قاد المنافقون هجومهم الذي استهدف الدخول الى عمق الاراضي الايرانية، الا انه تم سحقهم في عمليات «المرصاد»، مخلفين وراءهم اكثر من الف قتيل على ارض المواجهة، وان الضجة المفتعلة التي تشننها في العالم المنظمات المرتبطة باميركا ضد الجمهورية الاسلامية تحت

ذريعة انتهاك حقوق الانسان، غالباً ما تغذيها مزاعم هذه المنظمة للحصول على دعم وتأيد الدول الغربية.

ان المنافقين (مجاهدي خلق) في نظر الشعب الايراني هم من اكثر الجناة اجراماً وانحطاطاً، وان جرائم اشهر مجرمي التاريخ الايراني المعاصر لم تصل الى فظاعة جرائمهم. فضلاً عن استشهاد ٧٢ شخصاً من اكثر شخصيات النظام محبوبة لدى الناس في انفجار مقر حزب الجمهورية الإسلامية، واستشهاد رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، اقدم المنافقون على اغتيال العديد من الشخصيات، كآية الله الصدوقي امام جمعة يزد بتاريخ ١٩٨٢/٧/٢، وآية الله اشرفي الاصفهاني امام جمعة كرمانشاه بتاريخ ١٩٨٢/١٠/١٥، وآية الله دستغيب امام جمعة شيراز بتاريخ ١٩٨١/١٢/١١، وآية الله المدني امام جمعة تبريز بتاريخ ١٩٨١/٩/١١، وآية الله القدوسي واللواء الدستجدي بتاريخ ١٩٨١/٩/٥ وحجة الاسلام هاشمي نجاد بتاريخ ١٩٨١/٩/٢٩٤، وعشرات الشخصيات العلمائية ممن كانت تستحوذ على قلوب الناس في كل منطقة من المناطق التي كانت تمارس نشاطها فيها وممن كان لها الحظ الوافر في نهضة الإمام الخميني.



واضافة الى الوجوه السياسية والدينية البارزة ومسؤولي النظام الاسلامي، فإن اعداداً كبيرة من الناس الابرياء

سقطوا مخضبين



بدمائهم بجرم

الدفاع عن

ثورتهم

وحمايتهم،

نتيجة لعمليات



ارهابية

وتفجيرات قام

بها المنافقون في

الاماكن العامة

(وكان آخرها

القتل المفجع

الذي مارسه المنافقون بحق اثنين من القساوسة المسيحيين،

وتفجير قنبلة في يوم العاشر من محرم الحرام جوار مرقد الإمام الرضا عليه السلام في مشهد عام ١٩٩٤).

ومما يجدر ذكره ان أميركا واوروبا والمنظمات الدولية لم تختبر السكوت امام كل تلك الجرائم فحسب، وانما كانت تقدم للارهابيين الملجأ والامكانات لمواصلة نشاطهم الارهابية. وقد سبق لهم أن اتخذوا موقفاً مشابهاً من جرائم الشاه بما يخالف ادعاءاتهم. ولهذا السبب بالذات لم يكن الإمام الخميني يعتمد آراء ومواقف الدول الاجنبية والمنظمات الدولية اساساً للتقييم أو انطلاقه للمواقف التي يتخذها سواء قبل انتصار الثورة أو بعدها. إذ كان سماعته يعتقد - وقد صرح بذلك مراراً عبر خطاباته - بأن هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن، ومنظمة الدفاع عن حقوق الانسان ليست سوى ادوات بايدي المتسلطين الدوليين، تماماً كادعاء الشيوعيين والاتحاد السوفيتي بحرية الشعوب ومناهضة الامبريالية، الذي لا يتطلعون من ورائه سوى تحقيق اهدافهم. بل واكثر من ذلك لفت الإمام الخميني - وبناءً على هذه الحقائق - نظر مسؤولي النظام الاسلامي الى عيار جديد لتقييم مستوى ادائهم بقوله: «في اليوم الذي تبادر فيه المؤسسات الدولية وأميركا والغرب الى

مدحكـم والاعتراف طواعية بشرعيتكم، وبشورتكم، عليكم ان تشكروا في سلامة مسيرتكم وحقانيتكم»^١.



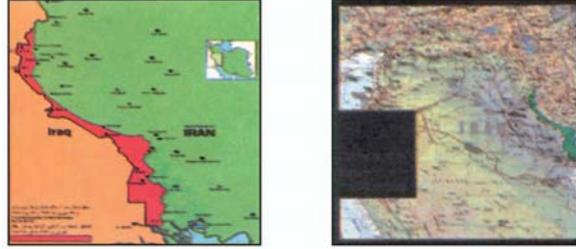
□ الحرب المفروضة: ثماني سنوات من الدفاع المقدس

ان الفشل الذريع الذي مني به المشروع الاميركي الذي استهدف النظام الجمهوري الاسلامي من خلال الحصار الاقتصادي والسياسي، وكذلك فشلها في عملياتها العسكرية لاطلاق سراح الجواسيس الاميركان — بالهبوط في صحراء طيس بعد احتلال وكر التجسس الاميركي —

١- صحيفة الإمام، ج٩، ص٥٢٧.



واحباط مساعيها في فصل كردستان عن الوطن الام، كل ذلك دفع الحكومة الأميركية عام ١٩٨٠ الى تجربة الهجوم العسكري المباشر. بيد أن الموازنات الدولية بين الشرق والغرب الحاكمة آنذاك حالت دون قيام أميركا بالمهجوم المباشر بقواتها. فالرأي العام العالمي قد تأثر نسبياً بأفكار الإمام الخميني ونشاطاته السياسية التي اطلع على جزء منها في فرنسا وعبر الحوادث التي تلت انتصار الثورة الإسلامية، مما ساهم في كشف النقاب عن مظلومية إيران وحقانية مطالب الشعب الايراني، ثم دفع الرأي العام العالمي للتعاطف معه. كذلك لم تكن ظروف الانظمة المترزلة في الخليج الفارسي تسمح باستيعاب ردود الفعل الناجمة عن الهجوم الأميركي المباشر.



لكل ذلك تمَّ اختيار العراق للقيام بدور اشعال هذه الحرب، وهو اختيار محسوب من كافة النواحي. فالعراق بلد يسير في ركاب الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية. ودخوله في حرب مع إيران سيؤدي الى وقوف الاتحاد السوفيتي والشيوعيين الى جانب صدام، وبالنتيجة الى جانب أميركا وأوروبا مما سيمنع ظهور أية ردود فعل سلبية. كذلك فإن العراق يعدُّ ثاني بلد في المنطقة من حيث الامكانات التسليحية، وهو بلد نفطي يمكنه الصمود في حربٍ طويلة الأمد اعتماداً على ثرواته وعلى مساعدات دول الرجعية العربية في المنطقة دون الاحتياج الى دعم أميركا أو أوروبا مالياً أو عسكرياً، رغم ان التوقعات الاولية لكل من أميركا وصدام كانت تأمل بحرب قصيرة الامد، تقود الى القضاء على الثورة الإسلامية الايرانية بسرعة خاطفة.

من جانب آخر، ساعدت النزعة التسلطية لصدام والتراعات الحدودية السابقة بين العراق وإيران، الى حد

كبير في دفع صدام الى الاعتداء واحتلال قسم من الاراضي الايرانية.

ومع ان العالم امتنع عن قبول الادلة والوثائق التي قدمتها إيران خلال الحرب لاثبات مدعاها في ضلوع أميركا واوربا والاتحاد السوفيتي في اشعال شرارة الحرب، فإن الاسرار التي انكشفت بعد حرب النفط بين أميركا و صدام (حرب احتلال الكويت) والوثائق التي نشرت فيما بعد، أكدت هذه الحقيقة بما لا يدع مجالاً للشك.

على آية حال، بدأ الهجوم العسكري العراقي (في ٢٢ أيلول ١٩٨٠م) على طول الحدود المشتركة البالغة ١٢٨٠ كم، ومن اقصى نقطة في الشمال الايراني الى ادنى نقطة — ميناء حرمشهر — في جنوبها. وتزامن الهجوم البري مع هجوم جوي طال مطار طهران — الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم — ومطارات المدن الايرانية المهمة الاخرى.

وتمكنت الماكينة العسكرية الصدامية — التي تمّ اعداها بمساعدة فرنسا وشركات الاسلحة الأميركية والانجليزية والمعدات العسكرية الروسية للقيام بهذا الهجوم — من النفوذ بسرعة لعدة كيلومترات داخل المحافظات الحدودية الخمس. وتعرضت المقاومة الشعبية المحدودة الى ضربة قوية من قبل الجيش العراقي نتيجة عنصر المباغتة الذي كان لصالح القوات الغازية، ونظراً لغياب التسليح والخبرة الكافيتين. وبسرعة مدهشة تم تخريب المدن والقرى



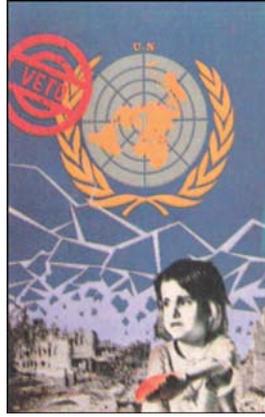
المحتلة، وتحولت الى انقاض، وشرد مئات الآلاف من بيوتهم وقراهم ومدنهم.

اما الجيش الايراني، ونتيجة لحوادث الثورة فقد كان مصاباً بالارباك والتفكك، وكان يمضي مراحلہ الاولى في اعادة البناء والتنظيم. فقد غادر الآلاف من الخبراء العسكريين الاجانب — والأميركان بالتحديد — إيران بعد انتصار الثورة، كما ان العديد من التجهيزات العسكرية المتطورة والطائرات الحديثة والصواريخ — التي كان الشعب الايراني قد دفع اثمانها من كده — تم نقلها في الايام

الاحيرة من حكومة النظام الملكي البائد. بمساعي الجنرال هايزر التي استمرت على مدى شهرين الى أميركا. كذلك فإن الحرس الثوري الحديث العهد والذي تمّ تشكيله بناءً على بيانٍ اصدده سماحة الإمام — لم يكن يمتلك التجهيزات والخبرة الكافية في الايام الاولى من الحرب، مضافاً الى أنّ صدام حسين كان يعلم بكل هذه التفاصيل بناءً على المعلومات التي زودته بها أميركا وفرنسا وعملاء الطابور الخامس، لذا كان قد اعدّ حتى خرائط «العراق الكبير» مضيفاً فيها الى اراضي العراق الحالية مناطق شاسعة من محافظة خوزستان ومن المحافظات الغربية الايرانية. لقد كان واثقاً ان النظام الاسلامي عاجز عن مواجهة هذا الجيش الجرار وسيهزم سريعاً، كما ان الاستكبار العالمي كان يدعمه ويقف وراءه.

لقد قوبل خبر اندلاع

الحرب العراقية الايرانية — رغم اهميته — بالصمت المطبق من قبل كافة المنظمات الدولية والقوى الكبرى. ان هذا السكوت المغرض والعداء المتأصل في نفوس الدول الكبرى للجمهورية الإسلامية



الايرانية، والظروف التي كانت تمر بها البلاد، والقدرة العسكرية البعثية؛ كانت كلها عوامل عقدت عملية اتخاذ القرار. ووقفت إيران أمام مفترق طريقين، اما الاصرار على المقاومة في حرب غير متكافئة يلفها — حسب الظاهر — الغموض والابهام، او القبول بشروط أميركا واللجوء اليها للضغط على صدام واجباره على الانسحاب، وكان الخيار الثاني يعني التحلي عن الثورة وعن الاسلام.

غير ان هذه الظروف رغم كل تعقيدها، لم تستطع أن تترك تأثيرها على الإمام الخميني في تشخيص مسؤوليته واتخاذ قراراته المصيرته. لقد كان الإمام يؤمن بقوله تعالى: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ فَنَاءَتْ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ»^١ إيماناً شهودياً، كما أنه كان قد طوى — وقبل ان يتسنم مقام قيادة الامة بسنوات — مراتب «الفناء في الله»^٢، ودرّس «الاسفار الاربعة»^٣ — التي تمثل هجرة

١- سورة البقرة/ ٢٤٩.

٢- «الفناء» مصطلح عرفاني يراد به التعبير عن حالة فناء العبد في الحق «الله». بمعنى فناء الجنبنة البشرية في الجنبنة الربوبية، وهو نهاية سير العبد نحو الله. وبعد الربوبية يأتي دور العبودية الذي تقر فيه ذات العبد وتعترف. إذ إن سلوك العبد من مقام الذات نحو الكمالات يبدأ بالصعود حتى يصل الى مقام العلم بجميع الاسماء عدا تلك التي خصّ البارئ تبارك وتعالى بها ذاته. وما ان يصل العبد الى هذا المقام حتى تكون صفاته وافعاله فانية في صفات الحق وافعاله. وفي هذا المقام يحصل له مقام «الفناء في الفناء»، الذي يمثل مقام اخفاء الفناء.

الانسان الكامل — لعدة سنوات، ناهيك عن انه قد طوى تلك الاسفار بمنتهى الكمال عملياً. هذا فضلاً عن ان سماحته قد ضمن رسائله العملية احكام الجهاد والدفاع كونها احكام الهية لا يمكن تخطيها. وان بمقدور اي شخص لو كان محيطاً بابعاد شخصية الإمام الخميني وسيره التكاملية، ان يحدد نوع المسار الذي اتخذته الإمام عند المفترق الذي ذكرناه.

ان أول رد فعل صدر عن الإمام، واول بيان اصدره واول حديث ألقاه بعد الحرب واعتداء الجيش العراقي، يثير الدهشة ويستحق التأمل من حيث التعرف على شخصية الإمام ومنهجه في القيادة؛ وهو امر لا يتسع المجال هنا للخوض في تفاصيله. لقد اصدر الإمام امره على الفور بالمقاومة، واثار في أول تحليل له عن الهجوم الى تحميل أميركا المسؤولية الكاملة عن اشعال شرارة هذه الحرب،

١- كتاب «الاسفار الاربعة» هو احد كتب الفيلسوف الاسلامي الكبير صدر المتألهين. يقسم صدر المتألهين المسائل الفلسفية — بوصفها نوعاً من السلوك المختص بالذهن — الى اربعة اقسام هي: ١- السفر من الخلق الى الحق: ويشمل الامور التي تعدّ اساساً ومقدمة لبحث التوحيد، وفي الحقيقة سير الفكر البشري. ٢- السير بالحق في الحق: ويشمل مباحث التوحيد ومعرفة الله وصفاته. ٣- السير من الحق الى الخلق بالحق: ويشمل مباحث الافعال الالهية. ٤- السير في الخلق بالحق: ويشمل مباحث النفس والمعاد. ويعد الكتاب من اشهر كتب صدر المتألهين واكثرها تداولاً في الحوزات العلمية.

وطمأن الجماهير بصراحة الى انهم منتصرون لا محالة، وان العدو مهزوم قطعاً اذا كان هوضهم لرد العدوان من اجل الله وعده تكليفاً شرعياً، رغم ان كل الظروف كانت تبدو بخلاف ذلك^١.

وفي اليوم التالي من عدوان النظام العراقي على الاراضي الايرانية، وجه الإمام الخميني بياناً الى الشعب الايراني المسلم اوضح فيه الخطوط العامة لكيفية ادارة الحرب وشؤون البلاد، ولخص ذلك في سبعة بنود قصيره غاية في الابعاز والدقة. ثم اصدر بعد ذلك عدّة بيانات^٢ وجهها الى الجيش البعثي والشعب العراقي لاتمام الحجة عليهما^٣. ثم شرع بادارة وتوجيه الحرب لمدة ثمانية اعوام باسلوب قل نظيره.

في الايام الاولي^١ من الحرب، توجه عشرات الآلاف من ابناء الشعب الى جبهات الحرب متطوعين — استجابة لبيان الإمام — لمساعدة القوات المسلحة. وتمّ في المرحلة الاولى ايقاف تقدم العدو بفضل مقاومة المقاتلين المسلمين وتضحياتهم. كان القتال غير متكافئ الى حد كبير. بيد ان الإمام الخميني اتكل كعادته على الله والمؤمنين به، فراح — وعبر البيانات والخطابات المتوالية — يهيئ الامة لحرب

١- صحيفة الإمام، ج١٣، ص٢٢١-٢٢٦.

٢- نفس المصدر، ص ٢٢٨-٢٢٩.

٣- نفس المصدر، ص ٢٣٠-٢٣١، ٢٣٣-٢٤٠.

طويلة وعصيبة، إذ ان سماحته كان يعتقد — مستنداً في ذلك الى الآيات القرآنية الواضحة — بوجوب الدفاع حتى ازالة العدوان ومعاقبة المعتدي.

بعد عدّة ايام من بداية الحرب خاطب الإمام الخميني سفراء الدول الإسلاميّة المقيمين في طهران بالقول: «إننا ندافع عن الاسلام، والمدافعون عن الاسلام يضحون بارواحهم واموالهم واعزازهم من اجله ولن يتراجعوا عن ذلك أبداً»^١.

في هذا اللقاء — وفي مناسبات اخرى ومن خلال رسائل خطية وبيانات رسمية — طالب الإمام الخميني قادة الدول الإسلاميّة ان يعملوا — ان كانوا يرون في صدام الملحد رجلاً مسلماً بحكم الآية القرآنية التي تنص: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله»^٢.

١- نفس المصدر، ص ٢٨٠-٢٨١.

٢- سورة الحجرات/ ٩.

□ لماذا استمرت الحرب؟

كان صدام قد وعد قواته بانتصار خاطف لا يستغرق سوى ثلاثة ايام. لذا لم ير الجيش العراقي ضرورة للاستعداد لحرب طويلة مدمرة. لكنّ القوات العراقية فوجئت — وقبل ان تتمكن من تحقيق اهدافها المرسومة — بصلاية مقاومة الشعب الايراني وقوة صموده. وانتهت مساعي القوات العراقية لاختراق الخطوط الدفاعية بالفشل في كل مرة بعد تحملها لخسائر فادحة. ورويداً ورويداً اتضح لامريكا خطأ حساباتها ومرارة هزيمتها. فبدأت مرحلة جديدة من الضغط السياسي ضد إيران عن طريق المنظمات الدولية والبلدان العربية. فهؤلاء وبدلاً من إدانة المعتدي، بادروا الى الضغط على إيران الإسلامية لقبول وقف اطلاق النار. والحال ان القبول بوقف اطلاق النار في تلك الظروف كان يعني مكافأة صدام المعتدي على عدوانه وتحقيق هدفه وهدف اعداء الثورة الذي عجزوا عن تحقيقه خلال جبهات الحرب.

إن إيران لم تشن الحرب لكي تبادر الى ايقافها، وقد وقفت بوجه المعتدي في احلك الظروف لمنع المزيد من تقدمه. كما ان العدو احتل عشرات المدن ومئات القرى ومساحات شاسعة من المناطق النفطية في غرب البلاد وجنوبها، كما ان الحرب ليست دائرة على طرفي الحدود

بين البلدين حتى يصار الى مطالبة من وقع عليه الهجوم بالقبول بوقف اطلاق النار. وعلى فرض ان صدام لا يريد من وقف اطلاق النار التقاط انفاسه واستعادة قواه لمعاودة المحاولة لتحقيق اهدافه، فإن قبول وقف اطلاق النار من قبل إيران كان يعني ان القوات العراقية المعتدية، ستبقى في عمق الاراضي الايرانية، مما ستضطر الجمهورية الإسلامية الى تقديم تنازلات كبيرة ولسنوات عديدة حتى تتمكن من استرداد كل متر مربع من اراضيها المحتلة، وستجبر على استجداء المنظمات الدولية والسماسة السياسيين واخيراً العامل الاصلي لاشعال الحرب (أميركا) لمساعدتها في استرداد اراضيها.

وهذا منطوق لا يرضاه أيُّ حرٍّ غيور، ناهيك عن الإمام وجهاهيره الذين خرجوا منتصرين للتومن معركة الثورة ضد اشدَّ الملوك استبداداً في المنطقة.

هذا فضلاً عن ان صدام لم يقدم آية ضمانات في كل تلك المقترحات المطروحة بشأن سرعة انسحابه من الاراضي الايرانية، بل انه ادعى رسمياً بأن المناطق المحتلة — وحتى التي لم تقع تحت الاحتلال بعد — يجب ان تلحق بالاراضي العراقية! وهذا الادعاء مشابه لما ادعاه عند احتلاله الكويت حينما اطلق عليها اسم المحافظة العراقية التاسعة عشرة!!

والحقيقة ان أياً من الدول التي بادرت — بعد اتضاح حقيقة عجز صدام عن اسقاط نظام الجمهورية الإسلامية — الى الحديث عن وقف اطلاق النار والضغط على إيران لقبول الصلح، لم يكونوا يرغبون في السلام حقيقة، وهم يعلمون مسبقاً بأن أيّ شعب واي بلد لا يمكنه في ظروف كهذه، القبول بالاستسلام. والسلام كان بالنسبة لهم عصا يسلمونها على إيران لعزلها وإزوائها. والاهم من كل ذلك أن الدول الرجعية العربية كانت تهدف من ادعاء السعي للسلام وايقاف اطلاق النار، التخفيف من حدّة الضغط الذي كانت تتعرض له من شعوبها الإسلامية لممارستها الدعم والدفاع بكل امكاناتها عن معتدٍ معروف كصدام، والوقوف بوجه بلدٍ سخر كل وجوده وامكاناته للدفاع عن الاسلام.

إن أميركا، والدول الاوروبية والعربية لم تكن صادقة في دعوتها للسلام. وان اسطع دليل على ذلك الذي يغنينا عن عرض اية وثيقة او مستند، هو ان صدام وبعد أول سلسلة من العمليات العسكرية الناجحة التي قامت بها إيران في العام الثاني من الحرب، لم يتمكن من الصمود حتى لفترة شهر واحد دون الاعتماد على المساعدات المالية الهائلة التي قدمها له الشيوخ العرب، ودون الاستفادة من التجهيزات العسكرية المتطورة التي قدمتها له الدول الغربية. فلو كانوا صادقين في ادعائهم لكفاهم قطع الامدادات عن صدام

بدلاً عن المشاركة في المقاطعة التسليحية والاقتصادية
والنفطية ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية.



ان حرم إيران انها قاومت العدو الذي غزا ارضها
وعرض آلاف الابرياء للمذابح البشعة خلال الايام الاولى
من عدوانه، وشرد مئات الآلاف عن ديارهم. ورغم أن
الدول العربية التي وقفت مع صدام، قدمت اعتذاراتها
الرسمية الى إيران — بعد احتلال صدام للكويت — واقرت
باخطائها، الا ان ذلك لا يقلل من جسامه مسؤوليتها
وجريمتها مع الدول الغربية وصدام في استمرار الحرب
وإطالة أمدها.

وفي ضوء الاستدلالات التي تقدمت، كان الإمام
الخميني يواجه الهيئات والوفود التي كانت تفد الى إيران
للتوسط من اجل وقف اطلاق النار، ويعلن صراحة بأنه



وشعبه سيواصلان الدفاع حتى اخراج المعتدي واجباره على دفع خسائر هذه الحرب. غير ان الصخب الاعلامي الغربي كان شديداً بدرجةٍ حالت دون وصول صوت مظلومية الشعب الايراني الى اسماع العالم. لقد قلبت الحقائق شيئاً فشيئاً، وأظهرت إيران على انها عدوانية الطبع، وان صدام راغب في السلام. بيد أن هذه الضغوط وهذا التزوير عجز عن التأثير في موقف الإمام والشعب الايراني الصلب والثابت. وبعد عزل بني صدر ورسوخ نهج الإمام في اركان الجهاز التنفيذي، اخذت سلسلة عملية تحرير الاراضي المحتلة وتيرة اسرع بجهود الحرس الثوري.

قبل ذلك كان أمر الإمام الخميني، باعلان التعبئة العامة وتشكيل جيش العشرين مليون قد لقي ترحيباً من الشبان

الثوريين، وعمت انحاء ايران حركة دؤوبة تميزت باقامة الدورات التدريبية وإيفاد الافراد الى جبهات القتال، وقادت الانتصارات المتوالية لمقاتلي الحرس الثوري التي ظهور آثار الاندحار والهزيمة في صفوف

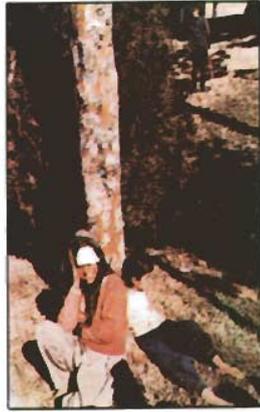


العدو البعثي بشكل جلي. وبالتدريج اخذ يظهر الوجهه

الحقيقي لأمريكا وحلفائها، فأنهالت الاسلحة المتطورة — التي كان يتم بيعها ضمن شروط صعبة ومفاوضات قد تستغرق عدة سنوات حتى في حالات السلم ويمثل تزويد البلدان بما نوعاً من الامتياز — بسرعة على صدام، بما في ذلك صواريخ (كروز) وطائرات (السوبر اتنار) الفرنسية. كذلك توافدت شحنات صواريخ (سكود) المتوسطة المدى وطائرات (الميج ٢٩) وسائر التجهيزات العسكرية الروسية على صدام بلا انقطاع لتقوية ما كتته العسكرية الحربية. حتى ان تقنية زيادة مدى الصواريخ وموادها الاولية، وتقنية صناعة المواد الكيميائية اهديت هي الاخرى من قبل الشركات الأميركية والاوروبية الى صدام لكي يتمكن من التفوق على الجمهورية الإسلامية.

وفي هذه الأثناء اجبرت اميركا العربية السعودية والكويت والامارات العربية المتحدة ودول الخليج الفارسي الاخرى على تأمين ميزانية الحرب الصدامية، وقد اعترفت هذه البلدان بذلك صراحة اثناء الغزو العراقي للكويت. والعراق اليوم مدين باكثر من ٨٠ مليار دولار لتلك الدول عن المساعدات التي قدمتها له طوال سنوات الحرب الثماني. اما مصر ففضلاً عن تقديمها الطيارين والطائرات، فقد ارسلت عدة آلاف من الجنود المصريين للمشاركة في الحرب، وكان للاردن دور داعم مشابه.

القصف المكثف للمدن والقرى والمراكز الاقتصادية، واطلاق الصواريخ المخربة على الاحياء السكنية، كانت حلقة اخرى في سلسلة جرائم صدام التي اغمض المجتمع الدولي والدول المتشدقة بالدفاع عن حقوق الانسان عيونها عنها، وهيآت بدلاً من الشجب والاستنكار، وسائل تنفيذ تلك الجرائم لصدام. وكان ضحية تلك الاعتداءات مئات القتلى من الاطفال والنساء العزل.



وقد قاد الإمام الخميني الدفاع المقدس للشعب الايراني في ظروف كانت إيران تعاني رسمياً من الحصار التسليحي الذي فرضته أميركا واوروبا، وكانت مضطرة أحياناً للعمل لعدة اشهر من اجل الحصول على قطعة غيار واحدة لاحدى طائرتهما. ان الكثير من دول العالم اما انها اختارت السكوت في مقابل تلك الاعتداءات ومارست الضغط ضد

إيران، أو أنّها وقفت رسمياً الى جانب صدام ودافعت عنه. كما ان اكثر الدول المصنّعة للسلاح في العالم — سواء الشرقية والغربية — دعمت صدام ووقفت الى جانبه. وقفت إيران وحيدة فريدة تدافع عن نفسها، ولم يكن للشعب من دعامة يستند اليها غير الإيمان بالله والامدادات الغيبية وتوجيهات هذا العالم الرباني. والمدهش ان هذه الجبهة المظلومة الوحيدة تمكنت في النهاية من تحقيق النصر وملاحقة العدو خطوة بخطوة حتى عقر داره. ثماني سنوات من حياة الإمام الخميني مضت في قيادة هذا الدفاع المقدس، ومما يذكر أنه في العام الثالث للحرب، وبعد نجاح عمليات بيت المقدس الكبرى — حزيران عام ١٩٨٢ — التي انتهت بتحرير ميناء خرمشهر الاستراتيجي من ايدي القوات العراقية، ابدى الإمام رغبته في ضرورة اهاء الحرب وحصر نشاط القوات الايرانية في الدفاع، الا ان مسؤولي النظام الاسلامي الملتزمين، بما في ذلك القادة العسكريون والمسؤولون السياسيون في البلاد، اعربوا للإمام — بعد دراسة الظروف السياسية والعسكرية التي تمر بها البلاد واوضاع الجبهات — عن اعتقادهم بضرورة مواصلة القتال حتى تحقيق الظروف المناسبة لاقامة سلام دائم. وقد دافعوا عن رأيهم هذا بان قسماً من الاراضي الايرانية ما زال تحت سيطرة القوات العراقية المعتدية، كذلك فإن صدام ورغم الهزيمة الساحقة التي مني بها بعد تحرير

خرمشهر، لم يكن مستعداً بعد لقبول الامر الواقع والتراجع عن اهدافه التوسعية، فهو لم يكن يفكر بالسلام وانما كان يفكر — نتيجةً لاعتماده على الدعم اللامتناهي الذي وفرته له الدول الكبرى— بجزر هزيمته، وذلك عبر إعادة تسليح قواته ومعاودة الهجوم العسكري على ايران. لذا فإن السلام في ظروف كهذه لا يمكن الاطمئنان اليه، وان صدام لا يزال مصراً على ادعاءاته السابقة. ومن هنا فإن ايقاف الحرب من جانب ايران، سيجعل المدن المحررة والمناطق الحدودية، عرضة للهجمات العراقية المحتملة في المستقبل فتكون غير قادرة على الدفاع عن نفسها.

استناداً الى الادلة المتقدمة، ونظراً لما كانت تمارسه المنظمات الدولية من الكيل بمكيالين، وعدم قبولها بالشروط الايرانية المنصفة لانهاء الحرب، ومواصلة القوى الكبرى دعم الماكنة العسكرية العراقية وتقويتها؛ كل ذلك كان سبباً في دفع القائد والشعب الايراني الى القبول بمواصلة الدفاع المقدس.

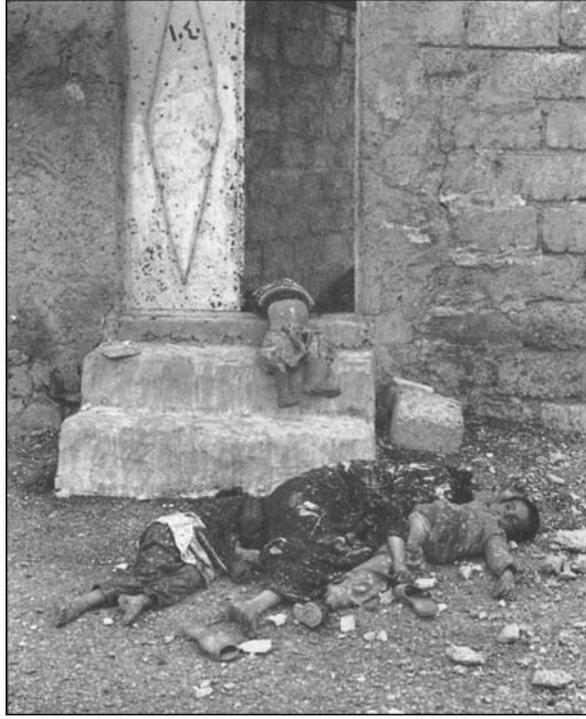
لم تؤد المساعدات المختلفة التي كانت تقدم لصدام من تغيير ظروف الحرب التي كانت تتبدل بسرعة لصالح جيش الاسلام. وتزامناً مع تصعيد القصف الصاروخي للمناطق السكنية، اضطرت اميركا للتدخل في الحرب بصورة مباشرة، فتوجهت حاملات الطائرات والسفن الحربية الفرنسية والبريطانية والأميركية والروسية صوب مياه الخليج

الفارسي. ولم يبق امام أميركا من خيار سوى تدويل الحرب وتوريط دول اخرى فيها، فبدأت حرب ناقلات النفط. وقد تركزت مهمة القوات الموافدة الى المنطقه على منع تصدير النفط الايراني وايقاف وتفتيش السفن التجارية للحيلولة دون وصول المواد الاولية والبضائع الاساسية الى الجمهورية الاسلامية. وفي هذا الاطار تعرضت العديد من السفن النفطية الايرانية الى هجمات صاروخية وجوية، كما اضرت النار في الآبار النفطية الايرانية في مياه الخليج الفارسي، وبلغ الأمر بأميركا ان اقدمت على ارتكاب جريمة مروعة، وذلك باطلاقها صاروخين من حاملة الطائرات (وينسنس) نحو طائرة (ايرباس) مدنية تابعة لخطوط الجمهورية الاسلامية (الرحلة رقم ٦٥٥) في شهر تموز ١٩٨٨ فاسقطتها، مما ادى الى استشهاد جميع ركابها، وراح ضحية الحادث ٢٩٠ شخصاً من الاطفال والنساء والرجال. وقد لاذ العالم — الظالم والبعيد عن الحق — بالصمت ازاء هذه الجريمة البشعة لمجرد أنها وقعت بحق اناس كانوا ينادون بالاسلام، وهو في نظر الغرب جريمة لا تغتفر! وهي جريمة البوسنيين المظلومين اليوم نفسها، فهم يتعرضون للإبادة بسبب ذنبهم هذا.



اما صدام فقد ختم صحيفة جرائمه الوحشية في الحرب
المفروضة بجرمة قتل نظيرها في التاريخ، إذ قام بقصف
مدينة (حلبجة) العراقية بالاسلحة الكيماوية، الامر الذي
ادى الى مقتل اكثر من خمسة الآف مواطن اعزل كان
اكثرهم من الاطفال والشيوخ. وامام هذه الجريمة البشعة

التزمت الامم المتحدة ومجلس الامن الصمت ولم تنبسا
ببنت شقة.



إنَّ بحففل قوات الغرب في الخليج الفارسي، وما حصل
خلال الاشهر الثمانية الاخيرة من الحرب، لم يكن الا لأن
جيش الاسلام كان في موقع متفوق تماماً على جيش العدو
الصدامي الذي فرّ من اغلب المناطق المختلة الى مأو راء
الحدود.

ان خشية سقوط صدام المحتمل على ايدي أبطال الاسلام او هزيمته على الاقل، هي التي دفعت القوى الكبرى الى المبادرة لدعمه ومساعدته. وفي هذا المجال انصبت جهود أميركا وهيئة الامم المتحدة، وخلافاً لنهجهم السابق، على السعي لسدّ الطريق امام تقدم المقاتلين الايرانيين والحيلولة دون سقوط صدام.

ان مصادقة مجلس الامن على القرار (٥٩٨)، الذي تضمن بعض آراء ومطالب إيران لايقاف القتال، التي كانت قد اصرت عليها منذ بدء الحرب، لكن المنظمات الدولية لم تقبل بما في السابق أملاً بانتصار صدام. ان المصادقة على هذا القرار من جهة، والجرائم البشعة التي ارتكبها مشعلو الحرب في الاشهر الاخيرة من الحرب من جهة أخرى، دفعت الإمام الى اصدار أوامره الى لجنة من الخبراء العسكريين والسياسيين والاقتصاديين الايرانيين الملتزمين بدراسة المستجدات على ساحة المواجهة. وبعد دراسة مستفيضة قدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن الاشارة الى ان الوقت مناسب لايران لاثبات حقها في هذا الدفاع المقدس الذي دام ثمانية اعوام، وان عليها ان تقبل بايقاف الحرب على اساس القرار (٥٩٨).

وفي ١٩٨٨/٧/٢٠ اصدر الإمام بيانه المعروف باسم (بيان الموافقة على القرار)، الذي يعدُّ من ابرز الادلة على كفاءة قيادته وادارته، ففي هذا البيان استعرض سماحته



خلفيات الحرب المفروضة وابعادها بشكل جلي، ورسم الخطوط المستقبلية للنظام والثورة الإسلامية في مختلف المجالات، بما في ذلك المواجهة مع القوى الكبرى والاصرار على الاهداف والقيم التي جاءت بها الثورة. وان نعت الإمام الخميني قبوله بالقرار بمثابة «تجرع السم الزعاف» بحد ذاته يحمل بين طياته حقائق خفية ويتضمن دقائق كثيرة لا يسع المجال هنا لذكرها، لذا نكتفي بذكر مقطع من بيان الإمام الخميني هذا، الذي يقول فية: «واما فيما يتعلق بقبول القرار الدولي، الذي يعدُّ في الحقيقة موضوعاً شديداً المرارة صعب الاستمراء للجميع، خصوصاً بالنسبة لي. هو اني ولفترة قريبة كنت اؤمن بنهج الدفاع والمواقف المعلنة سابقاً، وكنت ارى بأن مصلحة النظام والبلاد والثورة في تنفيذ تلك المواقف. غير ان الحوادث

والعوامل التي لا ارغب الخوض في تفاصيلها الآن وآمل ان تتضح مستقبلاً؛ والاراء التي اتفق عليها الخبراء السياسيون والعسكريون من ذوي المقامات الرفيعة في البلاد ممن اتق بتدينهم واخلاصهم وصدقهم، دفعتني الى القبول بالقرار الدولي، والموافقة على وقف اطلاق النار. واني اعتبر ذلك الآن في مصلحة الثورة والنظام. والله يعلم بأنه لو لم يكن الدافع بأن نضحي جميعاً بعزتنا وكرامتنا على طريق مصلحة الاسلام والمسلمين، فاني لم اكن لأقبل بهذا الأمر مطلقاً، ولكان الموت والشهادة احلى مذاقاً بالنسبة لي. ولكن ما العمل ونحن جميعاً مطالبون بالاذغان لما يرضي الله تعالى. ومن المؤكد ان الشعب الايراني الشجاع كان — وسيبقى — على نمجه هذا.^١

وتماماً كما حذر الإمام مراراً من أن ادعاءات صدام للسلام لا تعدو كونها محاولة لتضليل الرأي العام، فقد اثبت الواقع ذلك. فبعد قبول إيران بالقرار الدولي، بادر صدام حسين الى الهجوم مجدداً وارتكاب حماقة جديدة باندفاعه في الجبهات الجنوبية لاحتلال الاراضي الايرانية. غير ان انتشار بيان الإمام الحماسي والعاطفي ادى مرة اخرى الى ايجاد موجة من التطوع في صفوف قوات التعبئة وتجمع

١- صحيفة الإمام، ج ٢١، ص ٩٢.

الطاقات الثورية المقاتلة من اقصى نقاط البلاد للتوجه الى المناطق الجنوبية، وقد ادت سرعة تحركهم وتنظيم قواهم الى تكبيد العدو خسائر فادحة ومسارعتة للفرار، ولم يبق امام صدام من طريق سوى القبول بالهزيمة.

وبذا — وبمشيئة الله وكما وعد الإمام الخميني — فان الشعب الذي فرضت عليه الحرب، استطاع فرض السلام على عدوه — المغرور سابقاً والخائب حالياً — بفضل تضحياته وبطولاته وملاحمه التي لم نر مثيلاً لها الا في الحروب التي خاضها المسلمون الاوائل في عصر صدر الاسلام.

لقد شن صدام الحرب — بايعاز من أميركا — لتقسيم إيران والقضاء على الثورة الإسلامية، الا انه اليوم مضطر — ومن اجل حفظ حياته ونظامه المفروض على الشعب العراقي المظلوم — الى القبول بشروط الشعب الايراني الثائر.



ومن عجائب فترة الدفاع المقدس الطويلة التي خاضها الشعب الايراني، هو ان الشعب الايراني لم يتخل طوال هذه الفترة عن نشاطه لبناء ايران واعمار الدمار الذي ورثه من النظام السابق. وخلال الفترة ذاتها وفضلاً عن ادارته شؤون الحرب على احسن نحو، واصل تنفيذ مشاريعه الكبرى في اعادة البناء وتحديث ايران، بدءاً من مشاريع بناء السدود وشق الطرق العظيمة، وانتهاء بمشاريع توسيع الاكتشافات والاستثمارات النفطية وتوسعة محطات الطاقة وتحسين الشؤون الزراعية وزيادة عدد الجامعات ومراكز البحوث في البلاد وبقية الشؤون الاخرى المرتبطة بالتنمية الوطنية.

وبهذا النحواتهت حرب الثماني سنوات، دون ان ينجح مشعلوفتيها من تحقيق اي هدف من اهدافهم. ولم يبق النظام الجمهوري الاسلامي قائماً وحسب، وانما تمكن

ومن خلال الوحدة الوطنية لجماهيره المسلمة، من القضاء على الطابور الخامس داخل البلاد، وحكم قدرته وسيادته على مختلف أنحاء البلاد. اما على الصعيد الخارجي فقد ظهرت الجمهورية الإسلامية كقوة لا تُهزم، تمكنت من ترسيخ حضورها الفاعل على الصعيد الدولي واثبات حقانيتها رغم ثمانية اعوام من الاعلام المعادي المكثف، واستطاعت ابلاغ رسالتها للعالم. وطبيعي انهما دفعت من اجل نهجها هذا ثمناً باهضاً: «ان تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»^١.

إن من اعظم ذنوب وخيانات صدام وجميع الحكومات العربية — الإسلامية الظاهر — التي شجعت على الاعتداء ودعمته طوال فترة الحرب، فضلاً عن خيانتها في هدر الطاقات الانسانية والاقتصادية العظيمة لكلا البلدين (إيران والعراق)، هي انه يفرضه هذه الحرب المشؤومة ارجاً تحقيق الوحدة الإسلامية والثورة الإسلامية الكبرى لسنوات طويلة بعد أن كانت قاب قوسين او أدنى من التحقق بعد سقوط النظام الملكي في ايران، وعرض صفوف المسلمين الى الفرقة والتشتت. وبدلاً من الضغط بقوة على يد الاخوة التي مدها الإمام الخميني بعد ١١ شباط (يوم انتصار الثورة) من خلال بياناته واحاديثه، الى الحكومات الإسلامية، وقبول دعواته

للاتحاد وحل مشكلات العالم الإسلامي وتحرير القدس، تراها وقفت الى جانب اساطين الكفر. وطبيعي ان هذا الطريق لا يقود إلا الى التسليم المذل امام اسرائيل، والاعتراف رسمياً بوجود هذه الغدّة السرطانية واستقبال عساكر الكفر في بلادهم، وتسخير ثرواتهم القومية وارضيتهم وكرماً لاميركا ليتمكنها من الاستقرار في قلب العالم الاسلامي وفي مهبط الوحي.

ان الهجوم الصدامي المجنون على الكويت وتدميره لكيان هذه الدولة، والنتائج المرّة التي اسفرت عن الاحتلال من تخريب البنية الاقتصادية والاجتماعية للشعب العراقي والحضور الدائم لاعداء الاسلام في المنطقة، ليس إلاّ جزءا لهذا الذنب الذي لا يعتنر «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ»^١.



بعد الاستقرار النسبي للسلام، حدد الإمام الخميني للمسؤولين في الجمهورية الإسلامية، عبر بيان أصدره في ١٠/٣/١٩٨٨ يتألف من تسعة بنود، النهج والبرامج اللازمة لاعادة اعمار البلاد. ويكفي لاستشراف عمق تفكير الإمام، والمكانة التي يؤمن بها للقيم الاصلية، مطالعة هذا البيان بدقة.

وبعد مرور عشرة اعوام من تجربة النظام الجمهوري الاسلامي، اصدر الإمام الخميني في ١٩٨٩/٢/٢٤ — بدافع تعديل وتكميل ركائز نظام الجمهورية الإسلامية — أوامره، ضمن رسالة بعث بها الى رئيس الجمهورية وقتئذ (آية الله الخامنئي) — بتشكيل هيئة تتولى تعديل الدستور على اساس ثمانية محاور حددها في الرسالة، أهمها اصلاح المواد المتعلقة بالشروط الازم توافرها في القائد وتوحيد السلطة المركزية في القوة التنفيذية والقضائية والاذاعة والتلفزيون، وتحديد مسؤوليات مجمع تشخيص مصلحة النظام.^١

وقد تمّ طرح المواد الدستورية المعدلة للاستفتاء الشعبي في ١٩٨٩/١٢/٣ م (بعد رحيل الإمام) وصوت عليها ابناء الشعب باغلبية مطلقة.

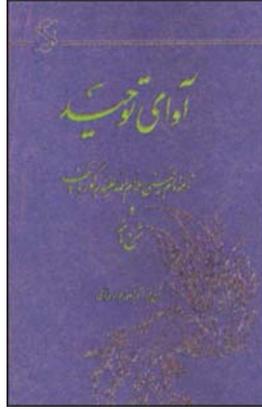
□ نبوءة الإمام الخميني بانتهاء الماركسية

قام غور باتشوف آخر رؤساء الاتحاد السوفيتي المنحل — باصلاحات وتغييرات في بنية القطب الشيوعي العالمي. ولم يزل المحللون السياسيون وقادة الغرب ينظرون بعين الشك والترديد الى خطواته تلك دون ان يصدقوا بأن مثل هذه التحولات التي تجري في هذا النظام الاحادي ذي السبعين عاماً، ستمتد الى جذوره العميقة، وان اقصى ما توقعوه هو ان يقوم قادة الكرملين في النهاية باهمال بعض العلاقات المباشرة بين بلدان الكتلة الشرقية والاتحاد السوفيتي للتخفيف من المشكلات الاقتصادية الداخلية وتأسيس نظام جديد للشيوعية يقوم على قيادة اكثر محدودية للاتحاد السوفيتي ومسؤولية اكبر للبلدان التي تدور في فلكها. في حين أن الإمام الخميني وبصيرته التي عجز عن دركها المحللون الماديون، بعث برسالة وقتئذ (١٩٨٩/١١/١) الى غوربا تشوف توقع فيها انهيار الماركسية حيث كتب يقول: «من الآن فصاعداً ينبغي ان يُبحث عن الماركسية في متاحف التاريخ السياسي للعالم»^١.

عرض الإمام الخميني في تلك الرسالة اعمق التحليلات عن التحولات الجارية في الاتحاد السوفيتي وعبر عما

١- نفس المصدر، ص ٣٦٣-٣٦٤.

يجري بـ «صوت تمشم عظام الماركسية». والمثير للدهشة ان الرسالة تضمنت نبوءة اخرى مشوبة بالحذر، مما يشير الى احاطة الإمام الخميني بالظروف السياسية العالمية؛ اذ حذر سماحته بوضوح من ارتداء الروس في احضان الرياض الخادعة للرأسماليين الغربيين والانخداع بما تطرحه أميركا.



لقد طالب الإمام الخميني غوريا تشوف بالايمان بالله بدل تعليق الآمال على الماديين الغربيين معتمداً في مطالبته على عرض المسائل الفلسفية والعرفانية العميقة مشيراً الى فشل الشيوعيين في سياستهم في محاربة الاديان.

يقول الإمام في رسالته: «ان المشكلة الاساسية لبلدكم لا تكمن في مسألة الملكية والاقتصاد والحرية، بل في عدم الاعتقاد الحقيقي بالله، وهي المشكلة نفسها التي يعاني منها الغرب والتي جرت الى الابتذال ووصلت او ستصل به الى طريق مسدود»^١.

الا ان القادة السوفيت — للاسف — لم يحملوا نصائح الإمام وتحذيراته محل الجذ، مما اتاح للشركات الأميركية

والاوروبية، ان تجعل من روسيا مضماراً لمطامعها الاقتصادية، وتعرضها لنوع جديد من الاستثمار الذي لا يحمل معه سوى الظلام والانتهاك الى الطريق المسدود، الا إذا افادت الجماهير الروسية وعادت الى رشدها.

ويذكر ان (شيفار دنادزه) وزير خارجية الاتحاد السوفيتي آنذاك، حينما قدم يحمل ردّ الرئيس السوفيتي الى الإمام الخميني، ذهل عندما رأى هذا العملاق الصلب الذي يوجه التحذيرات بصراحة عجيبة الى قادة ثاني قوة في العالم، يعيش في بيت صغير بسيط في جماران وفي غرفة لا تتجاوز مساحتها ١٢ متراً مربعاً، مكتفياً بوسائل واثاث في منتهى البساطة ودون وجود اي اثر للمراسم والتشريفات المعمول بها. اذهله ان يرى الإمام جالساً باطمئنان واستقامة كالطود يضع الى جانبه نسخة من القرآن الكريم وسجادة صلاة ومسبحة وعدداً من الصحف ومذيعاً صغيراً. وقد ازداد دهشة حينما التفت الى انه لا يوجد كرسي آخري يجلس عليه المسؤول الكبير الذي يرافقه وان على الاخير ان يجلس على الارض — ولولمة واحدة — ولعل وزير الخارجية السوفيتي ظن بأن قدح الشاي مع حبيتي السكر — الذي قدّمه له الشيخ العجوز الذي كان في خدمة الإمام — كان امراً متعمداً واستثنائياً. غير أن الحقيقة غير ذلك، فالامام لم يغيّر اسلوبه في العيش ببساطة خلال جميع أدوار

حياته سواء حينما كان وحيداً ومغترباً ومنفياً أو خلال عهد زعامته الدينية وقيادة السياسية وحتى آخر لحظة من عمره. ولم يقبل لنفسه ان يغير من اسلوبه امام المقامات الدنيوية الاعتبارية مهما كبرت وعظمت.

□ الدفاع عن النبي الاكرم(ص) والقيم الدينية

بعد توقف الحرب العراقية الايرانية، بدأ القادة السياسيون الغربيون نوعاً جديداً من الهجوم على الاسلام الثوري. إذ ادرك هؤلاء الساسة — ومن خلال الحرب العراقية الايرانية والمواجهة التي وقعت بينهم وبين حزب الله لبنان، ومن انطلاقة المنظمات الفلسطينية الإسلامية، والجهاد الإسلامي للافغان، ومن عملية اغتيال السادات على أيدي المسلمين الثوريين المصريين في ٦/١٠/١٩٨١ — ادركوا بأن الحركة الإسلامية تتنامى بشكل مطرد، ولا يمكن القضاء عليها بالسلاح وبالاسلوب العسكري. لذا لجأوا الى فتح جبهة جديدة يكون الصراع فيها على اساس معنوي وثقافي وايدولوجي. ولما كان بث الفرقة بين المسلمين باجاء مذهبي وطائفي قد فقد بريقه نتيجةً لوعي الإمام الخميني ومسؤولي النظام الاسلامي، توجه هؤلاء لضرب الجذور والاسس المحركة لهذا التيار، والتي تتمثل في

المباني الاعتقادية والمقدسات التي ادى عشقها الى توحيد الاهداف والاساليب بين مختلف اتجاهات الحركة الإسلامية. فكان تنظيم ونشر الكتاب المتبذل «الآيات الشيطانية» لمؤلفه (سلمان رشدي) ودعم الدول الغربية له بشكل رسمي، بداية لفصل جديد من الهجوم الثقافي.



ولم تبد الأمة الإسلامية ردة فعل ازاء المساس بشخصية الرسول الاكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَتَمَّ الاستيلاء على الخندق الاول من خنادقها الدفاعية، ولتَمَّ بعد ذلك الهجوم على الاسس الدينية والمقدسات والاعتقادات بالغيب وسائر القيم المعنوية في المجتمعات الإسلامية بمختلف الاساليب. إن هوية الفكر الديني والهوية التي توحد الامة الإسلامية إنما تتشكل من هذه المقدسات وان التشكيك بها يؤدي الى تضييع الهوية الذاتية للعالم الاسلامي والحركات الإسلامية ويجردها من أي سلاح في مقابل الهجوم الثقافي والايديولوجي الغربي.

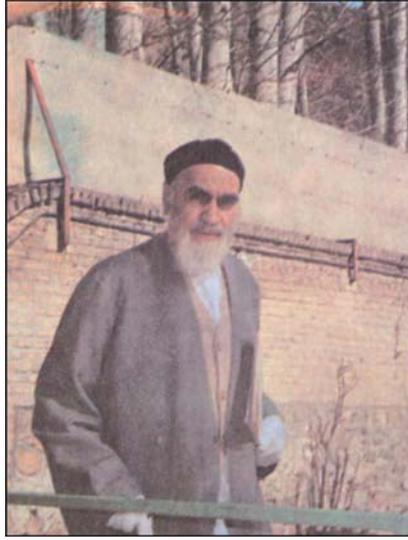
واستناداً الى الحقائق والاسباب التي تقدمت، فجّر الإمام الخميني في ١٤/٢/١٩٨٩ ثورة اخرى باصداره حكماً مختصراً اعلن فيه ارتداد (سلمان رشدي) وحكم عليه وعلى من ينشر كتابه بالاعدام إذا كان مطلعاً على محتوى الكتاب الداعي للكفر.^١

هبّ المسلمون للوقوف في وجه الغرب بصفوف مرصوفة بصرف النظر عن مذاهبهم والسنتهم وبلداتهم. وقد اظهرت الاحداث التي نتجت عن هذه الواقعة، المجتمع الاسلامي على انه امة واحدة، وان المسلمين — رغم اختلافاتهم الداخلية والجزئية — متى ما توفرت لهم القيادة السليمة استطاعوا ان يلعبوا دوراً فاعلاً في حركة احياء القيم الدينية في مستقبل العالم. كذلك بدد اصدار هذا الحكم التصورات الغربية الواهمة حول تخلي إيران عن اهدافها الإسلامية الثورية. بمجرد قبولها بالقرار (٥٩٨).

□ السنوات الاخيرة من عمر الإمام

نقل المقربون من الإمام الخميني في مذكراتهم حواطر وذكريات عن حالات سماحته وروحيته في أواخر عمره، تشير الى ان سماحته كان يحس قرب أجله ودنوموعد لقاء

المحبوب. وبغض النظر عن حالات الإمام العرفانية في تلك السنوات، فإن هناك سمات وخصوصيات اتسمت بها خطباته واحاديثه ميزتها عن سابقتها، نشير فيما يلي الى نماذج منها.



وقعت في تلك السنوات حوادث عديدة ثقل اثرها على روح الإمام وقلبه، احداها استشهاد عدد كبير من الحجاج الايرانيين المظلومين الى جوار بيت الله وفي موسم الحج لعام ١٩٨٧.

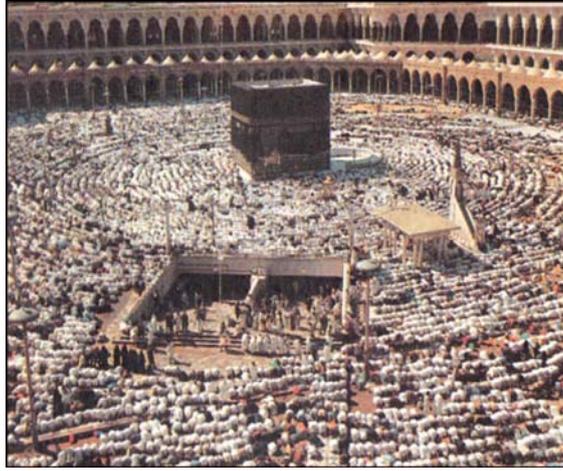
كان الإمام يعتقد بشدة استناداً الى مئات الآيات القرآنية الصريحة وسنة النبي الاكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسيرة أئمة الدين ومالا يحصى من الروايات المأثورة عن المعصومين عليهم السّلام؛ بأن السياسة جزء من الدين، وان

عملية فصل السياسة عن الدين التي شاعت خلال العقود الاخيرة من هذا القرن، انما رُوِّج لها المستعمرون، وان النتائج المشؤومة لهذا الفصل واضحة في العالم الاسلامي وبين اتباع سائر الاديان الالهية.

كان الإمام الخميني يعتقد بأن الاسلام دين لهداية البشرية في جميع مراحل وابعاد وادوار الحياة الفردية والاجتماعية. ولما كانت العلاقات الاجتماعية والسياسية جزءاً لا يتجزأ من حياة البشر، فإن الإمام الخميني كان يرى ان الاسلام الذي يهتم بالجوانب العبادية والاخلاقية الفردية فحسب، ويصد المسلمين عن تقرير مصيرهم وعن المسائل الاجتماعية والسياسية، اسلام محرف، وعلى حد تعبير سماحته «اسلام أميركي». كما ان سماحته كان قد انطلق بنهضته على اساس فكرة عدم الانفصال بين الدين والسياسة، وواصلها على هذا الاساس ايضاً.

لقد بادر الإمام الخميني بعد انتصار الثورة الإسلامية، فضلاً عن تشكيل الحكومة الإسلامية — باسلوب يختلف تماماً عن الانظمة السياسية المعاصرة، اوضح اركانه واصوله دستور الجمهورية الإسلامية — الى احياء شعائر الاسلام الاجتماعية واعادة الروح السياسية للاحكام الإسلامية. وما احياء واقامة مراسم صلاة الجمعة، ومراسم صلاة الاعياد الإسلامية الكبرى في مختلف انحاء البلاد، على انها عقيدة عبادية سياسية وطرح المسائل والمشكلات التي يتعرض لها

الاجتمع الاسلامي داخل البلاد وخارجها في خطب صلوات الجمعة والاعياد الدينية، وتغيير اسلوب ومحتوى مراسم العزاء والرثاء إلا نماذج بارزة على ذلك. ان احد ابرز انجازات الإمام الخميني، احياء الحج الإبراهيمي.



فالى ما قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران كانت مراسم الحج — بوحى من رؤية خاصة وتبعية حكام البلدان الإسلامية وبالاحص حكام السعودية— تقام سنوياً بعيدة عن روحها الواقعية. فقد كان المسلمون يؤدون مناسك الحج وهم غافلون تماماً عن فلسفة تشريع هذا التجمع الديني السنوي الكبير. ومع ان الحج، كما نصت عليه الآية القرآنية «جَعَلَ اللهُ الْكَبَّةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً

للناس^١ يعتبر من ابرز مظاهر التلاقي و اعلان البراءة من المشركين^٢، إلا ان الناظر الى الحج لا يرى اي اثر من طرح لمشكلات العالم الاسلامي والبراءة من المشركين، في وقت تعيش المجتمعات الإسلامية احلك الظروف وتتعرض لهجمات المستعمرين واسرائيل من كل ناحية.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية، أكد الإمام الخميني — من خلال بياناته السنوية التي كان يوجهها الى الحجاج في موسم الحج — على وجوب اهتمام المسلمين بالامور السياسية للعالم الإسلامي، واعتبار اعلان البراءة من المشركين ركنٌ من أركان الحج، وتوضيح مسؤوليات الحجيج في هذا الخصوص. وبالتدرج اتخذ مؤتمر الحج العظيم شكله الحقيقي وصارت مسيرة البراءة تقام سنوياً بمشاركة عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين والمسلمين الثوريين من البلدان الاخرى، يرددون خلالها شعارات تطالب باعلان البراءة من أميركا والاتحاد السوفيتي

١- سورة المائدة، الآية ٩٧.

٢- صحيفة الإمام، ج١٦، ص٢٥١-٢٥٢.



واسرائيل باعتبارها مصاديق بارزة للشرك والكفر العالمي،
وتدعوا المسلمين الى الاتحاد. وتزامناً مع هذه المراسم كانت
تقام المؤتمرات لتبادل الاراء بين المسلمين وتحري الحلول

لمشكلاتهم وتأخذ ابعاداً مختلفة. وقد أدى التأثير المذهل لهذه الخطوات الى دفع أميركا الى زيادة ضغطها على حكومة السعودية للحيلولة دون تنامي هذه الظاهرة او اقامتها اساساً.



وفي يوم الجمعة السادس من ذي الحجة عام ١٤٠٧ هـ، وبينما كان اكثر من مئة وخمسين الف حاج مندفعين في شوارع مكة للمشاركة في مراسم البراءة من المشركين، اقدم رجال أمن الحكومة السعودية — السريين والعلنيين — على مهاجمة حشود الحجاج هجوماً يدل على سبق اصرارهم وترصدهم، فوقع في هذه الحادثة المؤلمة اكثر من اربعمئة شهيد من الحجاج الايرانيين واللبنانيين

والفلسطينيين والباكستانيين والعراقيين وغيرهم، وجرح أكثر من خمسة آلاف آخرين. كما تم اعتقال العديد من الأبرياء. وكان أكثر الشهداء والجرحى من النساء والشيوخ ممن عجزوا عن الفرار السريع من مكان المذبحة.

لقد ضرج هؤلاء بدمائهم بمنتهى المظلومية بتهمة اعلانهم البراءة من المشركين. والاهم من ذلك انتهاك حرمة الحرم الالهي الآمن في يوم الجمعة وفي ايام الحج المباركة وفي شهر الحرام.

ان آثار الغضب والألم كانت تعتصر قلب الإمام الخميني لهذه الجرأة والوقاحة، الا ان مصالح الامة الإسلامية وظروف العالم الإسلامي منعتة من القيام بأية خطوة عملية، مما حبس الغم في داخله وترك اثره على كلامه وبياناته حتى آخر عمره.

بعد عام من هذه الواقعة، ونتيجة لاسباب استعرضناها فيما تقدم، قبلت الجمهورية الإسلامية وحكومة العراق القرار ٥٩٨ عملياً وانهايا الحرب المفروضة. وان كلاً من الملاحم البطولية التي سطرها جنود الاسلام والمقاومة الشعبية الايرانية الرائعة خلال ثمانية اعوام من الدفاع المقدس، التي حالت دون تحقيق الاعداء لايّ من اهدافهم — التي اشعلوا الحرب بسببها — وتمكن الشعب الايراني من طرد المعتدين من المدن والمناطق المختلة عبر صراع غير متكافئ تماماً، وانتهاء الحرب بانتصار جند الاسلام، كلها

امور تدعوا الى البهجة والفخر، غير أن الظروف والفجائع التي ظهرت قبل انتهاء الحرب ومنها المجزرة الرهيبة التي وقعت في (حلبجة) نتيجة القصف الكيميائي لهذه المدينة من قبل الطائرات العراقية، والقصف الواسع للمناطق السكنية في إيران ودعوة الدول التي تدعي الاسلام، أميركا واوروبا للقدوم الى الخليج الفارسي بناقلاهما الحربية لحماية صدام واسقاط الطائرة الايرانية المدنية في الخليج الفارسي من قبل القوات البحرية الأميركية، كلها احداث مؤلمة تعتصر قلب اي مسلم غيور، ناهيك عن رجل طاهر كالامام الخميني الذي أوقف عمره لخير الامة الإسلامية وصلاحها، ونمض من اجل استعادة مجدها الضائع.

كان الإمام الخميني يعاني الأمرين مما كان يراه من وقوف الكثير من الدول الإسلامية — خلافاً لارادة شعوبهم — مع أعداء الاسلام الحاقدين، ودعمهم للمعتدي، خصوصاً وأنه كان يرى بوضوح العواقب الوخيمة لهذا الدعم، وأنه حذر من مغبة مواجهة النظام الاسلامي الايراني وتقوية الحكام البعثيين، مشيراً الى هذا الأمر — فضلاً عن انه لن يحل مشكلة من مشاكل العالم الاسلامي — فإنه سيؤدي في المستقبل القريب الى اكتواء هؤلاء الحكام انفسهم بالنار الكامنة تحت الرماد. وفيما يلي نشير الى نماذج من تلك النبوءة المدهشة التي وردت في حديث القاه الإمام قبل ثمانية اعوام من الهجوم الصدامي على

الكويت — ١٦ أيار ١٩٨٢ — وطبع في السنة نفسها في كتاب صحيفة النور (ج ١٦ ص ١٥٠). يقول سماحة الإمام مخاطباً الدول العربية الداعمة للصدّام: «على حكومات المنطقة ان تنتبه الى انهم انما يلقون بأنفسهم في التهلكة من أجل أميركا او غيرها من القوى الكبرى. لقد حذرناهم مراراً لئلا يصبحوا اداة بأيدي القوى الكبرى، وقد قلنا أكثر من مرة ان صدام اذا تمكن من النجاة من ورطته هذه واستعاد قوته فانه ليس بذلك الرجل الذي يقدر موافقكم ويحترم مساعداتكم، انه مصاب بجنون العظمة، ومن الختم انه سيبادر للهجوم عليكم». كذلك حذر الإمام هذه الحكومات في خطابه الذي القاه بتاريخ ١٩٨١/١١/٢ قائلاً: «انني انصح جميع حكومات المنطقة بأن يكفوا عن دعم صدام، وان يخشوا ذلك اليوم الذي يحل فيه غضب الله عليهم».

والطريف أنه لم يمر وقت يذكر على رحيل هذا الرجل الرباني حتى تحقق ما قال، حيث اصبح أولئك — الذين اهتموا إيران بالها ذات نزعة عدوانية واعتبروا المعتدي المتجاوز هو الطرف الراغب بالسلام — انفسهم فريسة للمتجاوز والمعتدي مع الفارق بين ما فعلوه وبين ما فعلته إيران، اذ بادروا الى الاستنجاد بالدول التي تعدّ السبب الرئيسي لاشعال فتيل كل هذه الفتن والحروب.

كانت تترك اسوأ الآثار على روحية الإمام. ولا شك انه في السنوات الاخيرة من عمره كان يخصص السهم الاوفر من مناجاته الليلية للشكوى لله من تلك الامور والدعاء من اجل اصلاحها.

اما على الصعيد الداخلي، فقد كانت الظروف التي أدت الى إقالة آية الله المنتظري عن منصبه في تولي امر القيادة بعد الإمام (١٩٨٩/٣/٢٨) من جملة الحوادث المرّة الاخرى.

ان احد اهم اصول دستور الجمهورية الإسلامية —
الذي تم تدوينه وقراره على اساس رؤية الإمام الخميني —
هو تشكيل مجلس الخبراء لتعيين القائد وتحديد صلاحيات
القيادة في النظام الاسلامي. والخبراء هم مجموعة من الفقهاء
والمجتهدين الذين تتوفر فيهم الشروط، يتم انتخابهم من قبل
الجماهير بشكل مباشر، وبذا تكون الجماهير مشاركة
ومشرفة على اهم امر يرتبط بمصير المجتمع الاسلامي — أي
القيادة — وذلك عن طريق رأي الخبراء.

صوّت اول مجلس للخبراء في جلسته المنعقدة في شهر
تموز ١٩٨٣ م على انتخاب آية الله المنتظري لمقام نائب
القائد، فهو من تلامذة الإمام الخميني البارزين ومن
المجتهدين الذين كان لهم حضور فاعل في الدفاع عن
انتفاضة الخامس من حزيران وما تلاها من حوادث، ومن
هنا كان قد تعرض — كما هو حال آية الله الطالقاني

وسائر علماء الدين الثوريين — للسجن لفترات طويلة في
العهد الملكي البائد.



ففي آخر رسالة بعث بها الإمام الخميني الى آية الله
المنتظري — التي أدت الى تقديم الاخير استقالته من منصبه
— صرّح سماحته بأنه كان معارضاً لانتخاب المنتظري قائداً
للنظام الاسلامي من بعده، إذ كان يراه يفتقد الى الطاقة
اللازمة لتحمل هذه المسؤولية الجسيمة والخطيرة والمعقدة.^١
وقد صرح الإمام في هذه الرسالة بأن عدم اتخاذ موقفاً
معارضاً لمجلس الخبراء انما كان لرغبته في عدم احتراق
الحدود التي اقرها القانون لمسؤوليات ووظائف مجلس
الخبراء وهذا الامر بحد ذاته بالغ الاهمية في دلالتيه على
اسلوب الإمام الخميني في الادارة — فهو يحترم قانون النظام
الاسلامي ورأي الجماهير، ويلتزم به الى الحد الذي يمنعه

١- نفس المصدر، ج ١٥، ص ٤٠٤.

من ابداء رأيه ونظرته الشخصية حتى في ادق الظروف واكثرها حساسية رغم ان ابداءه لرأيه لن يؤدي الى وقوع أية مشكلة نتيجة المحبوبة والمقبولية التي يحظى بها لدى الجماهير ومسؤولي النظام.

وفي الرسالة نفسها، أكد الإمام الخميني — ضمن تعبيره عن محبته للمنتظري — على انه يرى ان من الصالح له (المنتظري) ان يكف عن تكرار اشتباهاته السابقة، وان يظهر بيته من الافراد غير الصالحين، ويحول دون تردد المعارضين للنظام الاسلامي عليه، وان يتفرغ لاثراء البحوث الفقهية واثاحة الفرصة للحوزات للاستفادة من ارائه الفقهية.

ومما يذكر ان الإمام الخميني ليس فقط لم يصرح بمعارضته لانتخاب المنتظري من قبل مجلس الخبراء، بل وبادر الى تقوية واصلاح نقاط ضعف المنتظري بكل جهده، واناط به من المسؤوليات والامور المهمة الكثير لإكسابه التجربة الكافية واعداده لتحمل مسؤولية القيادة الخطيرة. غير ان آثار حقيقة (فقدانه الطاقة اللازمة لتحمل مسؤولية هذا المقام الخطير) كانت تظهر — وللأسف — تدريجياً، الأمر الذي دفع العناصر غير الصالحة التي تسللت الى منزله الى استغلال ذلك — وقد اظهرت اعترافهم التي ادلوا بها عبر التلفزيون عن سوء نواياهم واهدافهم المشؤومة التي كانوا يخططون لتنفيذها — حتى بلغ الامر حداً تجاوز

عدم الالتزام بالنصائح المشفقة والحكيمة التي قدمها الإمام الخميني، والاصرار على الاسلوب الخاطيء.

لقد نصحه الإمام الخميني مرات عديدة — عبر الرسائل تارة، واللقاءات المباشرة تارة اخرى — بضرورة تطهير منزله من تلك العناصر، والتعاون مع مسؤولي النظام المخلصين.

ولكي ندرك المخطات الحساسة في هذه الواقعة التاريخية ومرارة الأثر الذي تركته على قلب الإمام، ولوعي مدى التزام الإمام بمصالح الامة وعدم الاخذ بنظر الاعتبار العلاقات العاطفية والشخصية في مقابل الاهداف المهمة، نكتفي بنقل هذا المقطع من رسالة الإمام التي بعث بها الى ممثلي مجلس الشورى واعضاء الحكومة بتاريخ ١٠ نيسان ١٩٨٩م، وهو غني عن اي تفسير او تعليق، يقول سماحته: «بلغني انكم لا تعلمون شيئاً حول قضية السيد منتظري، وانكم تجهلون تفاصيلها. ولكن ينبغي أن تعلموا والدكم الشيخ بذل كل ما في وسعه منذ اكثر من عامين عبر البيانات والرسائل لتفادي وصول الأمر الى ما وصل اليه، غير انه — وللأسف — لم يوفق في ذلك.^١ من جانب آخر فإن المسؤولية الشرعية اقتضت اتخاذ القرار المناسب لحفظ النظام والاسلام. لذا فقد اقلت — بقلب

١- نفس المصدر، ج ٢١، ص ٣٣٣-٣٣٥.

يعتصره الالم — وضحيته بشمرة عمري (المنتظري) من اجل مصلحة النظام والاسلام».

وبهذا النحوتم التخلص من احدى المخاوف التي كانت تهدد مستقبل النظام الاسلامي، بتدخل مباشر من يد الإمام الخميني الكفوءة المقتدرة. ولم يكن لهذا الامر المعقد ان يحل الا بواسطة شخصية كشخصية الإمام الخميني.

والإمام الخميني لم يوجه حديثه الى الاخرين فقط حينما يقول: «ان الثورة ليست مدينة لاية فئة»^١ و «لقد اعلنت مراراً بأني لم اوقع عقد اخوة مع اي احد مهما كان منصبه»^٢ و«ان الاطار لحياتي للآخرين انما يتحدد من خلال صحة الطريق الذي ينتهجونه»^٣، بل انه يشمل بذلك حتى نفسه، ففي بيانه المعروف الذي وجهه للحوزات العلمية كتب يقول: «يعلم الله بأني لا اعتقد لنفسي بذرة من المصونية والحق والامتياز، واني مستعد للمؤاخذة اذا بدر مني أي خلاف»^٤.

وكما اشرنا سابقاً، إن بيانات وخطابات الإمام الخميني خلال السنوات الاخيرة من عمره تختلف عما كانت عليه في السابق، الأمر الذي يعبر عن سعة افقه وعمق احساسه

١- نفس المصدر، ج ٢١، ص ٣٥٠

٢- نفس المصدر، ص ٣٨٥.

٣- نفس المصدر، ص ٣٢٦.

٤- نفس المصدر.

بالمسؤولية بالنسبة للفترة التي ستلي غيابه. فخلافاً لبياناته واحاديثه في المراحل السابقة — التي كانت تركز اساساً على توجيه الجماهير والمسؤولين فيما يتعلق بالاحداث الجارية والمواقف المطلوبة امام المحن التي تتعرض لها البلاد والعالم الاسلامي — فإن بياناته في السنوات الاخيرة من عمره المبارك كانت تتلخص في استحضار الحوادث الماضية والحالية، وترسيم ابعاد المستقبل، وبيان تكاليف عموم المسلمين في قبال المسؤوليات المستقبلية وبنحواشد وضوحاً من السابق.

بتعبير آخر، كان الإمام الخميني يشعر بقرب اجله، لذا سعى في السنوات الاخيرة من عمره الشريف الى التذكير بمجموعة القيم والمثل والاهداف التي شكلت الاساس لانطلاق الثورة، وترسيم وتوضيح اولويات النظام الجمهوري الاسلامي والثورة الإسلامية العالمية على اساس هذه القيم والاهداف.

لقد سعى الإمام الخميني من خلال هذه البيانات — وبطرح تقييمه عن مجمل العناصر الموجودة في المجتمع الايراني والعالم الاسلامي، وكذلك تحليلاته عن الانظمة الحاكمة في عالمنا المعاصر — لتوضيح الطريق امام انتخاب واختيار مستقبل النظام، وتبيين تكليف كل شريحة ازاء الظروف المستقبلية، وفي غيابه.



وقبل عدة سنوات من رحيله، وتحديدًا في ١٥ شباط ١٩٨٣، كتب الإمام الخميني وصيته السياسية الإلهية استناداً الى هذا المبدأ، وبوحي من هذا الدافع. وتعد هذه الوصية — التي طبعت ونشرت حتى الآن بمختلف اللغات — نداء الإمام الاخير المتضمن اصول فكره واهدافه وارشاداته الخالدة لانصاره ومحبيه. ان كتابة وصية بهذا النحو وبهذه الابعاد، عملٌ لم يسبق له مثيل بين فقهاء الشيعة ومراجع التقليد، ودليل على عمق اطلاع الإمام على الحاجات الحالية والمستقبلية للمجتمعات الإسلامية، وعلى شدة احساسه بالمسؤولية في هذا المجال.

ان بيانات الإمام الخميني الاخيرة، هي في الحقيقة شرح وتفسير للقيم التي دافع عنها في وصيته والامور السياسية التي طرحها فيها.

ومن جملة الخصائص التي تميزت بها بيانات الإمام في أواخر عمره، تأكيد على ضرورة التفات المسلمين الى نوعين متضارين من الفكر الديني والاسلامي. إذ ان سماحته — استناداً للشواهد التاريخية العديدة — يعتقد بأن الاسلام وسائر الاديان الإلهية — منذ سحيق الزمان وحتى اليوم — عرضت بصورتين متضادتين تماماً. فمن جانبٍ

كان هناك الدين والاسلام المحرّف الذي استغله الظالمون والمستعمرون، والذي ابتدعه المتحجرون والقشريون من رجال الدين الكاذبين. ومن جانب آخر كان الدين والاسلام الحقيقي الذي حفظ وانتشل من احضان الخرافات والشعوذات بدماء المجاهدين والمساعي الحثيثة لعلماء الدين الملتزمين طوال التاريخ. وبذا فإن احد اسرار نجاح الإمام الخميني بتحريك الامة الإسلامية يتمثل في قدرته على بيان التضاد المستمر بين هذين النوعين وتوضيح سمات كل واحدٍ منهما.

كان الإمام الخميني يعتقد بأنّ تجاهل هذه الحقيقية التاريخية وعدم محاولة التعرف عليها، هو الذي ادى الى نفوذ الاستعمار الى البلدان الإسلامية، وابتعاد المسلمين عن عصور التحضر والثقافة الباهرة التي كانوا عليها، ثم الابتلاء بالواقع الرهن، حيث نرى - للاسف - الحكومات الإسلامية التي رفع اسلافها شعار «الاسلام يعلو ولا يُعلى عليه» و«لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً»^١، تستجدي اليوم اعداء الاسلام من الكفار والمشركين لمواصلة حياتها والحفاظ على حدودها.

كان الإمام الخميني يعبر عن الفهمين المتباينين للاسلام في عصرنا الحاضر بـ «الاسلام الاصيل» و«الاسلام

الأميركي». إذ انه كان يعتقد بأن الاسلام الذي تتجاهل احكامه القرآنية المسلمة وسنة نبيه الاكرم(ص) فيما يتعلق بالمسؤوليات الاجتماعية، والاسلام الذي تترك منه ابواب الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعدالة الاسلامية والاحكام المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الاسلامي، ويجول دون مشاركة المسلمين في السياسة وفي تقرير مصيرهم، ويرى الدين يتلخص في مجموعة من الازكار والعبادات الفردية دون الالتفات الى فلسفتها وروحها الحقيقية، ان مثل هذا الاسلام هو الذي تدعوا اليه أميركا ومن يدور في فلكها.

يستند سماحة الإمام في تحليله هذا الى ظواهر تاريخية وشواهد دامغة مستلة من الوضع الذي كانت عليه البلدان الإسلامية. فسماعته يعتقد بأن الاستعمار الحديث هو نتاج لمساعي المستعمرين السابقين. إذ اهتم سعوا الى تغيير دين الجماهير المسلمة عن طريق المبشرين المسيحيين. ولما فشلوا في ذلك حولوا مساعيهم منذ ذلك الزمان وحتى الآن لتنصب على ابطال مفعول الاحكام الإسلامية السامية وتشويه الدين من الداخل. ونتيجة ذلك مشهودة تماماً، فجميع البلدان الإسلامية اليوم تعتمد في انظمتها وقوانينها الموضوعية واساليبها في القضاء وفي هيكل النظام الحكومي والقوانين السياسية والاجتماعية، على القوانين والاساليب

الغربية المعادية للدين، والتي تتعارض في ماهيتها مع القوانين المستندة الى الوحي.

ان الاسلام الأميركي هو الذي يتيح للثقافة الغربية ومفاسدها وتحللها النفوذ الى اعماق المجتمعات الاسلامية ويهلك الحرث والنسل. الاسلام الأميركي هو الذي فسح المجال للحكومات العملية للاجانب ان تمارس سلطتها على المسلمين وتقف باسم الاسلام في مواجهة المسلمين الحقيقيين، وتمد في الوقت ذاته يد الصداقة الى اسرائيل وأميركا، اعداء الاسلام.

كان الإمام الخميني في بياناته الاخيرة يؤكد بوضوح اكبر هذه الحقيقة؛ وهي ان الطريق الوحيد لانقاذ البشرية من مشكلاتها الراهنة هو العودة الى عصر الدين والاعتقاد الديني، وان السبيل الاوحد لتحرير البلدان الإسلامية من وضعها الحالي المؤسف هو عودتها الى الاسلام الاصيل والى هويتها الإسلامية المستقلة.

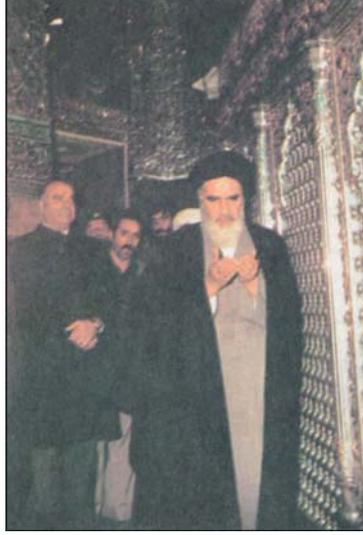
□ نظرة الى اعتقادات الإمام الخميني واهدافه وتطلعاته

الآن وحيث وصلنا في بحثنا هذا في استعراض المراحل التاريخية لحياة الإمام الخميني، الى الايام الاخيرة من عمره

المبارك، لا يفوتنا ان نلقي نظرة ولوسريعة على اهم ابعاد فكره واهدافه (قدّس سرّه).

بديهي ان تكوين صورة واضحة وكاملة عن مبادئ الإمام الخميني الاعتقادية واهدافه لا يتيسر بدون مطالعة مؤلفاته واحاديثه ودراسة سيرته العملية بدقة، الأمر الذي لا يتيسر في هذه العجالة.

الإمام الخميني شيوعي المذهب، يعتقد بشدّة بوحدة الأُمَّة الإسلاميّة (بغض النظر عن توجهاتهم المذهبية) في مقابل المستعمرين واعداء الاسلام. فالدعوة الى الوحدة تمثل جانباً مهماً من بياناته وخطاباته، وهو لا يجوز آية حركة تؤدي الى بث الفرقة في صفوف المسلمين وتمهد الطريق امام المستعمرين لتحقيق هيمنتهم. لقد أوضح سماحته — من خلال اصدار الفتاوى المتميزة، وعبر دعمه لاعلان اسبوع الوحدة بين المسلمين الذي يقام في ذكرى ولادة النبي الاكرم واصدار البيانات المتواصلة — السبل العملية لتحقيق الوحدة بين الشيعة والسنة. وقد اصرّ على مواجهة كل ما يؤدي الى التفرقة والجدال بين الشيعة والسنة طوال مدة زعامته.



كان سماحته يعتقد بأن الإيمان بالله الواحد، والاعتقاد برسالة خاتم الانبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ المجيد، بصفته صحيفة الهداية الابدية، والاعتقاد بضرورات الدين وشعائره واحكامه كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، كلها مرتكزات عملية ثابتة لتقارب جميع المذاهب الإسلامية وتوحيد صفوفها في مقابل المشركين واعداء الدين.

ان النهضة الاصلاحية للامام الخميني وبياناته لم تقتصر على المجتمع الايراني وسائر المجتمعات الإسلامية. إذ أن سماحته كان يعتقد بأن الفطرة البشرية لجميع الناس انما خلقت على اساس الالتفاف حول مبدأ التوحيد والخير

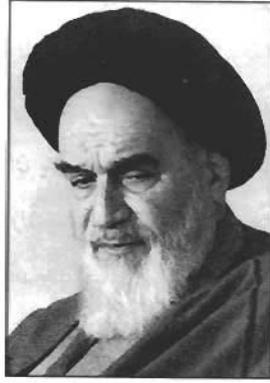
والحقيقة والعدالة، ولوان المعرفة البشرية العامة تنامت وتمت السيطرة على شيطان النفس الأمارة، وتم تضعيف شياطين الخارج، فإن آحاد المجتمع البشري سيتوجهون نحو الله والحياة في اجواء ملؤها العدالة والسلام.

على هذا الاساس دعا الإمام الخميني — في اغلب بياناته — المستضعفين والشعوب الاسيرة في بلدان العالم الثالث الى الانتفاضة بوجه المستكبرين. وفي الايام الاولى من انتصار الثورة الإسلامية دعا بصراحة الى فكرة إقامة حزب عالمي للمستضعفين، ودافع عن هذه الفكرة. كما ان أول المؤتمرات العالمية التي ضمت الحركات التحررية اقيم في إيران لأول مرة خلال زعامة الإمام الخميني.

لقد أكد الإمام الخميني مراراً ان الثورة الإسلامية انما تعادي التطلعات السلطوية لقادة أميركا والغرب والاتحاد السوفيتي (السابق) لا شعوب تلك البلدان التي وقعت هي الاخرى ضحية الاستعمار الجديد.

كان شعار الإمام الخميني، مقارعة الظالم والدفاع عن المظلوم، وكان يقول: «لا نظلم ولا نرضخ لظلم الاخرين»^١. ولعل من المناسب هنا ان ننقل الاسس الاعتقادية للإمام الخميني كما وردت على لسان سماحته وهو يجيب عن سؤال مراسل صحيفة التايمز البريطانية،

يقول سماحته: «ان اعتقادي واعتقاد المسلمين قاطبة يتلخص في المسائل التي أوردتها القرآن الكريم، والتي أوضحها نبي الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأُتِمَّةَ الْحَقِّ مِنْ بَعْدِهِ، وان اساس وأصل جميع تلك المعتقدات — والذي



يعتبر اهم واسمى اعتقادانا — هو مبدأ التوحيد. واستناداً لهذا الاصل فإننا نعتقد بأن خالق العالم وجميع عوالم الوجود والانسان، هو الله تبارك وتعالى، المطلع على جميع الحقائق،

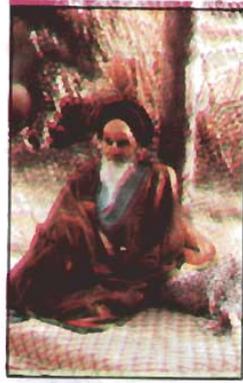
والقادر على كل شيء، ومالك كل شيء. وهذا الاصل يعلمنا بأن على الانسان ان يسلم فقط امام ذات الله المقدسة، وأن لا يبدي الطاعة لاي انسان آخر الا اذا كانت طاعته استمراراً لطاعة الله. على هذا الاساس فلا يحق لاي انسان ان يفرض على الآخرين الانصياع له. ومن هذا الاصل الاعتقادي، نتعلم مبدأ حرية الانسان، وانه لا حق لاي انسان ان يسلب انساناً آخر أو مجتمعاً أو شعباً حقهم في الحرية، أو ان يضع لهم قانوناً ينظم سلوكهم وعلاقاتهم استناداً الى مقدار وعيه ومعرفته

القاصرين، أو استناداً الى رغباته وميوله. وبالاستناد الى هذا الاصل، فإننا نعتقد ايضاً بأن وضع القوانين لتطوير الحياة هو من اختصاص الباري جل وعلا، كما ان قوانين الوجود والخلق من اختصاصه هو تعالى، وان سعادة الانسان والمجتمعات وكمالها، تكمن فقط في طاعة القوانين الالهية التي تمّ ايصالها الى البشر عن طريق الانبياء، وان الانحطاط والسقوط اللذين تعاني منهما البشرية انما هما بسبب مصادرة الحريات والاستسلام امام بعض الافراد. ومن هنا فانه يتوجب على الانسان ان يثور على هذه القيود ويقارع الذين يدعونه للاستسلام والأسر؛ وان يسعى لتحرير نفسه ومجتمعه ليكون الجميع عبيداً لله. ومن هذه الناحية تنطلق قوانيننا الاجتماعية ضد قوى الاستبداد والاستعمار. ومن هذا الاصل الاعتقادي (التوحيد) نستلهم المساواة بين جميع بني البشر امام الله، فهو خالق الجميع، والجميع عباده. فالاصل هو تساوي البشر، وما يميز الفرد عن الآخر — كقاعدة ومعيار — انما هي التقوى والابتعاد عن الانحراف والخطأ. ولذا ينبغي الوقوف بوجه كلما يُراد به تخريب المساواة الاجتماعية وحكيم الامتيازات المزيّفة والفارغة على المجتمع^١.

١- نفس المصدر، ج ٥، ص ٣٨٧-٣٨٨.

يقول الإمام الخميني: «المعيار في الاسلام هو رضا الله ولا رضا الاشخاص. ونحن نقيس الاشخاص على الحق، لا الحق على الاشخاص. المعيار هو الحق والحقيقة»^١.

كان الإمام الخميني يعتقد بأنّ الفطرة الانسانية مجبولة على حب الكمال المطلق المنحصر بالحق تعالى، وانه تعالى منشأ جميع الكمالات والقدرات. كان الإمام الخميني يذكر



انصاره دوماً بأن «العالم

محضر الله، فلا تعصوا الله

في محضرة»^٢. «لا تخشوا

احداً إلا الله، ولا تعقدوا

الآمال على احد غير الله»^٣.

كان الإمام الخميني يري

بأن الهدف من بعثة الانبياء

هو هداية البشر الى معرفة

الله وتجسيد الكمال الانساني من القوة الى الفعل، وازاحة الظلمات واصلاح المجتمعات واقامة القسط والعدالة. يقول سماحته: «ان بعثة الانبياء انما تهدف الى انقاذ اخلاق الناس، ونفوسهم، وارواحهم، واجسامهم من الظلمات؛

١- نفس المصدر، ج٤، ص٢٤٩.

٢- نفس المصدر، ج١٣، ص٤٦١.

٣- نفس المصدر، ص١٤٩.

وتبديد الظلمات واستبدالها بالنور»^١ ويقول: «لأنور سوى الحق تعالى، وما عداه ظلمات»^٢.

الإمام الخميني يرى بأن الاسلام خاتم الاديان الإلهية وانه يمثل اسمى واشمل العقائد الهادية، يقول سماحته مؤكداً: «ان الاسلام يقف على قمة هرم الحضارة»^٣ و«ان النظام الحقوقي في الاسلام ارقى واكمل واشمل الانظمة الحقوقية».. «في الاسلام يوجد قانون واحد وهو القانوني الالهي»^٤.

ان سماحته يرى في الاسلام دين العبادة والسياسة. يقول سماحته: «كان الاسلام من واضعي اسس الحضارة الكبرى في العالم».

كان سماحته يوصي اتباعه بالقول: «اياكم والخلط بين القرآن المقدس والدين الاسلامي الذي يبعث على التحرر، وبين العقائد الخاطئة المنحرفة التي ابتدعها الفكر البشري»^٥. ويقول قدس سره: «إن مشكلة المسلمين الكبرى تكمن في تخليهم عن القرآن الكريم والانضواء تحت لواء الآخرين»^٦. ويقول: «ان التشيع

١- نفس المصدر، ج١٧، ص٢٣٥.

٢- نفس المصدر، ج١٩، ص٢٨٤.

٣- نفس المصدر، ج١، ص٣٠١.

٤- نفس المصدر، ج٩، ص٤٢٥.

٥- نفس المصدر، ج٥، ص٢٠٤.

٦- نفس المصدر، ج٢، ص٤٣٨.

— المذهب الثوري والامتداد الطبيعي للإسلام المحمدي
الاصيل — كان دائماً — مثلما كان الشيعة — هدفاً
لحملات المستبدين والمستعمرين الغادرة»^١.



١- نفس المصدر، ج ١٣، ص ٢٧٥.

لقد أكد سماحته مراراً، حينما تحدث عن أهدافه مُضتته والباعث عليها، على القول: «ان أقصى ما نهدف إليه هو الاسلام»^١.

فالامام الخميني يرى الثورة الإسلامية شعاعاً من الثورة الحسينية^٢ الخالدة التي انطلقت في عاشوراء لانقاذ الدين من قبضة المجرمين الظالمين، إذ يعتقد سماحته: «بان الاسلام لم يأت لقوم دون غيرهم، ولا يفرق بين الترك والفرس والعرب والعجم. الاسلام للجميع ولاقيمة أو امتياز في نظامه للجنس أو اللون أو القبيلة أو اللغة»^٣. «الجميع اخوة متكافئون، فالكرامة فقط فقط في اطار التقوى، والتمايز انما يتم على اساس الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة»^٤.

١- نفس المصدر، ج٤، ص٥٠٨.

٢- الحسين بن علي بن ابي طالب، امّة فاطمة الزهراء بضعة الرسول الاكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الإمام الثالث من ائمة الشيعة. ولد في المدينة المنورة في السنة الرابعة للهجرة (٦٢٥م). نشأ وترعرع في احضان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَرِعَايَةِ أَبِيهِ الْعَظِيمِ. مُضَّض عام ٦١هـ، ضد حكومة يزيد بن معاوية، رغم قلة انصاره. فحصلت المواجهة بين اصحابه وحيوش يزيد في ارض يقال لها كربلاء. استشهد الإمام الحسين في هذه الملحمة الدامية برفقه ابناؤه واصحابه الاثنى والسبعين، وأخذ جيش يزيد عائلته واهل بيته اسرى الى الشام.

٣- صحيفة الإمام، ج٧، ص٥٤٢.

٤- نفس المصدر، ج٥، ص١٨٧.

ينظر الإمام الخميني الى الشهادة في سبيل الله عزراً ابدياً، وفخر الاولياء، ومفتاح السعادة، ورمز النصر. ويرى الاندفاع الى الشهادة ناتجاً عن حب الله. ويقول عن قيمة الشهادة وماهيتها: «ما اشدَّ غفلة عبّاد الدنيا والجهلة، الذين يبحثون عن قيمة الشهادة ومعناها في صحائف

الطبيعة، وينشدون وصفها



في الانا شيد والملاحم والقصائد، ويستجدون في التخليل وكتاب التعقل لاكتشافها والحال ان حلّ الغزلا يتسير الا بالعشق»^١.

بمذا المنطق كان سماحته

يقول: «اقول لكم ايها الاخوة المؤمنون: ان نموت

على أيدي أميركا والاتحاد السوفيتي الجرمية ونمحي من صفحة الوجود، ونلقى الله محضيين بدمائنا مرفوعي الرأس، خير لنا من ان نعيش برفاه تحت لواء الجيش الاحمر الشرقي، والاسود الغربي»^٢.

١- نفس المصدر، ج٦، ص٤٥٣.

٢- نفس المصدر، ج٢٠، ص١٩٦.

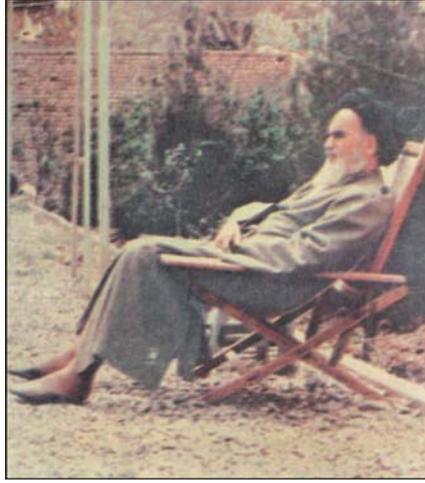
كان الإمام الخميني فيلسوفاً هلياً، وعارفاً ربانياً، وفقهياً اصولياً ومرجعاً للجماهير، وفي الوقت ذاته، زعيم الثورة الإسلامية ومؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران. كان سماعته مطلعاً على اسس الفلسفة الغربية، ومنتقناً لاسس ومباحث المنطق والفلسفة الإسلامية، في اتجاهيها المشائي والاشراقي. وربما يمكن القول أن الفكر الفلسفي للإمام يميل — الى حد ما — الى الفلسفة الشهودية والاشراقية وبالاسلوب التوفيقي الذي اتبعه الحكيم المتأله المرحوم ملاصدرا، طبعاً مع وجود بعض الاختلاف والفارق.

١- صدر المتألهين الشيرازي المشهور بالملاصدرا، التوفي عام (١٠٥٠هـ)، والذي اسس للحكمة المتعالية. ويذكر ان كلمة «الحكمة المتعالية» استخدمت من قبل ابن سينا ايضاً في كتابه «الاشارات». غير ان مدرسة ابن سينا لم تعرف قط باسم الحكمة المتعالية. وان صدر المتألهين هو الذي سمى فلسفته بالحكمة المتعالية فتميزت فلسفته بذلك.

ومدرسة صدر المتألهين الفلسفية تشبه المدرسة الاشراقية من حيث الاسلوب، بمعنى انه يعتقد بالاستدلال والكشف والشهود معاً؛ لكنها تختلف عنها من الناحية الاصولية ومن حيث الاستنتاجات. وفضلاً عما حققته مدرسة صدر المتألهين من المسائل الخلافية بين المدرسة المشائية والاشراقية، فإن المسائل الخلاقية بين الفلسفة والعرفان، او الفلسفة وعلم الكلام قد حُلّت عند صدر المتألهين تماماً. وتصدر الاشارة الى ان فلسفة صدر المتألهين ليست فلسفة التقاطية، وانما تمثل نظاماً فلسفياً خاصاً، وان كانت الاتجاهات الفكرية الإسلامية قد أثرت فيها.

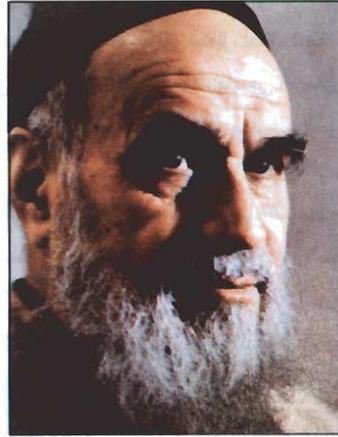
تمكن صدر المتألهين من استيعاب ما وصل من الفلسفة عن قدماء اليونان خصوصاً ما اثر عن افلاطون وارسطو، وكذلك استيعاب ما تركه حكماء المسلمين امثال الفارابي وابن سينا وشيخ

درّس الإمام الخميني الفلسفة بمستوياتها العالية لمدة خمسة عشر عاماً. وقد عدّ سماحته الفلسفة بمتزلة السبيل لمعرفة مرحلة ومرتبة من حقائق الوجود والموجودات، ومن هنا كانت نظرتة الفلسفية لحقيقة الوجود ووحدته ومراتبه، متأثرة بشدة بمشربه العرفاني.



الاشراق، وما اضافوه على الفلسفة مستعيناً على ذلك بعرفانه الكبير وقوته وهداياته الباطنية. ثم لجأ الى وضع اساس جديدة للفلسفة تستند الى اصول وقواعد محكمة وثابتة من حيث الاستدلال والبرهان. وقد تمكن من نظم مسائل الفلسفة باسلوب رياضي يعتمد فيه كل موضوع على الآخر ويستتبط منه، وبذا اخرج الفلسفة من طرق الاستدلال المتناثرة.

كان عرفان الإمام الخميني يقوم على الآيات القرآنية واحاديث أئمة الدين وتعاليم أولياء الله، وفي اطار الشرع الاسلامي المطهر. كان سماحته يعارض بشدة التصوّف السلبي الذي يروّج بأن الدين والعقيدة منحصران في الذكر والاوراد، ويدعوى الى الاعتزال والتخلي عن اداء المسؤوليات السياسية والاجتماعية. وكان سماحته يرى بأن معرفة النفس اساس لمعرفة الله، وان تهذيب نفوس البشر من الرذائل والمفاسد الاخلاقية والسعي في اكتساب الفضائل، شرط اساس لنيل معرفة الحق. كما ان بلوغ المعرفة الحقيقية والمقامات المعنوية السامية لا يتحقق الا بطي الطريق التي طواها وعلمنا اياها الانبياء العظام وحجج الله في الارض. ولهذا كان الإمام الخميني لا يجوّز الاساليب والرياضات الخارجة عن اطار الشرع المنور والاحكام الالهية. كما إنه يتنفر من القشرية والتظاهر بالقدسية والمرءآت بالعرفان.



كان الإمام الخميني يعتقد بأنه ينبغي الاستعانة في ساحة الجهاد الأكبر المخوف بالمخاطر، والسير والسلوك، وفي وادي الاسفار الاربعة بالمرشدين الحقيقيين واصحاب الكشف والكرامة الواقعيين، لا الادعاء المحترفين المزيفين. كذلك ينبغي الارتباط بالولاية العظيمة التي تمثل سفينة النجاة. فكل ما يبلغه الانسان عن غير هذا الطريق هو ضلال في ضلال. وان نفس الإمام المهذب، وروحه المتسامية، وطيه الموفق للمراحل العملية للسير والسلوك المعنوي، بجد ذاته هو ابلغ شاهد على حقانية نهجه.

نال الإمام الخميني في هذا المسير مرتبة من المقامات المعنوية والادراك الشهودي، وكان فانياً في الله حتى انه كان يناله ما يناله من الاضطراب في مقابل ادعاء الحلاجين^١: «انا الحق»؛ ليس لأن السذج من الغرباء عن العرفان كانوا قد كفروهم، بل لأنهم كانوا يرون في الوجود غير الحق ايضاً، ويدعون «الآتية» ووجود الواسطة. في حين ان الإمام يرى الحق تعالى وحده هو النور، وكل ما

١- حسين بن منصور المعروف بالحلاج. من عرفاء القرن الثالث الهجري (المتم في سنة ٣٠٩هـ. / ٩٢٢م). اعتقل بسبب ما كان يحمله من اعتقادات وظلّ سجناً عدة سنوات. ثم اصدر العلماء المعاصرون له فتوى باعدامه. فجلد ألف جلدة ثم قطعت سيقانه وحرق جسده وذُرَّ رماده في نهر دجلة. وان من ابرز الاتهامات التي وجهت اليه وبقيت عالقة في اذهان الناس، هو انه كان يقول في حال الجذبة: «أنا الحق».

عداه ظلّمة؛ والظلّمة تعني انعدام النور. والعدم لا يعد وجوداً، وان الوجود تجلّي الحق ولاشيء سواه.

كان الإمام الخميني — اضافة الى تعمقه في الفلسفة والعرفان والتفسير والاخلاق وعلم الكلام الاسلامي — مجتهداً بارزاً في الفقه والاصول، وقد درّس الفقه والاصول على اعلى المستويات اكثر من ثلاثين عاماً. ويوجد الآن فضلاً عن الكتب الفقهية والاصولية التي ألفها سماحته، العشرات من تقارير دروسه التي كتبها طلابه^١.

ومن السمات التي امتازت بها مدرسة الإمام الفقهية، هو أنه كان يؤمن بأصالة خاصة للفقه والاصول وكان يتحاشى خلط الاستنتاجات الكلامية والفلسفية والعرفانية مع الاحكام الفقهية في مرحلة استنباط الاحكام.

كان سماحته يرى بأنّ حركية الفقه والاصول من مستلزمات الرؤية الاجتهادية، وان لعنصري الزمان والمكان دوراً حيويّاً هاماً في الاجتهاد، وان عدم اخذهما بنظر الاعتبار يقود الى العجز عن درك المسائل المستحدثة والحاجات المعاصرة ويحول دون تقديم الاجوبة المناسبة لها. وفي الوقت نفسه كان سماحته يعتقد بأنّ حركية الفقه ليس بمعنى تزلزل اسلوب الاستنباط والاجتهاد المتعارف. ومن هنا كان سماحته يؤكد في توصياته الى الحوزات

١- صحيفة الإمام، ج ٢١، ص ٤٤٠.

العلمية على ضرورة اعتماد الفقه التقليدي، بمعنى حفظ اساليب ومناهج السلف الصالح في استنباط الاحكام، وكان يعتبر تخطيها آفة وخطراً عظيماً، يمهد السبيل لظهور البدع.

كان سماحته يرغب في اصلاح الحوزات العلمية وتطويرها في هذا الاطار، وكان سماحته يعد من الرواد في هذا المضمار. لقد مهد سماحته الطريق — من خلال اصداره للفتاوى الثورية — امام المجتهدين لتغيير افق نظرهم لتتسع للمسائل الحيوية والاساسية للمجتمع، واثبت — من خلال احيائه للابواب المنسية في الفقه — اهمية عنصري الزمان والمكان في الاجتهاد^١.

يقول سماحته: «إن الحكومة بنظر المجتهد الحقيقي، هي



تعبير عن الفلسفة العلمية للفقه جميعاً في مختلف زوايا الحياة البشرية. الحكومة ترجمة عملية للفقه في تعامله مع جميع المعضلات الاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية.

فالفقه نظرية واقعية وكاملة لادارة حياة الانسان من المهد الى اللحد»^١.

وعلى اساس هذه النظرة، طرح الإمام الخميني آراءه المتمثلة في «اقامة الحكومة الإسلامية على اساس ولاية الفقيه في زمن الغيبة» وجاهد من اجل تحقيقها سنوات طوال. ورغم ان نظرية ولاية الفقيه عموماً (بغض النظر عن اختلاف الآراء في حدود صلاحيات الولي الفقيه) تعتبر أمراً اتفقت عليه اراء فقهاء الشيعة، الا ان ابعادها لم تتعرض للبحث ولم تتح لها الفرصة للتحقيق العملي نتيجة عدم توفر الظروف المناسبة في الماضي. وعليه فان الإمام الخميني يعدُّ أول فقيه نجح بعد قرون في تشكيل الحكومة الدينية المبنية على اساس قيادة المجتهد الجامع للشروط، التي من سماتها: التهذيب وصيانة النفس، والتدبير والقدرة على ادارة المجتمع، والشجاعة والعدالة والخبرة والاجتهاد في الاحكام الإلهية. يقول سماحته: «الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون الالهي على الناس»^٢.

في عقيدة الإمام، إن الحكومة الإسلامية — بغض النظر عن التباين في الاهداف والغايات — تختلف عن الانظمة السياسية المعاصرة من حيث تشكيلاتها واركائها ايضاً. ففي نظرية الحكومة الإسلامية تجد «الاکثرية» مشروعيتها على

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

اساس «الحق»؛ وتبعاً لذلك فإن وجوب أعمال الولاية منوط بتوافر شروطها — التي من جملتها قبول الرأي العام — الذي يتجلى بالانتخاب المباشر المتعارف أو عن طريق اختيار الخبراء — وهم منتخبو الشعب^١ ..

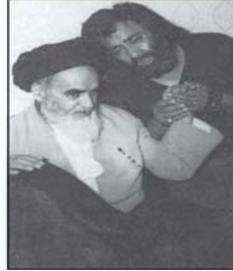
وعلى هذا الاساس فإن من الطبيعي ان تكون العلاقة بين القائد والحكومة الإسلامية من جهة والجماهير من جهة اخرى، علاقة عميقة واعتقادية، ولهذا كانت الحكومة التي اقامها الإمام وقادها، من اكثر انواع الحكومات جماهيرية وشعبية. ففي هذا الحكومة - وخلافاً لجميع الانظمة السياسية الموجودة في العالم — لا تنتهي مسؤولية الجماهير بعد اداء دورها في تعيين القائد واجراء الانتخابات، بل ان حضورها في ميدان إدارة المجتمع الاسلامي والمساهمة في النظام الاسلامي يُضمن لها بوصفه تكليفاً شرعياً. فمن وجهة نظر الإمام الخميني إن الحكومة الإسلامية انما تستند الي العلاقة والثقة المتبادلة بين الجماهير والقائد الصالح، لذا يقول سماحته: «اذ مارس الفقيه نوعاً من الاستبداد في أمرٍ ما، يسقط عنه مقام الولاية»، «ان القائد والقيادة ليست بالامور المهمة للفرد في حدّ ذاتها في الاديان السماوية وفي الاسلام العظيم، حتى تدفع الانسان — لا سمح الله — الى الغرور والعجب». ^٢ من هذا المنطلق كان سماحته يقول:

١- نفس المصدر، ج ٩، ص ٤٢٥.

٢- نفس المصدر، ج ١٠، ص ٧٢.

«أن يعتوني بخادم الشعب افضل من ان ينادوني بالقائد، فالمسألة ليست مسألة قيادة، المهم هو الخدمة، لقد كلفنا الاسلام بالخدمة»^١.. «ابي اخ لأبناء الشعب الايراني، واعتبر نفسي خادماً وجندياً لهم»^٢.. «شيء واحد يحكم في الاسلام وهو القانون. في زمن النبي الاكرم ايضاً كان القانون هو الحاكم، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْفَذ القانون»^٣.

يقول الإمام الخميني مخاطباً الحكومات التي ترى



١- نفس المصدر، ج ١٨، ص ٦.

٢- نفس المصدر، ج ١٠، ص ٤٦٣.

٣- نفس المصدر، ج ٥، ص ٣٥٤.

الحكم لها وحدها وانها افضل من الجماهير: «الحكومات اقلية ينبغي ان تكون في خدمة شعوبها، وان هؤلاء لا يعون أنه ينبغي للحكومة ان تكون خادمة للشعب، لا حاكماً عليه»^١.. «ان وعي الجماهير ومشاركتها في نشاطات حكومتها المنتخبة، وممارسة الاشراف عليها والانسجام معها، يعدُّ بحدِّ ذاته اكبر ضماناً لحفظ الامن في المجتمع»^٢.

ان الفارق واضح بين هذه النظرية فيما يخص الحكومة والامن القومي والاجتماعي، والنظريات التي ترى — حتى في اكثر الانظمة السياسية ديمقراطيةً — بأن الدولة والحكومة لا تعرف المصادقية إلا من خلال «القوة» ووسائلها واساليبها. ومن هنا ترى ايضاً ان اهم ركن للأمن الاجتماعي انما يكمن في هذه القدرة. يقول الإمام الخميني: «ان آية قوة مهما عظمت معرضة للسقوط اذا ما حرمت الدعم الشعبي»^٣.

ان سقوط النظام الشيوعي — الذي كان يبدو قوياً — من جهة، واستقرار نظام الجمهورية الإسلامية في إيران وثباته — رغم عداء اعنى قوى العالم لها، ورغم دخولها في

١- نفس المصدر، ج ١١، ص ٥٢٢.

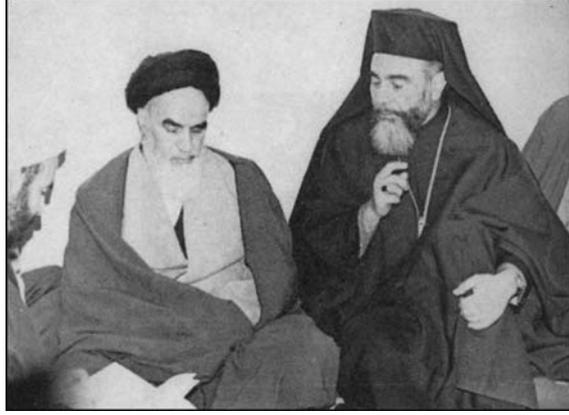
٢- نفس المصدر، ص ٨٩.

٣- نفس المصدر، ج ٤، ص ٢٤٨.

حرب دامت ثمانية اعوام — من جهة اخرى، يعدُّ بحدِّ ذاته انصاع دليل واقوى شاهد على صحة نظرية الإمام الخميني. بديهيُّ أن نظرية الإمام الخميني بشأن الحكومة الإسلامية ودور وموقع الجماهير فيها، لا ربط له بتاتاً بالقومية بالمصطلح الشائع في الثقافة السياسية للعالم. بل هي على النقيض منها تماماً.

فالقومية التي تظهر احياناً كأيديولوجية، تنتهي — وبغض النظر عن عجزها على الصعيد العملي — الى نظام يعادي القيم والمبادئ الانسانية. ذلك لأن رؤية كهذه، اذا ما طرحت التصورات القومية لأي شعب كحقائق ينبغي الدفاع عنها، فهذا يعني أنه لا توجد حقائق وقيم ثابتة، وستكون هناك من الحقائق والقيم بعدد الشعوب والحدود الجغرافية والسياسية المتغيرة، وان مصطلحات كالعدالة والسلام والحرية ستتعدد ايضاً بتعدد الشعوب، وتغير وتتضاد بشكل مستمر. ومن الطبيعي في مثل هذه الظروف ان يرى الشعب الذي يتمتع بقدر اكبر من القدرة — لمختلف الاسباب — أن من حقه المشروع التسلط على الشعوب الاكثر ضعفاً. ذلك أن القومية المتطرفة، لا تعتقد سوى بتفوق العنصر أو اللون أو اللغة أو الموقع الجغرافي والتاريخي. أما الإمام الخميني — واستناداً للشواهد التاريخية — فقد كان يعتقد بأن ترويج (القومية) و(الشعوبية)، وتأسيس حركات داعية للقومية العربية

والتركية والفارسية وامثالها في العالم الثالث وفي البلدان الإسلامية، انما نتج عن محاولات المستعمرين ومساعدتهم لتجزئة البلدان وبث الفرقة والاختلاف بينها، وفرض تسلطهم عليها.



يقول سماحته: «إن هدف القوى الكبرى وعملائها في البلدان الإسلامية، يتمثل في بثّ الفرقة بين المسلمين — الذين آخى الله بينهم وسمى المؤمنين منهم بالإخوة — وفصلهم عن بعضهم باسم الشعب التركي؛ الشعب الكردي؛ الشعب العربي؛ الشعب الفارسي، بل وإيجاد العداوة بينهم. ومثل هذا يتناقض مع نهج الإسلام والقرآن الكريم تماماً»^١. ولهذا حرص الإمام الخميني على القول: «إن نهضتنا إسلامية قبل ان تكون إيرانية»^٢.



يرى الإمام الخميني أنّ استقرار السلام الواقعي في العالم مع وجود القوى المتسلطة المستكبرة، والقبول بوجودها

١- نفس المصدر، ج٧، ص٥١١.

٢- نفس المصدر، ج١٣، ص٤٤٣.

وتسلطها، ليس أكثر من خيال محض؛ يقول سماحته: «ان الامن والسلام العالميين منوطان بزوال المستكبرين، فما دام هؤلاء المتسلطون المتوحشون على هذه الارض، لن ينال المستضعفون ارثهم الذي وعدهم الله تعالى به»^١. «انه يوم مبارك، ذلك اليوم الذي تزول فيه سلطة الناهبين الدوليين على شعبنا المظلوم وسائر الشعوب المستضعفة، وتتمكن الشعوب من استعادة حقها في تقرير مصيرها»^٢. «ربما تلحق اميركا هزيمة بنا، ولكنها لن تتمكن من دحر ثورتنا، لذا فإني واثق من انتصارنا، ان الحكومة الأميركية لا تدرك معنى الشهادة»^٣.

يقول الإمام الخميني عن ماهية ومنشأ الكيان الاسرائيلي الغاصب: «ان اميركا - الارهابية بالطبع - هي التي اضرمت النار في العالم بأسره. وان ربيبها الصهيونية العالمية، هي التي ارتكبت - لتحقيق اهدافها - جرائم تأنف الاقلام والألسن عن كتابتها وذكرها»^٤. «ان اسرائيل غاصبة ومعتدية بنظر الاسلام والمسلمين،

١- نفس المصدر، ج ١١، ص ١١٠.

٢- نفس المصدر، ج ١٢، ص ١٤٤.

٣- نفس المصدر، ج ١٤، ص ٢٢٦.

٤- نفس المصدر، ج ١٢، ص ٣٦.

واستناداً الى جميع الموازين الدولية»^١. «انني اعتبر الاعتراف الرسمي باسرائيل فاجعة بالنسبة للمسلمين، وانفجاراً بالنسبة للدول الإسلامية»^٢.

لقد اعلن الإمام الخميني بعد انتصار الثورة الإسلامية، آخر جمعة من شهر رمضان المبارك يوماً عالمياً للقدس، وطالب جميع المسلمين بتنظيم المظاهرات والاعلان عن تضامنهم مع المجاهدين الفلسطينيين في ذلك اليوم من كل عام، ما دامت القدس رازحة في قيود أعداء الاسلام. يعتقد الإمام الخميني بأنّ الطريق الوحيد لتحرير القدس والقضاء التام على اسرائيل، يتمثل في الإيمان بالله واللجوء الى الشهادة والجهاد المسلح.

١- نفس المصدر، ج ٢١، ص ٣٩٨.

٢- نفس المصدر، ج ٥، ص ٣٠٥-٣٠٦.



يقول الإمام الخميني عن الشيوعية: «منذ بداية ظهور الشيوعية، كان ادعياؤها من اشدّ الحكومات استبداداً وتسلطاً في العالم»^١. ويقول سماحته عن التقدم الغربي: «اننا نقبل التقدم الذي حققه الغرب، ولكننا نرفض الفساد الغربي الذي يتنوّن هم انفسهم من آثاره المخربة»^٢. «التربية الغربية مجرد الانسان من انسانيته»^٣. «اننا لا نعارض الحضارة، وانما نعارض

١- نفس المصدر، ج ١٦، ص ٢٩٣.

٢- نفس المصدر، ج ٢١، ص ٤٣٩.

٣- نفس المصدر، ج ٤٤، ص ٥٠٨.

الحضارة المستوردة»^١. «اننا نريد حضارة تقوم على اساس العزة والانسانية»^٢.

لقد اكد الإمام مراراً على الدور الاساسي للثقافة، وكان يقول: الثقافة هي منطلق سعادة أي شعب أو تعاسته^٣. ان ما يبني الشعوب هو الثقافة الصحيحة^٤. إن الشيع الحيواني ليس هو الملاك، الملاك هو كرامة الانسان^٥. «ما دام الانسان يصر على مواصلة حياته تحت ظل السلاح، فليس بمقدوره ان يكون انساناً، ولن يتمكن من بلوغ الاهداف الانسانية»^٦. «احرصوا من خلال البيان والقلم ان تضعوا الاسلحة جانباً. الميدان ميدان صراع بالاقلام والعلوم والفكر»^٧.

يرى الإمام الخميني أن الفن المسخر لخدمة الاستعمار والاستغلال، و«الفن من اجل الفن»، امرٌ سلمي يفتقد الى أية قيمة؛ يقول سماحته: «الفن في العرفان الاسلامي تجلٍ للعدالة والعزة والانصاف، وتجسيد لمرارة الجوع التي

١- نفس المصدر، ج٨، ص٩٥.

٢- نفس المصدر، ج١٢، ص٢٥.

٣- نفس المصدر، ج١٥، ص٣٤٠.

٤- نفس المصدر، ج٣، ص٣٠٦.

٥- نفس المصدر، ج١٧، ص١٥٣.

٦- نفس المصدر، ج١٨، ص١٣٢.

٧- نفس المصدر، ج١٣، ص٤٤٨.

يعاني منها المغضوب عليهم من قبل اصحاب القدرة
والمال»^١.

كان الإمام الخميني استاذاً نموذجياً في حقل التعليم
والتربية سواء في المجال النظري أو العملي. لقد نجح
باساليبه التربوية في دفع مجتمعه الى الانسجام مع هضبة
دينية كبرى، بعد ان كان قد جرّ بفعل جرائم العائلة
البهلوية الخائنة وعملاء الفكر الغربي، نحو ثقافة وقيم
منحطة، وروّض على اللابالية وعدم الاكثارات.

نقلوا أنه خلال احداث الخامس من حزيران عام
١٩٦٣، وفي تلك الظروف الاجتماعية المؤسفة واحواء
الكبت، قال بعضهم لسماحته: بأي افراد وأي أمل تتطلع
لاقامة حكومة العدل؟ فأشار سماحته الى مهدٍ ينام فيه طفل
صغير^٢. والعجيب المدهش ان الدور الاساسي في احداث

الثورة بعد خمسة عشر عاماً
من تاريخ تلك الحادثة، قام
به الطلاب والتلاميذ
المسلمون الايرانيون!

كان الإمام يعتقد بأنّ
مراقبة النفس والسعي
الدؤوب في تهذيبها من



١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر، ج ٢١، ص ١٤٥.

الاهواء النفسانية والشيطانية في جميع مراحل الحياة يعدُّ ضرورة لبلوغ الكمال الحقيقي، وكان يعتقد بأن التربية يجب ان تبدأ منذ الطفولة، حتى المراحل الثانوية منها يجب أن لا تغيب عن نظر الام. لذا كان يقول: «لا يوجد عمل اشرف من الامومة»^١. «ان أول مدرسة للطفل هي حضان الام»^٢.

كان الإمام يقول لمربي المجتمع: «انتهوا الى ان المرحلة المدرسية اهم من المرحلة الجامعية، ذلك لأن النمو العقلي للاطفال انما يتشكل في تلك المرحلة»^٣. «ان المعلم مؤتمن على شيء يختلف عن كل الامانات، انه مؤتمن على الانسان»^٤. «ان جميع اشكال السعادة والشقاء انما تنبعث من المدارس ومفتاح ذلك بايدي المعلمين»^٥.

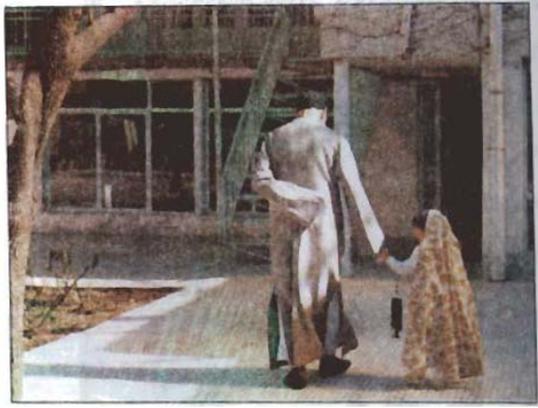
١- انظر: حكيمي، محمد رضا، آواي روزها.

٢- صحيفة الإمام، ج٧، ص٤٤٧.

٣- نفس المصدر، ص٢٨٣.

٤- نفس المصدر، ج١٩، ص١٨٩.

٥- نفس المصدر، ج١٤، ص٣٥.



يرى الإمام أن التعليم عمل الانبياء، واهم مسؤولية تقع على عاتق المعلم — بغض النظر عن تقديم العلوم المختلفة — هي هدايته المجتمع نحو الله.

الإمام يسمي الانسان «عصارة جميع موجودات العالم»، ويقول: «الانسان اعجوبة، فمنه يمكن أن يصنع موجود اهي ملكوتي أو موجود جهنمي شيطاني»^١.

ويقول: «بتربية الانسان يصلح العالم»^٢ كما انه يعتبر التربية والتزكية مقدمة على التعليم، ويرى بأن المتعلم اذا لم يقرن تعلمه بتزكية النفس فإنه يصبح — رغم سمو العلم — مثل الآلة في خدمة الاهداف الشيطانية. وكان يقول: «اذا

١- نفس المصدر، ج٧، ص٤٢٩.

٢- نفس المصدر، ج١٣، ص٢٨٥.

دخل العلم قلباً قاسياً، أو عقلاً فاسداً من الناحية
الاخلاقية، فإن ضرره اشدُّ من الجهل»^١.



ان احد اهم منجزات نهضة الإمام الخميني في إيران،
تمثل في استعادة المرأة لدورها الفعال في المجال
الاجتماعي. ويمكن القول بجرأة أن المرأة الايرانية لم تبلغ
طوال التاريخ الايراني هذا المستوى من الوعي السياسي
العام، ولم يكن لها مثل دورها الآن في تقرير مصير البلاد.
ففي ذروة انتفاضة الشعب ضد النظام الشاهنشاهي، كانت
المرأة تتقدم جنباً الى جنب الرجل، بل وفي طليعته. وطوال
الحرب العراقية المفروضة؛ قامت النساء المسلمات في ايران
بدور لا نظير له في الحروب المعاصرة، وذلك من خلال

١- نفس المصدر، ج١٤، ص١٥٣.

تهيئة الامكانيات لجبهات الحرب، وتشجيع اخوانهن وازواجهن على المشاركة في الدفاع عن الاسلام والثورة، بل حتى المشاركة المباشرة في توفير ما تحتاجه الخطوط الامامية للجبهة.

والآن ايضاً، فإن المرأة في المجتمع الايراني تؤدي دورها جنباً الى جنب الرجل في النشاطات الاجتماعية وفي حقل التربية والتعليم، والجامعات، والمجالات الصحية وفي الدوائر الحكومية وسائر المجالات.



في حين ان النساء قبل انتصار الثورة الإسلامية — ونتيجة للمحيط الفاسد الموبوء الذي أوجده النظام الملكي البائد — كن مضطرات لالتزام المنزل، وكانت الكثير من الفتيات — خصوصاً في

القرى — محرومات من نعمة التعليم. أما أولئك اللاتي كانت الفرص متاحة لهن في المدن الكبيرة لممارسة دورهن في النشاطات الاجتماعية، فقد انشغلن في مواجهة هجوم الثقافة المنحطة في ظروف غاية في التعقيد، للدفاع عن شرفهن وعفتهم، في حين اضطرت الاخريات الى ترك العمل والدراسة بسبب ذلك.

ان التحول الذي شهده المجتمع النسوي الايراني، مرهون وقبل كل شيء بنظرة الإمام الخميني الخاصة الى شخصية ومثلة المرأة ودفاعه عن حقوقها. يقول سماحته:

«ان للمرأة في النظام الاسلامي الحقوق نفسها التي للرجل، بما في ذلك حق الدراسة، وحق العمل، وحق التملك، وحق التصويت، وحق الترشيح»^١.. «لا يوجد فرق بين الرجل والمرأة من ناحية الحقوق البشرية، ذلك لأن كليهما انسان، وللمرأة الحق في تقرير مصيرها كالرجل تماماً»^٢. ويقول سماحته: «ان ما يعارضه الاسلام ويعده حراماً هو الفساد، سواء كان من قبل المرأة او الرجل»^٣.. «اننا نريد المرأة ان تتسنى موقعها الانساني السامي، لا ان تكون ملعبة... الاسلام لا يريد للمرأة ان تكون شيئاً أو دمية بيد الرجال، الاسلام يريد حفظ شخصية المرأة ويهدف أن يخلق منها انساناً جاداً»^٤... «ان المرأة كالرجل حرة في اختيار مصيرها ونوع نشاطها»^٥... «ان الحرية بالنمط الغربي — الذي يقود

١- نفس المصدر، ج١٦، ص ٥٠١.

٢- نفس المصدر، ج٥، ص١٨٩.

٣- نفس المصدر، ج٤، ص٣٦٤.

٤- نفس المصدر، ج٥، ص٢٩٣.

٥- نفس المصدر، ج٦، ص٣٠٠.

٦- نفس المصدر، ج٥، ص٢٩٤.

الى ضياع الشبان والفتية والفتيات — مرفوضة بنظر الاسلام والعقل»^١.

أما على الصعيد الاقتصادي فقد كانت توصيات الامام وموافقة تؤكد بشكل عام على تطبيق العدالة ومنح الاولوية لحقوق المحرومين والمستضعفين في المجتمع^٢. اذ ان سماحته كان ينعى خدمة المحرومين بأنها «اعظم العبادات» ويعتبر المحرومين أولياء نعمته ونعمته المجتمع، وان اكثر ما اوصى به الامام مسؤولي النظام الاسلامي، هو الاهتمام بشؤون الفقراء وتجنب اخلاق المترفين، وكان سماحته يعتقد بأن الحكومة والمسؤولين خدام للشعب، ولا حق للخدام ان يطالب بامكانات تفوق مخدوميه. يقول سماحته: «ان شعرة



من رأس أحد سكة الاكواخ والاقبية ومنجي الشهداء، اشرف واعز من جميع القصور وسكانها».. «ان من هم معنا الى آخر الشوط هم اولئك الذين تذوقوا طعم الفقر والخرومية والاستضعاف»^٣.. «في

١- نفس المصدر، ج٣، ص٣٧٠.

٢- نفس المصدر، ج٢١، ص٤٣٥-٤٣٦.

٣- نفس المصدر، ج٢٠، ص٣٤٢.

اليوم الذي تتوجه حكومتنا للاهتمام بالقصور الفخمة، علينا ان نقرأ الفاتحة على الحكومة والشعب معاً»^١.

من سمات الامام الخميني البارزة هي ان حديثه ينبع دوماً من اعتقاده الراسخ بما يقول وصدق ما يقول، وترجمته ما يقول. إذ كانت حياة الامام نموذجاً في الزهد والقناعة والبساطة. ومثل هذا لا يقتصر على عهد مرجعيته وقيادته فقط وانما يمتد الى عهد حكومته، فهو يرى ان على القائد أن يعيش حياة بسيطة كحياة ابسط طبقات المجتمع، بل حتى دون ذلك. وقد اصرَّ طوال عمره المبارك على الحياة الزاهدة. ورغم ان ذكريات وخواطر كثيرة كتبت ونشرت عن هذا الجانب من حياة الإمام، وان ذكرها يتطلب كتاباً ضخماً إلا أنه ما زال الكثير من ابعاد زهده



وبساطة حياته مجهولاً حتى الآن.

١- نفس المصدر، ج ٢١، ص ٨٦.

٢- نفس المصدر، ج ١٧، ص ٣٧٦.

ولتوضيح بساطة حياة الامام الخميني واعتقاده بضرورة الاحتياط الكامل في إنفاق بيت المال، يكفي ان نذكر ان المادة ١٤٢ من الدستور— التي اقترحت من قبل الإمام — تنص على ان ديوان القضاء العالي (المحكمة العليا في البلاد) مسؤول عن حصر وتشخيص ممتلكات القائد والمسؤولين الحكوميين الرفيعة المستوى قبل وبعد تصديهم للمسؤولية،

لضبط أية زيادة تطراً عليها دون

حق. وقد بادر الإمام الخميني

بتسجيل كافة ممتلكاته البسيطة

في كشف رسمي بتاريخ

١٩٨١/١/١٤ وسلمها (الديوان

القضاء العالي) ثم وبعد وفاته

مباشرة، طالب بحله — من

خلال رسالة نشرتها الصحف



المحلية— السلطة القضائية، باعادة حصر وتشخيص ممتلكات الإمام مجدداً طبقاً للدستور.

وفي ١٩٨٩/٧/٢ اعلنت نتيجة الحصر^١ في بيان

اصدره رئيس المحكمة العليا صرح فيه: بأن ممتلكات

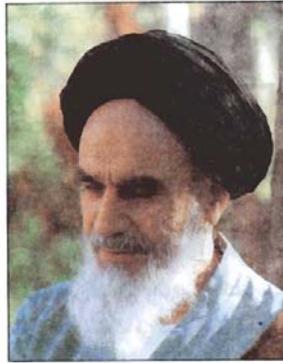
الإمام الخميني البسيطة لم تبق على حالها وحسب، بل

انها نقصت عما كانت عليه، فقطعة الارض التي كان قد

١- انظر: الصحف الرسمية، ٢٧ حزيران ١٩٨٩م.

ورثها عن ابيه في خمين، وهبها في حياته الى الفقراء في منطقتة، فخرجت من ملكيته وامواله غير المنقولة تتمثل في المنزل القديم الذي يمتلكه في قم، والذي كان منذ عام ١٩٦٤ — عام بدء النهضة — في خدمة اهداف النهضة، ومركزاً لتجمع الطلبة والمراجعين من ابناء الشعب وما زال حتى الآن يفقد صفة كونه مسكناً.

كما ذكر في الكشف المذكور — الذي تم تنظيمه عام ١٩٨١ واعلن عنه رسمياً بعد وفاته — بأن ممتلكات الامام تشمل الآتي: عدداً من الكتب، بعض الوسائل الاولية المستعملة التي كانت في منزله وهي تخص زوجته، قطعتين



من السجاد المستعمل (وقد أوصى باعطائها للفقراء بعد وفاته) كما اشير الى عدم وجود اثاث شخصي، وعدم وجود اموال شخصية، وإن وجد مال فهو من

الحقوق الشرعية التي يقدمها المسلمون الى الإمام لانفاقها في مواردها الشرعية المعينة، ولا حق للورثة فيها. وعليه فإن ما ورثه هذا الرجل — الذي عمّر ما يناهز التسعين عاماً، وعاش يتمتع باقصى درجات المحبوبة من قبل الناس — يشمل ما يلي: نظارات، فراطة اظافر،

مشط، مسبحة مصحف وسجادة صلاة وعمامة وثيابه الخاصة، ومجموعة كتب في مختلف العلوم الدينية.

ذلك كشف بممتلكات رجل لم يكن قائداً لبلدٍ نفطي غني يبلغ تعداد سكانه عشرات الملايين فحسب، بل انه كان حاكماً على قلوب الملايين من الناس، ممن وقفوا في صفوفٍ طويلة ليتطوعوا للشهادة حينما اصدر اوامره بتشكيل قوات التعبئة للدفاع عن الاسلام. وهم انفسهم كتبوا الرسائل أو تجمعوا امام المستشفى التي رقد فيها الإمام معلنين استعدادهم للتبرع بقلوبهم لسماحته.

ان سرّ كل هذه المحبوبة يجب ان يُبحث عنه في ذلك الإيمان الحقيقي والزهد والصدق.

كان الإمام الخميني يعتقد بشدّة بأهمية البرمجة لجوانب حياته وبالنظم والانضباط . فهو يتوجه للعبادة وذكر الحق وقراءة القرآن والدعاء والمطالعة في ساعات محددة من الليل والنهار. كما ان ممارسة المشي والانشغال بالذكر والتفكير كانت جزءاً من برنامجة اليومي. كان جدول اعماله حافلاً يفوق العديد من القادة السياسيين — رغم اقترابه من التسعين من العمر— ولم يكن يستغني عن الخدمة في سبيل الله تعالى، وخدمة المجتمع الاسلامي، وحل مشكلاته، حتى في اشدّ الحوادث تعقيداً. وعلاوة على ممارسته المطالعة يومياً، كان يطلع على اهم الاخبار والتقارير والصحف والمجلات الرسمية للبلاد وعشرات

الملفات الخبرية، ويستمع الى اخبار الاذاعة والتلفزيون الايرانية، والى التحليلات والتقارير والاخبار التي تذييعها الاذاعات الاجنبية باللغة الفارسية ليلاً، وعلى مختلف ساعات الليل، ليكون صورة عن الاعلام المعادي للثورة، ويفكر في طريق مواجهته.

كذلك فإن ازدحام جدول اعماله اليومي وعقد الاجتماعات مع مسؤولي النظام الإسلامي، لم يحل ابداً دون ارتباطه بالجماهير البسطاء معين الثورة الإسلامية. وقد تمّ جمع ما يزيد على (٣٧٠٠) لقاء له مع الجماهير في كتاب سمي «مخضر النور»^١ وذلك في السنوات التي تلت انتصار الثورة الإسلامية فحسب، الأمر الذي يوضح عمق علاقة الإمام بجماهيره. لم يتخذ الإمام أي قرار يتعلق بمصير مجتمعه ما لم يطرحه بصدق مع ابناء الشعب. إذ كان يرى ان الجماهير تمثل اهم شريحة محترمة لمعرفة الحقائق.

وجه ذوملامح وسيمة عطوفة وتعابير حازمة. نظرات مفعمة بالجادبية فياضة بالمعنوية. حينما تجلس الجماهير في محضره تغرق دون اختيارها في جاذبية معنويته، فتنتطلق الدموع من عيون اكثر الحاضرين لارادياً. ان للجماهير الايرانية الحق في دعائها الذي تعارفت عليه بعد انتصار الثورة من التضرع الى الله بتحويل اعمارها الى لحظات

١- مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، مخضر نور (فهرس لقاءات الإمام

تضاف الى عمر الإمام. فإذا كان العالم البعيد عن المعنويات قد غاب عنه ذلك، فان هؤلاء — وهم الذين نشأوا مع الإمام — يعرفون عملياً قدر اللحظات في عمر هذا العزيز، حيث أوقف حياته لله وللخدمة خلق الله.

ومع ان عالم الاستكبار ووسائل الاعلام الغربية قد ارتكبت ظلماً كبيراً بحق الإمام الخميني — وقبله بحق البشرية جمعاء — وشتت لسنوات حملة مكثفة من الاعلام المضلل للنيل من شخصية الامام وثورته الإسلامية، وحتى انها ما زالت تواصل هجمتها هذا رغم مرور اعوام على رحيله، فان عشرات المحطات الاذاعية والتلفزيونية تبث اليوم برامجها المعادية للثورة ولاهداف الإمام باللغة الفارسية ليل نهار، ورغم ان امكانات هائلة قد وضعت في اميركا واوروبا تحت تصرف الفئات المعادية للثورة بدءاً من انصار الملكية وانتهاءً باليساريين ومجاهدي خلق (المنافقين)، ورغم انها سمحت — ولا تزال — سنوياً بنشر عشرات الكتب ومئات المقالات والمنشورات لقلب الحقائق المتعلقة بنهضة الإمام الخميني، إلا اننا واثقون تماماً ان شمس الحقيقة ستبدد سُحب الخداع والتضليل.

لقد نجح العالم الغربي — الذي اقام وجوده منذ عدة قرون والى الآن على السعي في إحكام سلطته على سائر الشعوب واستغلالها، وخداع الرأي العام العالمي — في ادراك الخطر الحقيقي الذي يهدده. وإلا فاي حراً اطلع على

حياة الإمام الخميني وبياناته ثم لم يسلم قلبه طواعية للسب
على نهجه، ولم ينتفض بوجه هذا النظام الحاكم على هذا
العالم؟

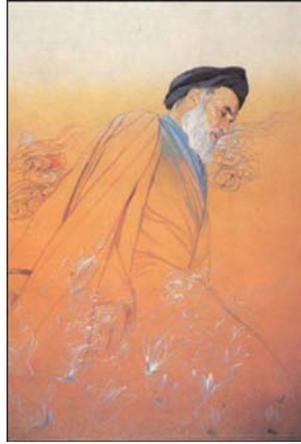
حقاً لماذا يمنعون نشر ومطالعة وصية الإمام الخميني
والكثير من آثاره وبياناته وخطاباته الأخرى في أغلب
الدول العربية والإسلامية التي تعيش تحت سلطة الحكومات
العملية؟ ويعتبرونه جرمًا يطاله القانون؟ ولماذا كل هذا
الدأب والتنسيق على مستوى قادة العديد من الحكومات
للسيطرة على تسرب مفاهيم وافكار الإمام الخميني؟ ألم
يكن سماحته يدافع عن الحقائق والقيم التي عانت البشرية
قروناً بسبب فقدانها؟

ان كل من تعرف على حياة الإمام الكريمة الطيبة،
وسمع بندائه وعرف شخصيته، يثق تماماً ان المشعل الذي
حمله سماحته لن يخبورغم كل هذا الصخب المعادي
واعاصير التشويه والتحريف للحقائق «وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^١.

□ رحيل الإمام الخميني: وصال المحبوب، وفراق الاحبة

لقد بلغ الإمام الخميني قولاً — وممارس عملياً — جميع الاهداف والتطلعات وكل ما كان ينبغي له قوله أو فعله، بل سخر على الصعيد العملي كل وجوده من اجل تحقيق هذه الاهداف. والآن — وعلى اعتاب منتصف خرداد عام ١٣٦٨هـ. (اوائل حزيران ١٩٨٩م) — اعدّ الإمام نفسه للقاء عزيز افنى عمره لكسب رضاه. ولم يحن قامته لغيره ولم تبك عيناه لسواه، وان كل اناشيده العرفانية كانت تحكي ألم فراق المحبوب وبيان تشوقه للحظة وصاله. وهما قد زفت الآن لحظة الوصال المؤنسة له والعصيبة لانصاره ومحبيه، فقد كتب في وصيته يقول: «بفؤاد وادع وقلب مطمئن ونفس مبتهجة وضمير يؤمل فضل الله، استودعكم ايها الاخوة والاخوات أرحل الى مقري الابددي. وأنا بحاجة مبرمة الى صالح دعائكم. واسأل الله الرحمن الرحيم أن يقبل عذري في نقص الخدمة وفي القصور والتقصير. وارجومن ابناء الشعب أن يقبلوا عذري في كل نقص وقصور وتقصير. وأن يسيروا قدماً بعزم ومضاء»^١.

وحيثما تقف الجماهير المحبة للإمام جنب ضريحه، فإنها تتمم بهذه العبارات المتواضعة لتجيب سماحته قائلة: «أيها الإمام! عن أيّ قصور أو تقصير نتحدث؟ فعلى حدّ علمنا وعلم آبائنا، وطبقاً لما رأينا وسمعنا، انك كنت



صالحاً ونوراً وطهراً
خالصاً «اشهد انك قد
اقمت الصلاة وآتيت
الزكاة وأمرت بالمعروف
ونهيته عن المنكر
وجاهدت في الله حق
جهاده»

الغريب ان الإمام الخميني قال في احدى قصائده التي

نظمها قبل سنوات من وفاته:

تمر السنون وتتوالى الحوادث

وانا انتظر الفرج في منتصف خرداد^١

وتتحدث الايات التي سبقت هذا البيت عن ألم

المحجران والأمل بتحقيق لحظة الوصال.

وها هي لحظة وصال المحبوب قد حانت في النصف من

خرداد عام ١٩٨٩م.

١- ديوان الإمام الخميني (الفارسي)، ص ١٥٤.



قبل ايام معدودة من
رحيله، علمت الجماهير
بمرض الإمام وما اجري له
من عملية جراحية. ان
الوضع الروحي للجماهير
في تلك الايام يعجز
الانسان حقاً عن وصفه،
فمراسم الدعاء والتوسل
تجري في كل حذب

وصوب، في المنازل والحسينيات والتكايا والمساجد وفي
مختلف أنحاء البلاد، بل في كل مكانٍ من العالم وجد فيه
محب للإمام. ولعلك في تلك الايام لاتكاد ترى احداً
بمقدوره خفاء آثار الحزن والغم عن محياه. العيون باكية،
والقلوب متعلقة بجماران.. الساعات تمرّ ببطء شديد،
وإيران كلها تلهج بالدعاء. الفريق الطبي المشرف على
علاج الإمام استنفد ما في وسعه، غير ان ارادة الله تدفع
المقادير باتجاه آخر: «يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * الرجعي الى
رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً»^١.

في تمام الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة قبيل
منتصف الليل، من الثالث عشر من حرداد ١٣٦٨

(حزيران ١٩٨٩م) حانت لحظة الوصال. وتوقف القلب الذي اضاء قلوب الملايين بنور الله والمعنوية.



في الأيام التي لازم فيها سماحته فراش المستشفى. وضع محبوالامام عدسة خفة تصور الإمام في تلك الايام، واثناء العملية الجراحية، ولحظة التحاقا بالرفيق الاعلى. وحينما بثّ التلفزيون الايراني جانباً من حالات الإمام المعنوية والاطمئنان الذي كان عليه، كادت القلوب تتفجر من الشوق، بما يعجز ايّ وصف عن التعبير عنه.

كانت الشفتان في ذكر دائم، وفي آخر ليلة من عمره الشريف وبينما كانت عدّة حقن من المواد المغذية موصولة بذراعيه، قام ليلتها يؤدي نافلة الليل ويتلو القرآن. بدت على محياه في الساعات الاخيرة طمأنينة وهدوء ملكوتيان وكان يتمم بصورة دائمة بالشهادة بوحدانية الله ويقر باعتقاد برسالة النبي الاكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى عَرَجَتْ رُوْحَهُ الْعَظِيمَةَ إِلَى الْمَلَكُوتِ الْعَلِيِّ. فكانت الراحلة التي خلّفت في القلوب ناراً لا تتمد.

ولما أذيع خبر رحيل الإمام، حدث ما يشبه الزلزال العظيم، فتفجرت الاحزان وانفجرت العيون بالدموع في إيران وفي كل مكان وجد فيه من عرف الامام ونهل من فيض هدايته. وراح المحبون يلطمون الرؤوس والوجوه، بما تعجز الاقلام، بل يعجز أي بيان عن تصوير ابعاد ما حصل، وما تدفق من امواج الاحاسيس والمشاعر المتلاطمة. ويحق للشعب الايراني وللمسلمين الثوريين، كل هذا النحيب والضجة التي لم يسجل التاريخ نموذجاً يضاهيها بالشدة والعظمة، إذ انهم فقدوا عزيزاً اعاد لهم عزهم المهدورة، وكف ايدي الملوك الظالمين والناهبين الأميركيين والغربيين عن اراضيهم، وأحيا الاسلام وحقق للمسلمين المجد والعزة، واقام الجمهورية الإسلامية، ووقف بوجه القوى الشيطانية بثبات ليواجه مئات المؤامرات التي

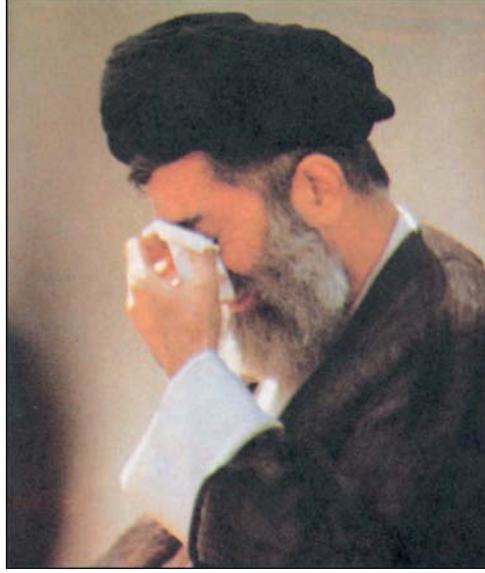


استهدفت اسقاط النظام وقلب نظام الحكم وإثارة الفتن في الداخل والخارج طوال عشرة اعوام. كذلك قاد الدفاع المقدس على مدى ثمانية اعوام في جبهة واجه فيها عدواً كان يحظى بشكل صارخ بدعم القوى الشرقية والغربية الكبرى.

لقد فقدت الجماهير قائدها المحبوب ومرجعها السديني والمنادي بالاسلام الاصيل.. ربما يقف أولئك العاجزون عن درك واستيعاب هذه المفاهيم، حيارى وهم يشاهدون حال الجماهير — التي عرضتها الافلام التلفزيونية— اثناء مراسم توديع وتشيع ودفن الجثمان الطاهر للإمام الخميني، ولعلمهم يصابون بالدهشة اذا ما سمعوا بوفاة العشرات الذين لم يتمكنوا من تحمل ثقل الصدمة، فتوقفت قلوبهم عن العمل، أو بسقوط العشرات الآخرين مغشياً عليهم من شدة الحزن وتناقلتهم الايدي فوق رؤوس امواج هائلة من البشر لينقلوا الى المستشفيات.. الى غير ذلك ...

بيد أن أولئك الذين يعرفون معنى الحب والذين امتحنت قلوبهم لذته، يرون كل ذلك امراً طبيعياً، والحق ان الجماهير الإيرانية كانت محبة للإمام الخميني، وما أجمل الشعر الذي رفع في الذكرى السنوية لوفاته «حب الخميني حب لكل ما هو جميل».





في الرابع من حزيران ١٩٨٩م، عقد مجلس خبراء القيادة جلسته الرسمية، وبعد ان تليت وصية الإمام الخميني من قبل آية الله الخامنئي — وقد استغرق قراءتها ساعتين ونصف الساعة — ابتداءً البحث والتشاور حول تعيين من يحلُّ محل الإمام الخميني ليكون قائداً للثورة الإسلامية، وبعد ساعات من البحث والنقاش تمّ وبالاجماع ترشيح آية الله السيد علي الخامنئي (رئيس الجمهورية آنذاك) لتسّم هذا الموقع الخطير. وآية الله الخامنئي هو احد طلاب الإمام الخميني — سلام الله عليه — ومن الوجوه البارزة في الثورة الإسلامية، ومن انصار انتفاضة الخامس من حزيران، وقف

جنباً الى جنب سائر انصار الثورة حاملاً روحه في راحته طوال فترة نهضة الإمام وفي جميع الحوادث التي شهدتها الثورة.

سنوات عديدة والغريبيون وعملاؤهم في الداخل كانوا يؤملون انفسهم بأيام ما بعد رحيل الإمام الخميني، بعد أن يئسوا من الحاق الهزيمة بالإمام في حياته. لكن وعي الشعب الإيراني وسرعة مجلس خبراء القيادة في اختيار الشخص المناسب للقيادة، ودعم انصار الإمام لذلك، بدد آمال اعداء الثورة، ولم يخب املهم في ان تكون وفاة الإمام نهاية نهجه فحسب، بل ان عصر الإمام الخميني — في الحقيقة — ابتدأ على نطاقٍ أوسع من السابق بعد وفاته. وهل يموت الفكر والصلاح والمعنوية والحقيقة؟

في يوم وليلة الخامس من حزيران ١٩٨٩م تجمع الملايين من ابناء طهران والمعززون من ابناء المدن والقرى، في مصلى طهران الكبير ليلقوا النظرة الاخيرة على الجثمان الطاهر لرجل اعاد بنهضته وثورته سيادة القيم والكرامة في عصر الظلم الاسود، وفجر في الدنيا نهضة التوجه الى الله والعودة الى الفطرة الانسانية.

لم يكن ثمة ايّ مظهر من مظاهر المراسم التشريفياتية عديمة الروح. كل شيء كان جماهيرياً تعبويماً وعشقياً. وكان جثمان الإمام الموشح بالقماش الاخضر موضوعاً على دكة عالية يضيء كدرّة نفيسة ويتحلق حوله الملايين

من اصحاب العزاء. وكان كل واحدٍ من ذلك الجمع الغفير يتمتم بحزن مع إمامه الفقيده ويذرف الدموع. امتلأ المكان والطرق السريعة المؤدية الى المصلى بالجماهير الموشحة بالسواد. ورفعت اعلام العزاء على الابواب والحدردان، وانطلق صوت القرآن يدوي من مآذن المساجد والمراكز والدوائر والمنازل. وما ان هبط الليل حتى أوقدت الشموع تذكيراً بالمشعل الذي أوقده الإمام، واضاءت منطقة المصلى وما حولها. تحلقت العوائل المفجوعة حول شموعها وهي ترنوالى المرتفع النوراني الذي رقد فيه امامهم المحبوب.



لقد احوالت صرخات «ياحسين» التي كانت تنطلق من التعبويين الذين شعروا باليتم، المكان الى عاشوراء جديدة. هل حقاً ان هذا الصوت الرباني لم يعد ينطلق من حسينية جمران؟ ... بقيت الجموع المفجوعة تندب فقيدها حتى الصباح.

وفي الساعات الاولى من يوم السادس من حزيران، اذت الملايين الصلاة على جثمانه الطاهر بامامة آية الله العظمى الكلبايكاني.

ان عظمة الموقف الحماسي الذي جسده الحشود المليونية التي هبت لاستقبال الإمام الخميني في الثاني عشر من بئمن عام ١٣٥٧ش (الاول من شباط عام ١٩٧٩م)، وتكراره ثانية وبنحو اكثر اهمة وعظمة في مراسم تشييع جثمان الإمام الطاهر؛ لمي حقاً من عجائب التاريخ. لقد قدرت وكالات الانباء العالمية الرسمية عام ١٩٧٩ عدد الذين جاءوا لاستقبال الإمام بستة ملايين شخص. اما الذين شاركوا في مراسم التشييع فقد قدروا بتسعة ملايين شخص. هذا في وقت تضافرت جهود البلدان الغربية والشرقية خلال الاحدى عشرة سنة من قيادة الإمام في تصعيد عداتها للجمهورية الإسلامية وفرض عليها حرب الثماني سنوات ومئات المؤامرات والذسائس الاخرى، وجرعوا ابناء الشعب الايراني معاناة ومعضلات كثيرة،



وأفقدوه اعزة لا يحصون في هذا الطريق. ومن الطبيعي
كان ينبغي ان يتعب ابناء الشعب ويفتر حماسهم تجاه
ثورتهم، إلا ان ذلك لم يتحقق مطلقاً. ان الجيل الذي تربى
في مدرسة الإمام الخميني كان قد آمن تماماً بمقولة الإمام
هذه التي يقول فيها: «ان القدرة على تحمل المعاناة والآلام
والتضحيات والحرمان، تتناسب مع عظمة الهدف وقيمته
وسموه»^١.

١ - صحيفة الإمام، ج ٢١، ص ٤٤٩.



بدأت مراسم التشييع، فانطلقت الجموع الغفيرة من
 مصلى طهران الى مرقد الإمام جوار مقبرة جنة الزهراء
 (مزار الشهداء)، وضجّت الجموع اطفالاً ونساءً ورجالاً
 وكأن أرواحهم تزهب من ابدانهم. مرت ساعات دون ان
 يتمكن الجمع من الحركة، بسبب تدفق الاحاسيس
 والمشاعر التي يصعب التحكم بها. مما اضطر المسؤولون الى
 حمل الجثمان الطاهر بطائرةٍ سميّة لِيُنقل الى مثواه الأخير.
 ومع انهم كانوا قد وضعوا حواجز عالية للحيولة دون
 ازدحام المعزّين في محل الدفن، الا أنه ما ان حطت الطائرة
 على الارض، حتى اضطرب كل شيء. فقد تأججت نار
 الفراق في القلوب، وفجر الاحساس بالفراق الحزن
 والغضب الى درجة جعلت كل جهود المكلفين باتمام عملية
 الدفن تذهب سُدى. وكان التلفزيون ينقل الوقائع في بث

حيّ. وبصعوبة بالغة تمّ استرداد الجثمان من ايدي الجماهير، واعدت الى الطائرة وحمل من جديد نحو حسينية جماران.

إنّ أولئك القابعين في الغرب، أو في ظل رؤيتهم الغربية، ممن يرون الحياة عبارة عن نافذة تطل على المال واللذة، وقد نسوا في صخب الحياة الآلية الاصاله والحب الحقيقي والقيم، لا يمكنهم ان يدركوا ابعاد ما يشاهدونه من صور تدفين جثمان الإمام الطاهر.

فلو سمح التضليل والتحريف ونعيق الاعلام المسموم لاعداء الحقيقة، بأن يطلع هؤلاء على وصية الامام فحسب، أو خطاب من خطباته، بنحو يتجردون فيه عن الخلفيات المسبقة، وبوحي من الانصاف والفضيلة والوجدان، فانهم لا شك سوف يغيرون نظرهم.

بعد ان تعذر اتمام مراسم الدفن نتيجة لتدقيق مشاعر المعزين اعلنت الاذاعة وعبر بيان رسمي عن تأجيل المراسم الى اشعار آخر. غير ان المسؤولين كانوا على يقين من ان مرور الوقت سيضعف اعداد الوافدين من عشاق الإمام من المدن والقرى البعيدة، لذا اضطروا الى اتمام الدفن في عصر ذلك اليوم متحمليين اشد المعاناة والصعوبات البالغة. وقد نقلت بعض وكالات الانباء جانباً من تلك المراسم.

ان عشرات المجلدات التي ضمت القصائد الشعرية التي نظمها الايرانيون وغير الايرانيين، والتي تمّ جمعها ونشرها

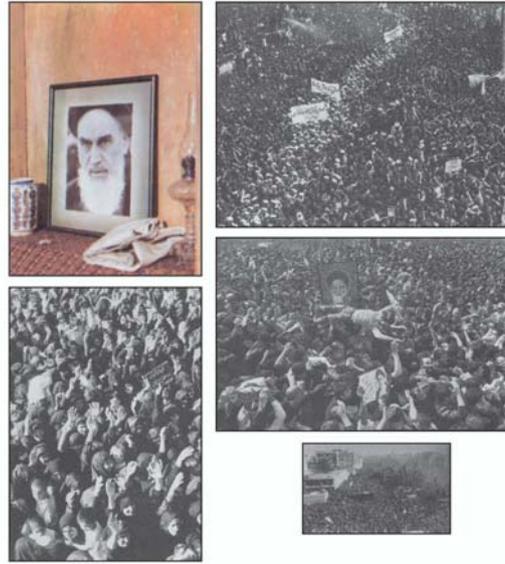
فيما بعد، تعدُّ بحدِّ ذاتها تعبيراً عن طبيعة العواطف الجماهيرية التي تفجرت في تلك الايام. وكان من بينها ما عُدَّ من امهات القصائد ومن ارواح الملاحم الشعرية في الادب الفارسي.



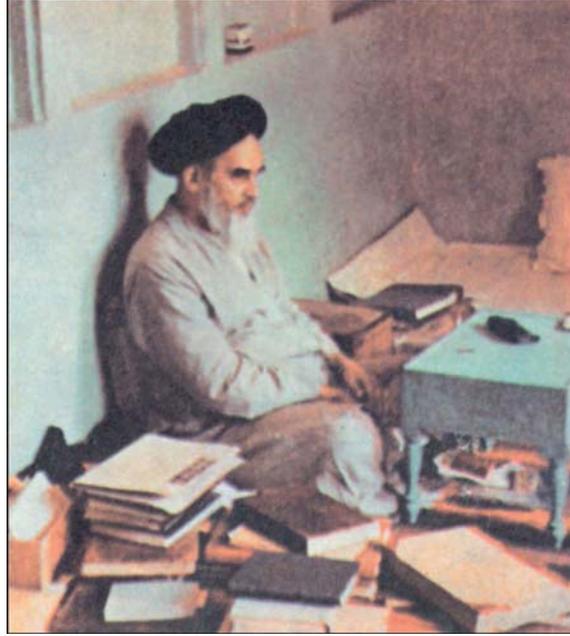
ومن يومها اخذت تقام مراسم العزاء في الرابع من حزيران من كل عام — حتى تاريخ كتابة هذه السطور — بالعظمة والاهمة نفسها التي اقيمت بها في السنة الاولى! وبهمّة عشاق الإمام تمّ تشييد مبنى حول ضريحه المقدس بسرعة لاتصدق، كتعبير عن نوع من وفاء الامة الإسلامية لهذا القائد المعنوي العظيم، وترجمة لخلوده الابدي، واضحى مزاره الشريف — خصوصاً في المناسبات الدينية — ملتقى احبائه وزواره من انحاء إيران ومن سائر البلدان. وراحت الراية الحمراء التي ترفرف فوق قبة ضريحه تعيد الى الازهان الراية الحمراء لقبه سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وتذكر بان النهضة العاشورية للامام الخميني ايضاً — كما هو حال الثورة الحسينية — ستدفق دماء العزة والانسانية والاستقامة على دين الله في عروق المسلمين الغيارى على مرّ التاريخ.



وهكذا اضحى رحيل الامام، كما كانت حياته، منشأً
للصحوة والنهضة، وخلد نمجه وذكراه. لأنه كان حقيقة،
والحقيقة خالدة ما خلد الدهر.



لقد كان سماحته تجلياً من تجليات «الكوثر». وان كوثر
الولاية متدفق ابداً على مر العصور والازمان؛ وستبقى
حكاية هذا العبد الصالح خالدة خلود الدهر.
والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.



□ مؤلفات الإمام الخميني

ترك الإمام الخميني عشرات الكتب والمصنفات القيّمة في البحوث الاخلاقية والعرفانية، والفقهية، والاصولية، والفلسفية، والسياسية، والاجتماعية، وان الكثير منها لم ير النور حتى الآن. ومما يؤسف له ان عدداً من رسائله ومؤلفاته النفيسة فقدت اثناء الانتقال من منزل مستأجر الى آخر، وخلال مدهمات ازام السافاك المتكررة لمترله ومكتبته الشخصية.

كان الإمام يمتلك خطأً جميلاً، وكان يتبع في تأليفاته قواعد التصنيف القديمة، والسنظم في الكتابة ويتجنب الاطالة.. ان اسلوبه الثري واستخدام المحسنات البديعة والابداع في التراكيب والاساليب المحببة، التي كانت تتجلى في بياناته السياسية والدينية، احدثت تحولاً في الادبيات الدينية والسياسية في إيران. وان المفردات والتركيبات الخاصة بالامام اصبحت اليوم متداولة الاستعمال في المتون الادبية الفارسية بل حتى في عرف المحاورات العامة ليدى الشعب الايراني. ومما يذكر ان بعض مؤلفات الإمام وتناسباً مع موضوعها التخصصي (الفقه، الاصول والعرفان) كتب اساساً باللغة العربية، كما ان بعضها كتب باللغة الفارسية.

واضافة الى المؤلفات العلمية، كان لدى الإمام عدد من الرسائل العلمية لبعض المفكرين تعد نسخاً خطية فريدة، قام سماحته باعادة كتابتها بخط جميل.

كتبت بعض مؤلفات الإمام الخميني بأسلوب وبطريقة تخصصية بحتة بحيث يتعذر فهم متونها وموضوعاتها دون الاستعانة بشرح أو تفسير اساتذة ذلك العلم. وبعضها الآخر كتب بأسلوب بسيط. فالكتب التي اعيد طباعتها من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قدس سره) مؤخراً، امتازت بمزايا ايجابية كثيرة، منها التقديم والهوامش التوضيحية والفهارس التي أضيفت اليها، كذلك دقة

طباعتها وصحة متونها، وما ارفق بها من صور عن اصل نسخها الخطية. ويذكر ان بعض آثار الإمام قامت المؤسسة بنشره لأول مرة، وما زالت بعض مصنفات الإمام لم تر النور بعد، ويتم الآن تنظيمها وكتابة توضيحات لها واعداد فهارس لها، لتجد طريقها الى النشر.

نورد فيما يلي تعريفاً بأسماء مؤلفات الإمام الخميني وتصانيفه تبعاً لتاريخ كتابتها. وبطبيعة الحال ان التعريف بأي واحدٍ من هذه المصنفات يتطلب بحثاً مستقلاً، وقد تمّ بالفعل إنجاز الكثير من ذلك عبر مقالات وكتب كثيرة نُحِيل القارئ اليها اذا ما رغب في المزيد.

• شرح دعاء السحر:



كتاب يضم مسائل عرفانية، وفلسفية وكلامية عميقة، اعتمد فيه الإمام الآيات القرآنية وروايات اهل بيت العصمة عليهم السّلام في شرح دعاء المباهلة المعروف بدعاء السحر. كتبه باللغة العربية

عام ١٣٤٧ هـ، وقام بترجمته الى اللغة الفارسية سماحة السيد احمد الفهري وطبع مرات عديدة آخرها اصدرتها

منشورات مؤسسة اطلاعات طهران عام ١٩٩١م. ويقع
الكتاب في ٢٣٩ صفحة.

• شرح حديث رأس الجالوت:

شرح لحديث رأس الجالوت (احتجاجات
الإمام الرضا عليه السلام) على اصحاب الاديان المختلفة،
من حملتها احتجاجاته على اليهود في قضية رأس الجالوت.
كتبه الإمام عام ١٣٤٨ هـ . (١٩٢٩ م). وذكره مؤلف
كتاب «آئنة دانشوران» الذي نشر عام ١٣٥٣ هـ .
(١٩٣٤ م).

● حاشية الإمام على شرح حديث رأس الجالوت:

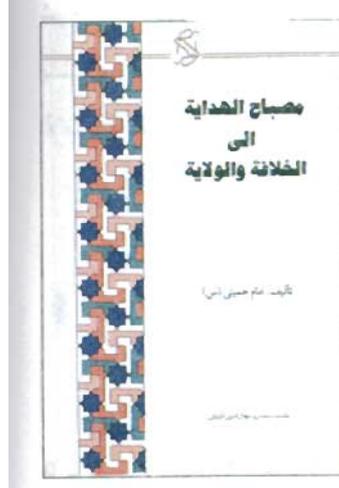
اضافة الى الشرح الذي كتبه الإمام للحديث المذكور وطبع في كتاب مستقل؛ كتب سماحته تعليقا على شرح المرحوم القاضي سعيد القمي (من عرفاء القرن الحادي عشر) للحديث. وقد ذكره ايضا مؤلف كتاب (آئينه دانشوران) ومؤلف كتاب الذريعة المرحوم الشيخ آغا بزرك الطهراني.

● الحاشية على شرح الفوائد الرضوية:

في هذا الأثر العرفاني، كتب الإمام الخميني آراءه على شكل حاشية لكتاب شرح الفوائد الرضوية للمرحوم القاضي سعيد القمي. وسوف ينشر هذا الكتاب قريبا من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني(رض).

● شرح حديث جنود العقل والجهل:

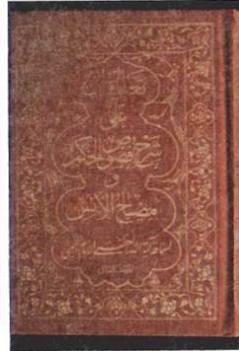
اثر نفيس في علم الاخلاق، يضم آراء الإمام الكلامية والاحلاقية والعرفانية باسلوب واضح، وبذلك اتاح سماحته الفرصة لقطاع اوسع من الجماهير للاستفادة منه، كما هي الحال مع كتاب شرح الاربعة حديث. والكتاب الآن في قسم الابحاث التابع لمؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام، وستقوم المؤسسة بنشره بعد الانتهاء من تنظيم هوامشه وفهارسه، ويتوقع ان يقع الكتاب في ٨٠٠ صفحة.



• **مصباح الهداية
الى الخلافة
والولاية:**

يعتبر هذا الكتاب
من اعمق والمع
تصانيف العرفان
الاسلامي في عصرنا
الحاضر. فرغ الإمام
من تأليفه عام ١٣٤٩
هـ (١٩٣٠م) وهو

في سن الثامنة والعشرين من عمره. آخر طبعات الكتاب
صدرت عن منشورات مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام عام
١٩٩٣. يقع الكتاب في ٣١٥ صفحة، ويضم مقدمة
مفصلة وتعريف بالاستاذ جلال الدين الاشتياني.



• **الحاشية على شرح
فصوص الحكم:**

كتاب فصوص الحكم،
من تأليف الشيخ الاكبر محي
الدين بن عربي — من عرفاء
العالم الاسلامي الكبار —

وقد حظي بشروح عديدة، يعدُّ افضلها شرح القيصري.

كتب الإمام الخميني عام ١٣٥٥ هـ، حاشية باللغة العربية على شرح فصوص الحكم للقيصري، وهي توضح مدى احاطة الإمام براء اساطين العرفان، نظير الشيخ الاكبر، والقونوي الملا عبد الرزاق الكاشاني، والفرغاني، والعراقي والقيصري. وقد طبع هذا الكتاب مع الحاشية على مصباح الأنس في مجلد واحد.



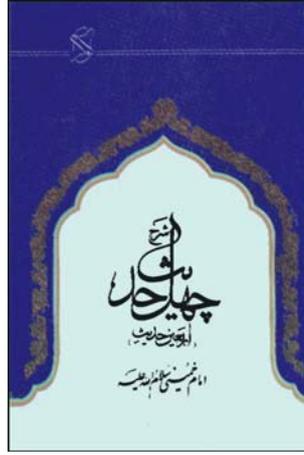
• الحاشية على

مصباح الانس:

كتاب «مصباح
الانس بين المعقول
والمشهود» شرح كتبه
محمد بن حمزة بن محمد
الغفاري على كتاب
(مفتاح الغيب) لابي
المعالي محمد بن اسحاق

القونوي (من تلامذة محي الدين بن عربي البارزين) الذي تناول موضوع العرفان النظري. وقد كتب الإمام الخميني اراءه ونقده العلمي على الكتاب بشكل حاشية استوعبت ثلث الكتاب وذلك عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦م). طبعت الحاشيتان (على فصوص الحكم ومصباح الانس) تحت عنوان «تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح

الأنس» مضاف إليها بعض التصحيحات والتعليقات بالإضافة إلى العديد من الرسائل العرفانية-الاخلاقية عن الامام الخميني بمناسبة مرور الذكرى المئة على ولادة الامام الخميني(قدس سره) بواسطة مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(قدس سره).



• شرح الأربعين حديثاً:
حديثاً:

«الأربعين حديثاً» أو «شرح الأربعين حديثاً» احد الآثار الاخلاقية والعرفانية النفيسة للإمام الخميني، كتبه باللغة الفارسية عام

١٣٥٨هـ، ضم الكتاب اربعين حديثاً من احاديث الأئمة الاطهار التي وردت في الكتاب الشريف «اصول الكافي» (الاحاديث الاربعة والثلاثين الاولى عدا الحديث ١١ في المسائل الاخلاقية، والاحاديث الستة الاخيرة في المسائل الاعتقادية) تم شرحها بصورة مبسطة وباسلوب ادبي مؤثر. آخر طبعات الكتاب صدرت عن مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني عام ١٩٩٣ م. ويقع الكتاب في ٩٠٠ صفحة.



● سرُّ الصلاة (صلاة)

العارفين ومعراج

السالكين):

كتاب عرفاني

عميق، كتبه سماحة الإمام

باللغة الفارسية في بيان

الاسرار المعنوية والعرفانية

للصلاة وقد اتمه عام ١٣٥٨

هـ (١٩٤٢ م). ويمكن التعرف على مدى احاطة الإمام الخميني بالعرفان النظري وطبّه مراتب العرفان العملي، من خلال بحوث هذا الكتاب العميقة والكتب التي مرّ ذكرها. صدرت آخر طبعات الكتاب عن مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام عام ١٩٩٠م، ويقع الكتاب في ٢٦٦ صفحة، ويحتوي على مقدمة كتبها آية الله الجوادى الأملى، والعديد من الفهارس التوضيحية مع صورة كاملة من النسخة الخطية للكتاب.



● آداب الصلاة:

صنف سماحته هذا

الكتاب عام ١٣٦١ هـ

(لقاء الله) التي ألفها آية الله الحاج الميرزا جواد الملكي رحمه الله.



• الحاشية على الاسفار:

قام الإمام الخميني طوال سنوات عديدة في قم، بتدريس كتاب (الاسفار الاربعة) للفيلسوف الشهير صدر المتألهين، وعلق على بحوثه إلا أننا للأسف لم نعثر

حتى الآن على نسخة من تعليقاته هذه. وتنوي مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، جمع ونشر مختارات من الاراء الفلسفية للإمام الخميني التي تم استقاؤها من تقارير دروسه في الفلسفة من بعض تلامذته لينتفع بها المجتمع الإسلامي.



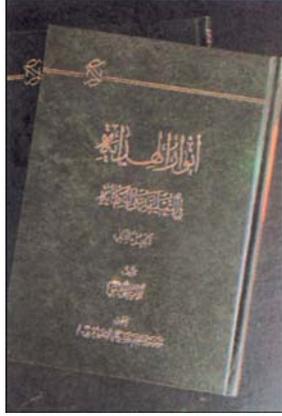
• كشف الاسرار:

وهو كتاب سياسي، عقائدي واجتماعي، كتبه سماحته عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٤م)، أي بعد عامين

من عزل رضاخان عن السلطة؛ ردّ فيه على ما اثاره احد

الوهابيين من شبهات وتهم باطلة ضد الدين والعلماء في كتابه «اسرار هزار ساله» وقد برهن الإمام في كتابه هذا، استناداً للحقائق التاريخية، وضمن استعراض ونقد آراء فلاسفة اليونان القديمة، على أن فلاسفة الاسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، اكدوا على احقية التشيع والدور الفاعل البناء لعلماء الاسلام.

وتناول الكتاب فكرة الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه في عصر الغيبة، وفضح السياسات المعادية للدين التي مارسها رضاخان ومن لف لفه في البلدان الإسلامية آنذاك. ويقع الكتاب في ٣٣٤ صفحة.



• انوار الهداية في التعلية
على الكفاية (مجلدان):

كتاب يتناول المباحث العقلية في علم اصول الفقه، كتبه الإمام الخميني باللغة العربية بصورة حاشية على كتاب كفاية الاصول لآية الله العظمى الآخوند الخراساني

رحمه الله وقد انتهى من تأليفه عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م). يعكس الكتاب — مع كتاب (مناهج الوصول) والرسائل المستقلة للإمام الخميني في المسائل الاصولية — الى حد كبير

آراء الإمام الخميني ومدرسته الاصولية. طبع مؤخراً عام ١٩٩٣م ولاول مرة في مجلدين من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني.

• بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر:

رسالة تحقيقية اجتهادية كتبها الإمام باللغة العربية حول (قاعدة لاضرر) التي تعتبر من القواعد الفقهية المهمة. اتمّ تأليفها في غرة جمادى الاولى عام ١٣٦٨ هـ (١٩٥٠ م). طبعت هذه الرسالة مع عدّة رسائل اصولية للإمام في مجموعة تحت عنوان «الرسائل» عام ١٣٥٨ هـ (١٩٦٥ م). وفي عام ١٩٩٣م طبعت بشكل مستقل من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره مع مجموعة من التعليقات والفهارس وحملت الاسم نفسه.



• رسالة الاستصحاب:

رسالة اجتهادية مفصلة كتبها سماحته باللغة العربية حول بحث «الاستصحاب» الذي يعدّ من البحوث البالغة الاهمية في علم اصول

الفقه. اتمّ تأليفها عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م). ويقع

الكتاب في ٢٩٠ صفحة، وقد تمّ نشره مع مجموعة «الرسائل» التي ذكرت، عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م). وسيتم قريباً طبع هذه الرسالة بشكل مستقل ومنقح من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قدس سرّه).

• رسالة في التعادل والتراجيح:

كتبت هذه الرسالة عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١م). والتعادل والتراجيح من البحوث التكميلية في علم اصول الفقه التي تدور حول الملاك في انتخاب الدليل اذا ما تعارضت الأدلة. طبعت عام ١٣٨٥ هـ ايضاً ضمن مجموعة «الرسائل» المذكورة آنفاً.

• رسالة الاجتهاد والتقليد:

الاجتهاد والتقليد ايضاً من البحوث التكميلية والمهمة في علم اصول الفقه. وقد استدل الإمام الخميني في هذه الرسالة الاجتهادية على آرائه. كتبت هذه الرسالة عام ١٣٧٠هـ، وطبعت مع مجموعة «الرسائل».

- مناهج الوصول الى علم الاصول (مجلدان):

كتاب تحقيقي واجتهادي في مباحث ألفاظ علم اصول الفقه، كتبه الإمام باللغة العربية بعد عام ١٣٧٠هـ — (١٩٥١ م) وصدر في مجلدين لأول مرة عام ١٩٩٣ م مع تعليقات وفهارس ومقدمة كتبها آية الله فاضل النكراني، وقد اهتمت بطبعه مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قدس سره).

- رسالة في الطلب

- والارادة:



كتاب اصولي، فلسفي وعرفاني، ام الإمام الخميني تأليفه باللغة العربية عام ١٣٧١هـ — (١٩٥٢ م). طبعت هذه الرسالة مع ترجمة لها باللغة

الفارسية، في كتاب يقع في ١٥٧ صفحة عام ١٩٨٣ م من قبل مركز المنشورات العلمية والثقافية، بطهران.

- الرسائل العشرة:

مجموعة مؤلفة من عشر رسائل فقهية واجتهادية عن الإمام الخميني مكتوبة باللغة العربية. وتم نشرها بمناسبة

الذكرى المئنة لولادة الإمام الخميني عن طريق مؤسسة تنظيم ونشر تراق الإمام الخميني (قدس سره) وهي:

• رسالة في التقيّة:

رسالة فقهية واجتهادية كتبها الإمام باللغة العربية في بحث «التقية» عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) وبرهن فيها على ان فلسفة وجوب التقية انما تدور حول حفظ الدين لا محوه، طبعت ضمن مجموعة «الرسائل» عام ١٣٨٥ هـ في قم.

• رسالة في قاعدة من ملك:

رسالة اجتهادية في القاعدة الفقهية الموسومة بـ «قاعدة من ملك» وقد ذكرها مؤلف كتاب آثار الحجة (المطبوع سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م).

• رسالة في تعيين الفجر في الليالي المقمرة:

رسالة فقهية استدلالية في بيان كيفية تعيين طلوع الفجر في «الليالي المقمرة» طبعت تحت هذا العنوان عام ١٩٨٨ م في قم.

• فروع العلم الإجمالي:

رسالة فقهية تبحث حول الشكوك التي تحدث أثناء الصلاة.

- موضوع علم الأصول:

تتطرق هذه الرسالة القصيرة للبحث حول الفكر الخاص بالإمام فيما يتعلق بموضوع العلم وموضوع علم الأصول.

- تزييل العلل التشريعية على التكوينية:

تتطرق هذه الرسالة القصيرة للبحث حول نظرية آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم حائري يزدي.

- تقارير المسائل المستحدثة:

كتبت هذه الرسالة بواسطة أحد تلامذة الإمام وتحتض بحث الإمام في فترة قصيرة حول المسائل المستحدثة.

- كتاب الطهارة (٤ مجلدات):

كتاب يشتمل على

بحوث بشأن «الطهارة»

— وهو من ابواب الفقه —

وقد كتبه الإمام الخميني باللغة

العربية بين عامي

١٣٧٣ و١٣٧٧ هـ (١٩٥٤

و١٩٥٨ م) بأسلوب فقهي

استدلالي واجتهادي. يقع

الكتاب في اربعة مجلدات،



طبع مجلدان منها عام ١٣٦٧ هـ، في قم، والمجلدان

الأخران عام ١٣٨٩ هـ في النجف الاشرف، ويتألف الكتاب من ١٢٠٢ صفحة.

• **تعليقة على العروة الوثقى:**

حاشية الإمام الخميني على مسائل كتاب «العروة الوثقى» (كتاب آية الله العظمي' السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي الشهير) كتبها عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦م) ويتضمن الكتاب فتاوى الإمام الفقيهية في ابواب الفقه المختلفة وقد طبع مستقلاً ومع العروة الوثقى عدّة مرات.

• **المكاسب المحرّمة**

(مجلدان):

بحوث اجتهادية في الفقه الاستدلالي تتناول انواع المكاسب المحرّمة والمسائل المتعلقة بهذا الأمر، كتبها الإمام الخميني في الفترة ما بين عامي

١٣٧٧ — ١٣٨٠ هـ (١٩٥٦ و١٩٦١م) باللغة العربية، وطبعت عام ١٣٨١ هـ في مجلدين بلغت صفحاتهما



٦١٢ صفحة، ويضم الكتاب بحثاً طريفة حول حكم الموسيقى والغناء والرسم والنحت.

● **تعليقة على وسيلة النجاة:**

حاشية كتبها الإمام الخميني على كتاب وسيلة النجاة (الرسالة العملية لآية الله العظمى السيد أبي الحسن الاصفهاني) وقد تضمنت فتاواه الفقهية على مسائل وسيلة النجاة.

● **رسالة نجاة العباد:**

رسالة ضمت فتاوى الإمام الخميني في الاحكام الفقهية، كتبها باللغة الفارسية، ويبدو ان الكتاب كان في ثلاثة مجلدات طبع المجلد الثاني منها عام ١٣٨٠هـ (١٩٦١ م) في قم.

● **الحاشية على رسالة الارث:**

حاشية كتبها الإمام الخميني على (رسالة الارث) للمرحوم الحاج ملا هاشم الخراساني (صاحب كتاب «منتخب التواريخ»)، وتضمنت فتاواه الفقهية في احكام الارث. ويبدو انهما طبعتا مع اصل الرسالة (باللغة الفارسية) في قم، بعد عام ١٩٦١ م.

- **تقريرات درس الاصول لآية الله العظمى البروجردي:**
كتب الإمام الخميني في هذا الكتاب تقريراته عن دروس الاصول التي حضرها عند آية الله البروجردي، باللغة العربية. وتقوم مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قديس سره، باعداد الكتاب للنشر لأول مرة.

- **تحرير الوسيلة (مجلدان):**

كتاب يضم فتاوى الإمام الخميني، كتبه باللغة العربية اثناء وجوده في منفاه الأول — تركيا — بين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥ م. طبع لأول مرة في مجلدين (١٣٠٩ صفحات) في النجف الاشرف، ثم اعيد طبعه لمرات عديدة في النجف وبيروت وإيران.



- **كتاب البيع (خمسة**

مجلدات):

اثر نفيس في الفقه الاستدلالي يتناول الابواب المختلفة المتعلقة بالبيع والتجارة، كتبه سماحته في الفترة ما بين عامي ١٣٨٠ و١٣٩٦هـ

(١٩٦١ و١٩٧٦م) في النجف الاشرف، وقد تم طبعه لأول

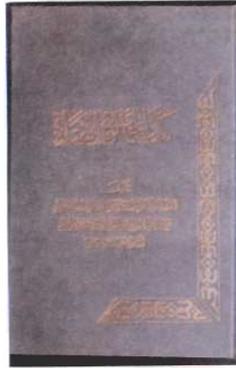
مرة في النجف ايضاً، تقع المجلدات الخمسة في ٢٣٧١ صفحة.



• الحكومة الإسلامية
أو ولاية الفقيه:

طبع قبل وبعد انتصار الثورة
وعدة مرات باللغة العربية
والفارسية. يضم الكتاب آراء
الإمام الاجتهادية حول مبدأ
الحكومة الإسلامية، وعدم امكانية
الفصل بين الدين والسياسة،

وولاية الفقيه في زمن الغيبة، وهو في الاصل دروس القاها
الإمام على طلبته في النجف الاشراف عام ١٩٦٩م.
احدث طبعة للكتاب صدرت عام ١٩٩٣ عن مؤسسة
تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، وقد تضمنت مقدمة
وتوضيحات وفهارس.



• كتاب الخلل في الصلاة:
كتاب ضم آراء الإمام
الخميني الاجتهادية
والاستدلالية حول بحث
الاحكام الفقهية بشأن الخلل

في الصلاة. كتبه الإمام باللغة العربية في السنوات الاخيرة من اقامته في النجف الاشرف. يقع الكتاب في ٣١٤ صفحة، وتم طبعه في قم.

• الجهاد الاكبر (أو جهاد النفس):



دروس للإمام الخميني حول ضرورة واهمية تهذيب النفس، القاها في النجف الاشرف. في ذات الوقت الذي تميزت هذه الرسالة بالاختصار، حوت من

المسائل الاخلاقية والتربوية والسياسية الكثير. طبع الكتاب من قبل على شكل ملحق لكتاب ولاية الفقيه. وفي عام ١٩٩٣م صدرت له طبعة منقحة ضمت مقدمة وتوضيحات، اصدرتها مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره.

- **تقريرات دروس**

- **الإمام الخميني:**



اضافة الى مؤلفات
الإمام الخميني في بحوث
الفقه والاصول، كتبت
العديد من التقريرات عن
دروسه من قبل طلابه، تمّ

طبع بعضها وما زال بعضها الآخر ينتظر دوره للنشر لدى
مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره.

من قبيل: جواهر الأصول، تنقيح الأصول، البيع،
تهذيب الأصول، معتمد
الأصول، الطهارة.

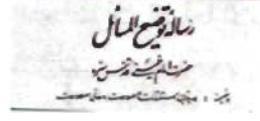


- **توضيح المسائل**

- **(رسالة عملية):**

كتاب يضم فتاوى
الإمام الخميني في ابواب
الفقه المختلفة، كتبه
سماعته باللغة الفارسية ليكون

رسالة عملية ينتفع بها مقلدوا الإمام. صدر الكتاب في
طبقات عديدة قبل انتصار الثورة وبعدها.

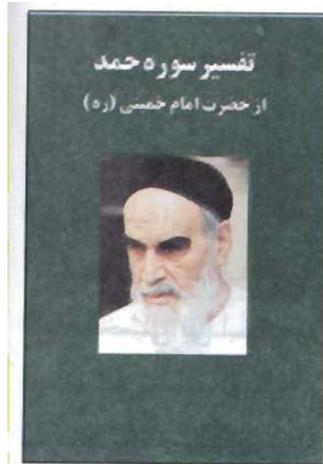


- مناسك الحج:



فتاوى الإمام الخميني حول اعمال ومناسك الحج. صدرت آخر طبعة له عام ١٩٩١م عن مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام قديس سرّه. ويقع الكتاب في ٢٧٢ صفحة.

- تفسير سورة الحمد:



تفسير عرفاني لفاتحة الكتاب (سورة الحمد المباركة)، وهو في الاصل محاضرات القاها الإمام الخميني عام ١٩٨٠ طبع في كتاب طبعات عديد حملت العنوان نفسه.

● استفتاءات:



مجموعة من فتاوى الإمام الخميني ردّ بها على اسئلة المسلمين الشرعية في الابواب الفقهيّة المختلفة خصوصاً المسائل المستحدثة. وقد طبع منها حتى الآن مجلدان من قبل رابطة مدرسي الحوزة العلمية

في قم وذلك في عامي ١٩٨٧ و١٩٩٣م.

● ديوان شعر:



نظم الإمام الخميني منذ شبابه العديد من القصائد الشعرية العرفانية والسياسية والاجتماعية، غير ان القسم الاعظم منها فقد اثناء الانتقال من منزل الى منزل، أو نتيجة مصادفة

شرطة السافاك لمزله ومصادرتهم لبعض محتويات مكتبته الشخصية. كما فقد بعضها الآخر لاسباب اخرى. هذا وكانت للإمام قصائد عديدة نظمها بعد انتصار الثورة في

قوالب شعرية مختلفة منها الغزل والرباعي والدوبيت، وغيره.

جمعت قصائد الإمام الأخيرة وبعض ما تبقى من القصائد القديمة ونشرت في كتاب مستقل اطلق عليه اسم «ديوان الإمام». وقبل نشر هذا الكتاب، كانت بعض قصائد الإمام قد نشرت في كتب مستقلة حملت عناوين «طريق العشق» و«مستودع الاسرار» و«نقطة عطف» و«كأس الحب».

ويجد القارئ في مقدمة الديوان معلومات وافية حول اسلوب الإمام وطريقته في نظم اشعاره وتواريخ نظم قصائده. كذلك خصص ملحق الديوان للحديث عن المعالم الفنية والادبية لتلك القصائد أو الاشعار. يقع الديوان في ٤٥٥ صفحة، وطبع طباعة فاخرة ونشرت عام ١٩٩٣م من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قدس سره). واعيد طبعه عدة مرات.

ويذكر ان مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام قامت ايضاً بنشر كتاب تحقيقي حول شرح الاصطلاحات العرفانية التي استخدمها الإمام في اشعاره حمل عنوان «معجم ديوان الإمام».

● الرسائل العرفانية:



كتب الإمام الخميني
عدّة رسائل الى اهل بيته
وارحامه، ضمّنها بعض
الاشارات الاخلاقية
والعرفانية والتربوية، نجد
نماذج منها في كتب
«مستودع الاسرار»

و«طريق العشق» و«نقطة عطف» التي قامت مؤسسة
تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدّس سرّه بطبعها
ونشرها، وكذا كتاب «التجليات الرحمانية» الذي قامت
مؤسسة شهداء الثورة الإسلامية بطبعه ونشره.



● الوصية السياسية

الإلهية:

ان أحد أكثر بيانات
الإمام الخميني خلوداً —
والذي خاطب بها
الاجيال الحاضرة

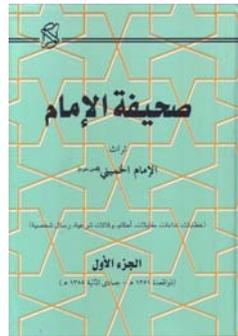
واللاحقة — هو ما تضمنته وصيته السياسية الإلهية. إذ
عرض الإمام فيها، ضمن توضيحه لعقائده الحقّة، أهم آرائه
وارشاداته بشأن القضايا السياسية والاجتماعية في

المجتمعات الإسلاميّة والمجتمع البشري عموماً، في قالبٍ من التحليلات الوثائقية والنصائح المشفّقة.

طبعت الوصية حتى الآن ملايين النسخ من قبل الكثير من دور النشر، والمؤسسات الثورية وانصار الإمام، وقد ترجمت الى اللغات المختلفة ايضاً. وأحدث هذه الطبعات تلك التي صدرت عن مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قدّس سرّه) والتي ضمت اضافة الى المتن الكامل للوصية وصورة عن نسختها الخطية، توضيحات حول تاريخ تدوين الوصية وبعض افكارها وموضوعاتها، مع فهارس موضوعية وفهارس اخرى تحت عنوان «دراسة موضوعية للوصية السياسية الإلهية».

• صحيفة الإمام (٢٢ مجلداً)

فضلاً عن الكتب التي اصدرها الإمام الخميني ، تطرق سماحته الى الكثير من آرائه وتوجيهاته السياسية والاجتماعية والدينية، ضمن مئات الخطب والاحاديث والكلمات والاحكام والرسائل،



على مدى سنوات الجهاد والفترة التي تلت انتصار الثورة الإسلامية، وقد صدرت هذه التوجيهات بصور وعناوين مختلفة.

وتعتبر «صحيفة الإمام» المؤلفة من ٢٢ مجلداً اشتمل كتاب تم نشره حتى الآن. إذ يضم معظم ما صدر عن الإمام وفقاً لتتابعه الزمني. ومن الطبيعي ان هناك الكثير من الاثار والرسائل والبيانات والاحكام الصادرة عنه لم تطبع في هذه الدورة، وهي بحد ذاتها تشكل عدّة مجلدات اخرى. تم نشر هذه المجموعة القيّمة بالإضافة إلى قرص CD مشتمل على (٢٢ مجلداً) عدة مرات بواسطة مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني(قدس سره) وهي الآن في متناول العاشقين والمحبين لهذا الرجل العظيم.

الفهرس

- تقلم ٧
- يوم الكوثر ٩
- الخلفية التاريخية ١٠
- الإمام الخميني من الولادة حتى الهجرة الى مدينة قم ١٦
- الهجرة الى قم: تحصيل الدروس التكميلية وتدريس العلوم الاسلامية ١٩
- الإمام الخميني في خندق الجهاد والثورة ٢٧
- انتفاضة الخامس من حزيران ٨٢
- مواجهة «لائحة الحصانة القضائية» ١٠٠
- نفي الإمام الى تركيا ١٠٦
- ومن تركيا الى العراق ١١٠
- الاحزاب والحركات السياسية ١٣٣
- منذ انتفاضة ٥ حزيران حتى انتصار الثورة الاسلامية ١٣٣
- الإمام الخميني ومواصلة النضال (١٩٧١ — ١٩٧٧م) ١٤٧
- بلوغ الثورة الإسلامية ذروتها عام ١٩٧٧ ومهضة الجماهير ١٥٧
- انتقال الإمام الخميني من العراق الى باريس ١٦٥
- عودة الإمام بعد ١٤ عاماً من النفي ١٦٩
- سقوط النظام الملكي وانتصار الثورة الإسلامية يوم الله ١١ شباط ١٧٦
- تشكيل الحكومة الإسلامية واصطفاف الدول الاستعمارية لمعادتها ١٧٩
- الثورة الثانية: احتلال وكر التجسس الأميركي في إيران ١٩٠
- الحرب المفروضة: ثماني سنوات من الدفاع المقدس ٢١٢
- لماذا استمرت الحرب؟ ٢٢٢
- نبوءة الإمام الخميني باختيار الماركسية ٢٤٣
- الدفاع عن النبي الاكرم(ص) والقيم الدينية ٢٤٦
- السنوات الاخيرة من عمر الإمام ٢٤٨
- نظرة الى اعتقادات الإمام الخميني واهدافه وتطلعاته ٢٦٨

رحيل الإمام الخميني: وصال المحبوب، وفراق الاحبة..... ٣١٠

□ مؤلفات الإمام الخميني..... ٣٢٦